

التعريب



مَجَلَّةُ نِصْفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

30

السنة السادسة عشرة
العدد الثلاثون

جمادى الأولى 1427 - حزيران (يونيو) 2006 م

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الثلاثون

حزيران (يونيو) 2006

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور عادل نوفل

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور مفيد جوخدار

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ شحادة الخوري

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- * بحوث ودراسات معربة أو مترجمة.
- * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- * عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- * الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التعريب: مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الإلكتروني: acatap@net.sy ،

صفحة الانترنت: www.acatap.org

ع/2006/6/15

السنة الأولى: 1991 . دمشق

في هذا العدد

الصفحة

- * افتتاحية العدد..... 7
- * بحوث ودراسات في التعريب
- التعريب والأمن اللغوي العربي 11
د. عمر أحمد هزايمة
 - وجهة نظر حول ((تعزيز مكانة اللغة العربية بالوسائط
الداعمة للهوية الثقافية)) 35
أ. د. محمد بلغازي
 - توجهات أساسية في وضع المصطلح 47
أ. شحادة الخوري
 - إشكالية المصطلح في التعريب والترجمة..... 59
د. عبد الله أبو هيف
 - أهمية المشافهة في تعليم اللغة العربية..... 83
أ. د. أحمد زياد محبك

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

- الخطة القومية للترجمة..... 93

د. عبد اللطيف عبيد

*** بحوث ودراسات معربة أو مترجمة**

- الجودة في الترجمة المهنية - "الأسس" 107

د. محمد أحمد طجو

*** التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره**

- البحث العلمي وتطوير وسائل التعليم العالي 141

أ.د. أحمد محمد قدور

- تعليم اللغة العربية المبرمج بالحاسوب 153

د. فخر الدين القلا

- * من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2006 167

- * قواعد النشر في المجلة 171

- * إصدارات المركز من الكتب 175

افتتاحية العدد

بقلم أ.د. عادل نوفل

مدير المركز

لم تزل قضية تعريب التعليم العالي في الوطن العربي من القضايا القومية الرئيسة، إذ تؤكد الوقائع أن غربة التعليم العالي عن واقعه العربي، وضعف ارتباطه بقضايا التنمية إنما تعود إلى أنه علم مستورد في محتواه ولغته، ويلصق لصقاً بذهن الطالب العربي متلقي العلم باللغة الأجنبية. ومهما يبذل الحريصون على تحسين جودة التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي من جهد في بيان أسباب الإنفاق والنجاح لهذا التحسين فستبقى جهودهم في إطار التنظير دون مردود كاف، إن لم يأخذوا بعين الاعتبار لغة التعليم والبحث العلمي، التي يجب أن تكون اللغة العربية.

ومع أن الجامعة العربية قد أطلقت في عام 1975 شعار "العربية لغة العلم عام 2000"، أن المؤتمر الثاني لوزراء التعليم العالي في الوطن العربي، الذي عقد في تونس عام 1983، قد اتخذ توصيات هدفت إلى تكثيف الجهود في مجال حركة التعريب، وعلى الرغم من كل المؤتمرات التي تتحدث عن التعريب، لم تزل معظم الجامعات في الوطن العربي تدرّس بلغة غير العربية. ويمكننا القول بأن عملية التعريب ما زالت في بداية الطريق، ولا بد من وجود استراتيجية عربية يجري بواسطتها تكامل الجهود المبذولة في كل قطر في هذا المجال.

وحتى لا يكون الانتظار طويلاً فقد تصدّت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من خلال مركزنا المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق لقيادة عملية تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.

ومن أهداف هذا المركز:

1. المساعدة على تعريب التعليم العالي والجامعي بفروعه وميادينه في أنحاء الوطن العربي كافة

التعريب العدد الثلاثون . حزيران / يونيو 2006

- ويشمل ذلك توفير حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث، ترجمةً وتأليفاً ونشراً وتوزيعاً، والتعاون مع الجهات المختصة ومنها اتحاد الجامعات العربية ومجامع اللغة العربية.
2. متابعة الجديد فيما ينشر في ميادين المعرفة العلمية والأدبية والفنية في العالم، والتعريف به واختيار أجوده لنقله إلى العربية.
3. ترجمة المؤلفات الأجنبية الموسوعية والمرجعية الأساسية في مختلف العلوم والآداب والفنون إلى العربية.
4. إقامة أشكال متنوعة من التعاون مع الجهات العربية ووزارات التعليم العالي والبحث العلمي وسائر الجهات المعنية الأخرى في البلاد العربية، لتنفيذ المخطط المعتمد لتعريب التعليم فيها.
- وانطلاقاً من معرفة مقومات إنجاح عملية التعريب المتمثلة في توفير:
- الكتاب العلمي باللغة العربية،
 - الهيئة التدريسية المُعَرِّبة،
 - المصطلح العلمي باللغة العربية،
- فقد أصدر المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق حتى الآن مئة كتاب علمي مرجعي مترجم، في الاختصاصات الأساسية والطبية والهندسية والزراعية والتربوية والبيئية وغيرها.
- ويغية أن يكون التعليم في الجامعات العربية عربياً فهذه صرخة نطلقها معلنين استعداد المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق لتنفيذ عمليات الترجمة والتعريب لمختلف المراجع العلمية الحديثة، وفي مختلف اختصاصات التعليم العالي. ويمكن أن يتحقق ذلك بعقد اتفاقية علمية مشتركة بين المركز والجامعة أو المؤسسة المعنية بالأمر.

والله ولي التوفيق .

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

بحوث ودراسات في التعريب

التحريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

التعريب والأمن اللغوي العربي

د. عمر أحمد هزايمة

مدرس مساعد - جامعة البلقاء

التطبيقية - كلية الحصن الجامعية

أريد

مقدمة

واجهت اللغة العربية عبر تاريخها الطويل تحديات جسماً من داخل مجتمعتها ومن خارجه. فمن دعوات لاعتماد العامية لغة رسمية، إلى دعوات لاعتماد الحرف اللاتيني، إلى اتهامات بعجزها عن إدراك التطور ومواكبة ركب التقدم، وعدم قدرتها على نقل المفاهيم الحديثة في ظل التقنية المتسارعة التي لا تبقى على حالها، إلى زعم بأن العربية تسبب عقداً نفسية عند العرب.

واللغة العربية في ظل هذه التحديات تتنازعها الآراء والأهواء، ففريق يظن بها الظنون، وفريق يجادل عنها خشية هوان سلطانها. ومن المخاطر الكبيرة الأخرى التي تعصف بالعربية وأهلها، ذلك التدخل الشديد للغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية والفرنسية، الذي يكاد يشمل كل العلوم التي تدرس في وطننا العربي، مما يستلزم همة عالية لتعريب ما يفد إلينا من علوم ليكون النفع أعم والفائدة أشمل.

إن للتعريب أهمية بالغة في الحفاظ على الهوية العربية والأمن اللغوي العربي، الذي لا يكاد يقل أهمية عن أنواع الأمن الأخرى. ذلك أن التحكم بلغة أمة من الأمم يعني السيطرة عليها قيمياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. من هنا كانت هذه الدراسة الهادفة إلى بيان أهمية التعريب في رفد

العربية بخير ما توجد به علوم الأمم الأخرى، ومدى أهميته للأمن اللغوي العربي وارتباطه به، إذ ستركز الدراسة على مفهوم الأمن اللغوي العربي وأهميته والعوامل المهددة له إلى جانب بيان ضرورة التعريب لتعزيز الأمن اللغوي العربي.

اللغة – وظيفتها وأهميتها:

الأصل في وظيفة اللغة الاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع. وقد عرّفها ابن جني بقوله "إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽¹⁾. ويرى علماء الاجتماع أن اللغة ظاهرة اجتماعية تمتاز بثلاث خصائص:

الأولى: أنها تتمثل في نُظم يشترك في اتباعها أفراد مجتمع ما، ويتخذونها أساساً لتنظيم حياتهم الجمعية، وتنسيق العلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض والتي تربطهم بغيرهم.

الثانية: أنها ليست من صنع الأفراد، وإنما تخلقها طبيعة المجتمع وتتبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران.

الثالثة: أن خروج الفرد على أي نظام منها، يلقي من المجتمع مقاومة تأخذه بعقاب مادي أو أدبي، أو تلغي عمله وتعتبره كأنه لم يكن، أو تحول بينه وبين ما يبتغيه من وراء مخالفته، وتجعل أعماله ضرباً من ضروب العبث العقيم، أو تسلط عليه أكثر من جزاء واحد من هذه الجزاءات⁽²⁾.

إن اللغة العربية ميزان دقيق ومعيار أساسي في حفظ هوية الأمة وقيمها. "فهي شريان الأمة وعماد حضارتها ومصدر عظيم من مصادر قوتها. وإذا أضاعت أمة لسانها أضاعت تاريخها وحضارتها كما تُضيّع حاضرها ومستقبلها. واللغة من أهم ملامح الشخصية الإنسانية إن لم تكن أهمها، فهي التي تربط المرء بأهله وأمتة ودينه وثقافته، فهي التاريخ والجغرافيا، وهي مظهر من مظاهر الابتكار في الأمة، فإذا ضعفت قوة الابتكار توقفت اللغة، وإذا توقفت اللغة تهقرت الأمة"⁽³⁾.

لذا لا بد من الاهتمام الجاد باللغة العربية، لأنها تربط حاضر الأمة بماضيها ومستقبلها، ذلك أنه متى انقطعت الأمة عن ماضيها، لم يعد لها في حاضرها ومستقبلها ما تفاخر به أو تستند إليه من إرث حضاري يبعث الهمة في نفوس أبنائها، ويجعلها تمتاز عن غيرها من الأمم.

لقد تطورت وظيفة اللغة في عصرنا الحديث لتصبح تعبيراً ورمزاً قوياً لهوية الأمم وكيانها ووسيلة خطيرة لنقل قيمها وتراثها ليس لأبنائها فحسب بل لكل العالم. ومن هنا كانت الأهمية البالغة التي أبدتها الدول للحفاظ على لغتها ونقائها من الدخيل، لأنها نظرت إليها على أنها رمز قوميتها واستقلالها، كما هي الحال في فرنسا التي أصدرت القوانين والتشريعات للمحافظة على اللغة الفرنسية من أي دخيل أجنبي، وحظرت التسمية بأسماء غير فرنسية، وخاصة في عصر العولمة الذي غدا مارداً لا يستطيع الفرد والمجتمع بل والدولة الوقوف أمامه أو تحدّيه.

"إن اللغة العربية رأس مال قوي وحضاري، وإنّ دعمها وتأهيلها متناً ووصفاً، وتأهيل متكلميها إبلاغاً وثقافة ومعرفة، يقتضي استكناه تفاعل العناصر والجوانب الحضارية والاقتصادية والتواصلية والقانونية الملحة، التي توفر الشروط المناسبة لبقاء اللغة وانتشارها ورقياً وتقوية فرص متكلميها ومستخدميها في الشغل والرفاه، والإنتاج العلمي والاقتصادي ورسملة توظيفها والاستثمار فيه، من أجل تنمية المجتمع سياسياً وقانونياً واقتصادياً وعلمياً"⁽⁴⁾.

"وللغة أيضاً دور كبير في بناء الأمة وصناعة وجدانها وبناء ذاكرتها وتكوين هويتها وثقافتها، وضمان تماسكها وتواصل أجيالها وتوسيع دائرة تفاهمها، والمساهمة بتشكيل نمط تفكيرها والتأثير في مسالكها وأخلاقها وتحريكها، وتغيير واقعها والإفادة من مخزونها التاريخي وحماية رقة تفكيرها من التبعثر والتفكك. فاللغة في النهاية هي الترسانة الفكرية والثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها وتحافظ على شخصيتها. ولذلك تعتبر اللغة هي المقوم الأساسي لبناء الأمة وقيامها، لأنها لغة التواصل والاتصال والصياغة لكل الأفكار"⁽⁵⁾.

لذا كان لزاماً على أبناء اللغة العربية صونها بعيونهم وعقولهم وأفئدتهم، وحفظها من كل عادٍ. وعلى الدول العربية بمؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية الحفاظ على هذا

المعين الذي لا ينضب، وهذا الرمز الحيوي لكيان الأمة وهويتها.

مفهوم الأمن اللغوي

إن مهمة اللغة التي تدخل كل بيت لا تنحصر في الرموز التي نستعملها في أنساق لفظية وعبارات وأصوات فحسب، وإنما هي الفكر والمنهج والأداء الذي يمثل تقاليد وقيماً وسلوكيات حياتية يومية. ولذا كانت اللغة أول ما يستهدف من خصوصيات الأمم الثقافية والحضارية، وكانت أول ما يتعرض للهجوم الشديد والتعدي الصريح، كونها تمثل هوية الأمة وكيانها، فكان لزاماً صونها والحفاظ على أمنها وسلامتها.

ولقد تعددت مفاهيم الأمن في الوطن العربي وتنوعت، فمن مفهوم الأمن العسكري والسياسي والاقتصادي والصناعي والثقافي، إلى مفهوم الأمن الغذائي والاجتماعي. وكثرت الدراسات حول مكونات هذه المفاهيم وأهميتها وأسبابها والعوامل المؤثرة فيها وعليها، والمخاطر التي تعترضها داخلياً وخارجياً، وطُرحت الحلول المختلفة لضمانها وديمومتها لأن في الحفاظ عليها بقاء الأمة واستمرار كيانها.

إن كثرة مفاهيم الأمن ودراساتها في الوطن العربي مردّه كثرة الخطوب والحروب التي تواجهها الأمة، والتي لا يكاد ينتهي أحدها حتى يبدأ غيرها. فنظرة عجلية إلى سجل الحروب والصراعات في المنطقة توحى بأنه لا بد أن تكون هناك حرب كل ما يقرب من عقد من السنين، فمن حرب عام 1948م إلى حرب عام 1956م ثم النكسة عام 1967م وبعدها حرب رمضان عام 1973م إلى حرب لبنان عام 1982م فحرب الخليج الأولى عام 1990م إلى حربه الثانية عام 2003م. وفي خضم هذا الكم الهائل من الصراع، كاد العرب أن ينسوا الحديث عن الأمن اللغوي الذي يمكن الجزم بأنه يأتي على رأس أنواع الأمن كلها.

"يقوم مفهوم الأمن اللغوي العربي أساساً على الحفاظ على سلامة اللغة العربية وصونها من العاديات والهجمات التي تضربها في صميمها كل حين. فهو يسعى لحمايتها من سلطان العولمة

وغول التدخل اللغوي الأجنبي السافر، الذي لا يكاد يترك مجالاً إلا ودخله شئنا ذلك أم أبينا. ويهدف في مضمونه الخاص إلى ديمومة اللغة العربية ومنحها القدرة الكافية لمواكبة تطورات العصر والتقنية المتسارعة. وأما في مضمونه العام فإنه يسعى للحفاظ على وجدان الأمة وكيانها وهيبته وقيمها التي غزتها المدنية الحديثة." (6)

أهمية الأمن اللغوي العربي

إن أهمية الأمن اللغوي العربي لا تقتصر على وجهة دون سواها، ولا تنحصر في الحفاظ على اللغة العربية فحسب، بل إنها تطول الفرد والجماعة العربيين. فهو يطول الفرد من حيث حمايته للمواطن العربي في فكره وسلوكه، وفي اختيار التراكيب والألفاظ والمفردات اللغوية السليمة التي تضمن له أمنه وكيانه وشخصيته. ويطول الجماعة العربية من حيث إنه يحفظ تماسكها ونسيجها الأخلاقي في وجه العاديات.

بل إن الأمن اللغوي العربي يمنح الفرد والجماعة العربيين القدرة على التأثير فيمن يحيط بهم من غير أبناء اللغة الأصليين، ويجعل العرب قادرين على ولوج عصر الحداثة والتقدم والعولمة بخطاً ثابتة وأسس راسخة لغوياً وثقافياً وعقدياً. ثم إنه يحفظ إرث الأمة وثقافتها، وهو بذلك لا يقل أهمية عن أنواع الأمن الأخرى التي يجب أن تتكامل بعضها مع بعض لتشكّل خطاً دفاع متيناً، لا لبلد عربي دون سواه بل لكل الأمة.

عوامل الخطر اللغوي

تتعدد العوامل التي تشكل الخطر اللغوي على الأمة العربية وأمنها اللغوي، ويمكن القول إنها تندرج في الآتي:

1. تعدد الثقافات واللغات.

يشهد الوطن العربي عامة وخليجه خاصة، ومنذ ما يقرب من نصف قرن نهضة كبيرة في التقدم والعمران والدخل، مصدرها وجود أكبر احتياط للنفط في العالم. وهذا ما جلب مئات آلاف

العاملين المنحدرين من ثقافات وأجناس ولغات عديدة. فمع هذا الكم الهائل من الوافدين كان التعدد الكبير في اللغات: فمن الإنجليزية والفرنسية والإسبانية وغيرها من اللغات الأوروبية، إلى لغات الشرق الأقصى كالصينية واليابانية والكورية، إلى لغات دول الجوار كالفارسية والهندية والتركية وغيرها.

فهذه السوق الكبيرة من اللغات لا بد أن تترك آثارها على المفردات والتعبيرات التي يستخدمها أبناء العربية. وما مرد ذلك إلا للاحتكاك والاتصال اليومي المباشر مع الناطقين بتلك اللغات، الذين برغم بقائهم لسنوات عديدة في بلادنا العربية فإنهم لا يجيدون إجادة لغتنا، بل إننا في كثير من الأحيان نستعمل لغتهم على أرضنا للحديث معهم. فكان أن تسربت أعداد يكاد يصعب حصرها من المفردات الأجنبية إلى اللغة العربية. ولم يقتصر الخطر على اللغة المحكية في كل بلد عربي، بل إنه وصل إلى اللغة الفصحى والخطاب الرسمي. فالكثير من تلك المفردات يظهر في الكتابات الصحفية، وعلى صفحات المجلات والكتب. ومن ذلك كلمات (الأجندة، الاستراتيجية، الفيدرالية، الديمقراطية، الكمبيوتر، البراجماتية).

"إن وجود وافدين، مهما كان عددهم ومهما كانت الحاجة إليهم، لا يجوز أن يكون سبباً للتفريط في السيادة على أرضنا، وإن من الغفلة الزعم بأن مصلحة السوق ودواعي الاستثمار تتطلب لغة أجنبية، والأجدر أن يكون التحدث باللغة العربية شرطاً في العمالة الوافدة، بدلاً من إجبار أبنائنا على التحدث بلغة أجنبية من أجل هؤلاء الوافدين"⁽⁷⁾.

لذا على الدول العربية وضع الشروط الصارمة التي تلزم هؤلاء الوافدين بأن يكونوا قادرين على التكلم باللغة العربية، صوناً لأمن اللغة والمجتمع وحماية لقيم الأمة ونشئها الذي هو عماد قوتها في مستقبلها.

ولقد أدى هذا الاختلاط اللغوي إلى بروز ظواهر سلبية تشكل خطراً على الأمن اللغوي العربي. إذ يمكن القول إن دخول تلك المفردات والتعبيرات الأجنبية، أدى في بعض الأحيان إلى نشوء ما يمكن تسميته بظاهرة التثائية اللغوية عند عدد من أبناء اللغة العربية. وكان من تداعيات

هذه الظاهرة نشوء كثير من التغيرات في استعمال المفردات والتراكيب النحوية على السنة العمال الوافدين الذين لا يحسنون اللغة العربية، وهذا ما أثار في الكثير من أهل العربية الذين يحاولون تقليد أولئك الوافدين في طريقة نطقهم وفي أخطائهم اللغوية، ومجاراتهم في ذلك كقولهم (أنا بدي روح سوق) أو قلب (الحاء) (هاء).

إن هذا الأمر يترك آثاره الخطرة على السلوك اللغوي والقيمي والثقافي، لأن من دأب على تكرار شيء صار ديدنه، ومتى غدت تلك الأخطاء جزءاً من حديث الفرد اليومي، فإنها تصبح جزءاً من حديث المجتمع كله وعندها يصعب معالجة الخطر واجتنباه.

إن تعليم اللغة العربية للوافدين من واجب المؤسسات التي يعملون فيها. إذ يلزمها عقد الدورات التي تساهم في إيصال قواعد اللغة العربية وطريقة نطق أصواتها إليهم، ليغدوا في قادم الأيام سفراء للغة العربية من غير أهلها.

2. العولمة.

غدت العولمة سلاحاً ذا حدين وسيفاً مسلطاً على رقاب الدول، من أخذ بها ظن أنه نجا، ومن لم يأخذ بها هلك من فوره. واللغة العربية من أكثر المجالات عرضةً لسطوة العولمة التي دهمت كل بيت عربي. إذ توحى النظرة العجلى إلى ما في بيوتنا من أدوات ومنتجات أنها في غالبيتها إنتاج أجنبي. وليت الأمر كذلك، بل إن الخطر يكبر عندما نستخدم تلك المنتجات بأسمائها الأجنبية حتى غدت جزءاً من رصيدنا اللغوي، وكدنا لا نستطيع إيصال كثير من أفكارنا إلا إذا استخدمناها.

إن المسؤولية مشتركة، وينبغي توسيع التعاون بين الدول العربية بكل مؤسساتها، وعلى رأسها جامعة الدول العربية وما يتفرع منها من مراكز ومنظمات تعنى بالثقافة واللغة والتربية والمجتمع، للأخذ بأحسن العولمة، عبر تعريبه ونقله بلغة عربية سليمة سهلة وتترك أسوتها ومجابهته.

3. الإعلام.

الإعلام سلاح متعدد الحدود والمخاطر، وهو مرآة عاكسة تنقل أدق التفاصيل وأكبرها لتدخلها في ذهن الناظر والقارئ والسامع. ولقد تعددت وسائل الإعلام في الوطن العربي وغدت الصحف والمجلات تملأ المكتبات والأكشاك. وانتشرت الفضائيات التي تعددت أسماؤها وغاياتها، فنقلت للمواطن العربي أخباره وأخبار إخوانه العرب وأخبار العالم في لمحة بصر. وهذا أمر طيب لأنه يمنح المواطن العربي المجال الرحب للمعرفة، وصقل ثقافته ومواكبة التطورات المتسارعة في العالم، ويجعله على تماس مباشر بكل ما يجري من حوله من أحداث. وفي خضم هذا الموج الكبير من الإعلام ووسائله، تعدى مفهومه نقل الخبر ليشمل كل جوانب الحياة وفي مقدمتها المجال اللغوي. فالنظرة السريعة إلى ما يعرض على شاشات التلفزة والفضائيات العربية، تظهر الكم الكبير للألفاظ والتعابير والمصطلحات الأجنبية، التي تشمل أسماء البرامج وأسماء بعض المحطات ذاتها، إلى جانب الألفاظ السياسية والثقافية والاقتصادية الكثيرة. وزاد من خطر الإعلام أن صارت تلك المفردات على ألسنة المذيعين والمتحاورين في البرامج الجادة، بل وتعاطم خطره عندما أصبحت تلك المفردات في صلب برامج التسلية والترفيه، التي تجذب جمهور الشباب العربي عذّة الأمة ومستقبلها. ويزيد خطر الإعلام عندما يكون كثير من البرامج الموجهة للأطفال منقولة قلباً وقالباً عن برامج أجنبية بعيدة عن قيمنا.

إن المسؤولية مشتركة بين الدولة والمؤسسات الإعلامية في آن واحد. إذ لا بد أن تسعى المؤسسات الإعلامية، وخاصة تلك التي توجه برامجها إلى الشباب العربي، لاعتماد اعتماد اللغة العربية السليمة، والابتعاد عن الدخيل اللغوي الأجنبي على لسان مذيعيها وبرامجها.

4. التقنية الحديثة.

يشهد الوطن العربي حضوراً لافتاً ومتسارعاً للتقنيات الحديثة، وخاصة في مجال الاتصالات، حيث انتشرت الهواتف النقالة وشبكة المعلومات. وهذا أمر حسن لا بد من زيادته ليكون للعرب دورهم في هذه الصناعة ابتكاراً وإنتاجاً. إلا أن هذا الحضور التقني يرافقه غزو خطر يتمثل في

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

العدد اللامتناهي من الألفاظ والتعابير والمصطلحات الأجنبية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوسائله، والتي غدت على لسان الصغير والكبير.

فالحاسوب المنتشر في البيت والعمل والمدرسة والجامعة - وإن كان انتشاره لم يزل دون المطلوب - يرافقه غزو لغوي خطير يتمثل في العدد الكبير من الكلمات والألفاظ مثل (الكمبيوتر، الديسك، فايل، الويب، الإنترنت، الكيس، مسنجر، سي دي، سوفت وير). وشكل الهاتف النقال مصدراً آخر للمفردات الأجنبية مثل (موبايل، مسج، مس كول، بيجر).

وهذا غزو لغوي خطير يصعب مواجهته إذا لم تتكاتف الجهود. ومما يؤسف له انتشار تلك الألفاظ والتسميات في مجتمعنا العربي انتشار النار في الهشيم، وغدا التكلم بها مدعاة فخر وتباهٍ. ولم تعد للكلمة العربية البديلة فسحة لتحل مكان اللفظ الأجنبي، نتيجة الاستخدام المفرط له على ألسنة الناس وفي وسائل الإعلام وحتى في المناهج التعليمية. إن صوت الخطر يعلو وإن أمن اللغة العربية مهدد أيما تهديد إن لم تتحرك الأمة قبل أن يفوت الأوان، وقبل أن نقول يا حسرتنا على ما فرطنا في حق لغتنا.

مظاهر الخطر على الأمن اللغوي العربي.

يعد الاقتراض لمئات الكلمات الإنجليزية والفرنسية من مظاهر الخطر اللغوي المباشرة على اللغة العربية بفصاحا ومحكياتها. إذ يظهر على ألسنة الأفراد، مثقفين أو مسؤولين أو غيرهم، الكثير من الكلمات الأجنبية مثل (البيروقراطية، الكونفدرالية، البروتوكول، الميتافيزيقيا، الكاريزما، الستلايت، الدش، السينما، الفيلم).

ومن مظاهر الخطر اللغوي الأخرى، الانتشار الواسع للعلامات والأسماء التجارية الإنجليزية والفرنسية في شوارعنا، حتى غدا تسمية المحل التجاري باسم أجنبي رمز افتخار وتميز.

ومن المظاهر الأخرى المهددة للأمن اللغوي العربي، استخدام الكثير من الأسماء الإنجليزية والفرنسية وغيرها لتسمية أبنائنا وبناتنا مثل (نانسي، سوزان، ماري، ديانا، كاثرين، جورج). مما

يتطلب تشريعات تمنع التسمية بأسماء غير عربية.

ومن المظاهر المهددة للأمن اللغوي العربي، استعمال العديد من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد الكثير من الألفاظ والمفردات الأجنبية في حديثهم بعضهم مع بعض، أو أمام طلابهم، إذ يستعمل كثير منهم اللفظ الأجنبي رغبة في إظهار القدرة على امتلاك زمام اللغة الأجنبية، أو رغبة في التميز أمام الآخرين، وقد يستعمل بعضهم اللفظ الأجنبي لعدم معرفته بالبديل العربي أو لعدم رغبته في استخدامه.

ويبرز الخطر الداهم على الأمن اللغوي العربي بوضوح في المغرب العربي، حيث اللغة الفرنسية حاضرة في الحديث اليومي والرسمي، وفي الصحف وفي الكثير من مواقع الجامعات على شبكة المعلومات الدولية.

ومن مظاهر الخطر اللغوي على الأمن اللغوي العربي "أن نظام الجملة العربية في العصر الحديث قد تأثر إلى حد ما ببعض الأساليب الأجنبية، وهذا النوع من الاقتراض ممثل في نظام الجملة، فقد جاءت بعض الاستعمالات التي لم تعرفها العربية من قبل مثل: كم هو جميل أن نرى، كثيراً جداً وجداً كثير، وهو بلا شك ضروري، سافرت برغم المطر والبرد، إن أحداً لا يستطيع." (8)

ويتعاضم الخطر ليصل إلى مراحل التعليم العام ورياض الأطفال، حيث تعتمد كثير من المدارس غير الحكومية إلى اعتماد مناهج للعلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية أو الفرنسية مما يؤثر في مستوى تحصيل الطالب وقد يدفعه إلى تهوين لغته الأم.

ومن مظاهر التهديد الأخرى تراجع الفصحى أمام زحف العامية، سواء في لغة الحديث العادي أو في وسائل الإعلام، حيث تظهر الدعايات والإعلانات بألفاظ وعبارات عامية يصعب في كثير من الأحيان فهمها وقراءتها إلا بتركيز شديد، فضلاً على أنها تكون غير مفهومة إلا لفئة من أهل البلد الذي كتبت به. ويرتبط بهذا المظهر المهدد ظهور كثير من الدعايات

والإعلانات الأجنبية المكتوبة بحروف عربية.

ومن مظاهر التهديد ظهور لغة ثالثة، يمكن القول إنها لغة مهجنة تخلط بين الفصحى والعامية، عند كثير من المتكلمين، مما يدل على ضعف المتكلم في اللغة الفصحى. ويترافق مع هذا الخطر تلك الأخطاء النحوية الفادحة التي يقع بها الكثير في وسائل الإعلام، لضعف المعرفة بقواعد اللغة أو لعدمها، مما يترك في أذن المتلقي قلقاً لغوياً شديداً، وهذا ما يستدعي ضرورة العناية بإيصال قواعد اللغة بطريقة سهلة ميسرة إلى المواطن العربي.

التعريب

المقصود بالتعريب في الوقت الحاضر "استعمال اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة كلاً ما وكتابة، دراسة وتدریساً، وبحثاً وترجمة وتأليفاً"⁽⁹⁾. والتعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات، فهي تلتقي بالتقاء أصحابها في السلم والحرب، وبالتجاور والاتصال أو الاحتلال والحكم، في ميدان الثقافة والعلم أو في ميدان الاقتصاد والتجارة أو غير ذلك من ضروب الاتصال فيؤثر بعضها في بعض بوجه عام أو في ميادين محددة. ويعني أيضاً " صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية"⁽¹⁰⁾.

ونظراً لأهمية نقل المعرفة إلى اللغة العربية فقد كان للتعريب مكانة واهتمام عالين في الدول العربية، وقامت مراكز في كل بلد عربي تقريباً تعنى به، وخاصة تعريب العلوم الحديثة ذات الأهمية الكبيرة للتقدم والرفق. وعُقد الكثير من المؤتمرات حوله، وصدر العديد من التوصيات والقرارات المشجعة عليه.

وكان لمجامع اللغوية العربية دور كبير فيه، فقد رأى مجمع اللغة العربية في القاهرة أن "للتعريب في عصرنا الحديث فوائد تتلخص في غنى اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الإنسانية، كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية"⁽¹¹⁾.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

وكانت التوصيات والقرارات تهدف فيما تهدف إلى ضرورة تعريب العلوم ليتسنى للطلاب العربي الوصول السريع والسهل إلى المعلومة، مما يتيح أمامه فرصة التعلم والتعليم والإفادة والاستفادة، وليكون للأمة دورها في بناء المجتمع الإنساني. فقد عقد مجمع اللغة العربية الأردني ندوة حول "اللغة العربية ومواكبة النهضة الحديثة" تضمنت عدداً من المقترحات منها:

1. التنسيق بين مجامع اللغة العربية عن طريق إقامة مجمع مركزي واحد له فروع في البلاد العربية أو إقامة اتحاد حقيقي فعال بين هذه المجامع.
2. إنشاء مراكز على نطاق الوطن العربي لإحياء التراث العربي.
3. إصدار تشريعات لتعريب التعليم الجامعي.
4. إجراء مسح لمصطلحات العلوم في المؤلفات العربية القديمة وتنظيمها في شكل معاجم من أجل الاستفادة منها في عملية التعريب (12).

وعُقد المؤتمر العاشر للتعريب تحت شعار "قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربي" في المدة من 20-25 تموز/ يوليو 2002 في دمشق برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حيث ناقش محاور حول تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وضرورته ومقوماته وشروط ومتطلبات نجاحه، وتبادل المعطيات المصطلحية ونشرها بين الأقطار العربية بواسطة التقنيات الحاسوبية، ودور المصطلح العلمي الموحد في تعريب التعليم العالي، وإعداد الكتاب العلمي الجامعي باللغة العربية تأليفاً وترجمة، إضافة إلى موضوعات حول دور الأستاذ الجامعي في تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، واللغة العربية وتحديات القرن الجديد والشبكة العربية للمعلومات، والقارئ الآلي والترجمة الآلية والتعليم عن بعد. وأوصى المؤتمر بـ:

1. مناقشة الدول العربية التي لم تبدأ بعد عملية التعريب في التعليم العالي أو التي لم تستكملها أن تتخذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك.
2. وضع الكتب العلمية في البلاد العربية التي طبقت التعريب بين يدي الجامعات والمؤسسات.
3. المزيد من التنسيق والتعاون بين المؤسسات المعنية والمهتمة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربي.

4. الحرص على احتواء كل كتاب علمي منهجي على مسرد أجنبي عربي وعربي أجنبي يضم كل المصطلحات العلمية الواردة فيه.
5. العمل على نشر الأبحاث والكتب المتبعة على شبكة المعلومات لتعم الفائدة منها.
6. دعم الصناعة المعجمية وأبحاثها ومشروعاتها التي تخدم قضية التعريب، كمشروع الذخيرة اللغوية، ومشروع المعجم الصحفي العربي المعاصر، ومشروع تقييس المصطلح وغيرها من المشروعات المعجمية⁽¹³⁾.

وسائل تعزيز التعريب والأمن اللغوي العربي

1. تقنية المعلومات وشبكاتها الدولية

شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين ثورة كبرى في وسائل الاتصال والمعلومات أحدثت تغيرات بالغة الأثر والأهمية في ثقافات العالم ولغاته. وكان من أهم مظاهر هذه الثورة التقدم السريع في صناعة المعلومات، التي يأتي في مقدمة وسائل نقلها مواقع النشر الإلكتروني عبر الشبكة العنكبوتية، وثورة الوسائط المعلوماتية التي أحدثت قفزة هائلة في حقل الاتصالات والمعلومات. وتشهد السنوات الراهنة تطوراً كبيراً في النشر الإلكتروني على حساب النشر الورقي، وأصبحت الأقراص المدمجة متوافرة في الأسواق محتوية على أكبر الموسوعات العلمية والأدبية والصحية.

إن هذا التقدم السريع في صناعة المعلومات ونشرها وتسويقها، جعل دور النشر تواجه تحديات كبيرة بغية زيادة مساهمتها في نشر المعرفة الإنسانية وتوثيقها وحفظها، وهذا بلا شك يؤدي دوراً خطيراً وهاماً في صون اللغة وحفظها، ويساهم كذلك في تعزيز وجودها ويوسع من انتشارها واستخدامها في العالم، مما يوجب على الدول العربية مؤسسات حكومية وخاصة، أن تعتمد إلى الاستفادة الكبرى من التطور والتقدم الحاصل في صناعة المعلومات والنشر الإلكتروني، اللذين يشكلان تجارة بملايين الدولارات. ولا بد من تعزيز نشر المعرفة العربية عبر

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

شبكة المعلومات، وبناء المواقع والمكتبات والمجلات والدوريات العلمية المحكّمة والمختصة الإلكترونية، لتعزز من قدرة المثقفين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية عبر نشر أبحاثهم لتصل إلى كل مهتم في هذا العالم.

والحاجة ملحة كذلك إلى أن يسبر العرب غور هذا السوق من أوسع أبوابه، ليكون لهم وللغتهم دور رائد في بناء الحضارة الإنسانية ورفيها، وليجندوا في دفع الظلم والصورة المغلوطة عنهم، وليظهروا للعالم أنهم أهل حضارة ورفي، وأنهم قادرون على مواكبة كل جديد والإفادة منه. فالإسراع في دخول النشر العربي الإلكتروني إلى سوق النشر الإلكتروني العلمي، وتعزيز مواقعه على الشبكة العنكبوتية، سيساهم مساهمة فعالة في ربط أبناء الأمة، وسيزيد من تعلق أبنائها في المهجر بها، ومن ثم سيفيد في تعزيز أمنهم اللغوي.

ثم إن التوسع والإسراع في النشر العربي الإلكتروني سيحقق للثقافة واللغة العربية نقلة نوعية متميزة من حيث وضعها في موقع منافس مع الثقافات العالمية السائدة، ويفتح أمامها الفرصة الملائمة للتلاقي والتفاعل مع تلك الثقافات، ويسهم كذلك في ربط أبناء العربية ومحبيها بعضهم ببعضهم الآخر. ومن شأن ذلك أيضاً أن يساعد الراغبين في تعلم العربية ويعزز قدرتهم وفهمهم للقيم والتراث العربيين.

ولابد من الاستفادة من تقنية المعلومات من أجل إعادة صياغة المناهج الدراسية العربية وطرائق تدريسها، ونوعية الإدارات والتمويل في كل المستويات وخاصة التعليم العالي.

وإلى جانب كل ما سبق لا بد من إنشاء المراكز والمنظمات العربية التي تعنى بالإفادة من التقدم الكبير في الوسائل التقنية، وطرق الاتصال الحديث لدعم التعريب والأمن اللغوي العربي. ومن المنظمات التي يؤمل أن تساهم في تعزيز وصون الأمن اللغوي العربي "المنظمة العربية لتكنولوجيات الاتصال والمعلومات" التي وافق عليها المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي عام 2002 ومقرها تونس، والتي تهدف إلى تنمية قطاع الاتصالات والمعلومات وتوفير الآليات الضرورية لتدعيم التعاون بين أعضائها، وتهدف إلى تطوير سياسات مشتركة لتنمية هذا القطاع

في الوطن العربي، وتوحيد وتنسيق المواقف فيما بين الدول الأعضاء بما يخدم مصالحها ضمن الهيئات الدولية، وتشجيع الاستثمار العربي والأجنبي في الوطن العربي وتأهيل الخبرات والكفاءات العربية.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أهمية استغلال الحاسوب في حوسبة اللغة العربية وإنتاج البرمجيات العربية والمعرية، ومواقع النشر الإلكتروني العربي ومواقع تعليم اللغة العربية وقواعدها، مما يساهم في نشر اللغة العربية، وتعزيز الرغبة في تعلمها بين أبنائها والمهتمين بدراساتها.

2. اللغة العربية لغة الدراسة.

إن تعريب العلوم المختلفة واعتماد اللغة العربية لدراساتها وتدريسها في الجامعات، وخاصة في الكليات العلمية كالطب والتمريض والهندسة وفي أقسام الفيزياء والأحياء وعلوم الأرض، وكذلك في الكليات الأخرى كالاقتصاد والتجارة وحتى التربية، من شأنه أن يعزز مكانة اللغة العربية بين أبنائها وعند غيرهم من الأمم. ومن شأنه زيادة الإبداع عند المتعلمين العرب لأنهم يكونون بلغتهم أقدر على التفكير والبحث الواسعين. ذلك أن اللغة تكون في كثير من الأحيان عائقاً أمام الإبداع والإنتاج إذا كانت العلوم في بلد ما تدرس بغير اللغة الأم.

ثم إن اعتماد اللغة العربية لغة تدريس سيقوي الأمن اللغوي العربي، ولكن الأمر يتطلب جهوداً كبيرة ومنسقة بين كل المهتمين للوصول إلى رؤية موحدة، ولا بد للمجامع اللغوية العربية أن تكثف وتوحد عملها لتحقيق ذلك. إن استعمال العربية لغة قومية في مراحل الدراسة المختلفة، وتعريب موادها العلمية ومصطلحاتها مطلب هام وملح، من شأنه أن يساهم في تعزيز التقدم التقني في البلاد العربية، مما يحفز الإنتاجية والإبداع، ويخلق فرصاً واسعة للشباب العربي للابتكار والتفكير الخلاق الذي يقوي الأمن اللغوي العربي. فاللغة العربية ليست قاصرة عن استيعاب علوم العصر، وإنما الأمر يحتاج إلى عزم الرجال.

ولقد أكدت ندوة عربية لخبراء في إعداد معلمي اللغة العربية عام 1977 "ضرورة، تنفيذ التوصيات الكثيرة التي تتعلق بتعريب العلوم والطب في الجامعات العربية ووضع برنامج زمني لذلك. وفي مؤتمر التعريب الرابع عام 1981 كان الاتجاه أن يكون التعليم باللغة العربية لأنه استجابة للحقائق التربوية التي أثبتت أن تعلم الإنسان بلغته أقوى مردوداً وأبعد أثراً وأحفل بالنتائج الخيرة من الناحيتين الكمية والنوعية"⁽¹⁴⁾.

3. الإعلام.

للإعلام بوسائله المقروءة والمسموعة والمرئية سلطة كبرى في كل مناحي الحياة وفي مقدمتها المجال اللغوي. ذلك أنه كلما تطورت وسائل الإعلام وتعددت طرق نقل المعلومات ازدادت أهميته للفرد والمجتمع من ناحية وخطره عليهما من ناحية أخرى.

وقد شهد الوطن العربي تقدماً كبيراً وملحوظاً في وسائل الإعلام، وعمّت دور النشر ومحطات الإذاعة والتلفزة والصحف اليومية والأسبوعية والدوريات والمجلات المختصة والعامة كل البلاد العربية. كما شهد الوطن العربي في العقد الأخير من القرن العشرين قفزة كبيرة جداً في مجال الاتصالات والمحطات التلفزيونية الفضائية، حتى غدا لكل دولة عربية أكثر من محطة فضائية، وتنوعت غايات ومضامين وبرامج كل محطة، فصارت المحطات المختصة بالأخبار والفن والرياضة والعلوم. وهذا أمر طيب يؤكد قدرة الأمة العربية على مواكبة التطور والتقدم العلمي، الذي يعد الإعلام المرئي أداته الفعالة والمؤثرة في نقل الأفكار وتغيير الروى والرأي العام.

ومن هنا يؤدي الإعلام دوراً جوهرياً في تحقيق الأمن اللغوي العربي وتعزيز التعريب بتركيزه على القيم والمبادئ الأخلاقية، ونشر الوعي بالثقافة العربية وأهمية اللغة العربية في إيصال الأفكار وتعزيز دورها في الحفاظ على النسيج المجتمعي العربي. إن هذا الكم الكبير من وسائل الإعلام العربي يدفع إلى ضرورة إنشاء محطات تلفزيونية وإذاعية عربية موحدة على مستوى الجامعة العربية يكون هدفها بث البرامج باللغة الفصحى.

ولابد من وضع الأسس لمجالس تكون مهمتها التوجيه والإشراف على ما تقدمه تلك المحطات، حتى يكون منسجماً مع عقيدة الأمة وقيمها، ولا بد للصحف والمجلات العربية أن تُبرز بدورها تلك القيم، وأن تساهم في نشر التراث العربي والابتعاد عن القصص الخيالية والعناوين الخادعة التي تنتشر الفوضى والاضطراب، ولا بد لها كذلك أن تعمل على تعميق الأخلاق بين الشباب العربي.

والإعلام الموجه للأطفال من أخطر الوسائل وأهمها في تعميق الانتماء إلى اللغة العربية والالتصاق بها، فالطفل يتعلق جداً بما يحفظه ويسمعه، مما يوجب ضرورة مراقبة البرامج المقدمة للأطفال، بحيث تكون أسماؤها عربية وكذلك شخصياتها، وأن تبتعد عن العنف، وأن تكون وسيلة لغرس الأخلاق والاعتزاز بالنفس، ونشر المفردات العربية والعبارات الجميلة التي من شأنها تحقيق الأمن اللغوي العربي.

ولا بد من مراقبة البرامج المترجمة والمنقولة إلى اللغة العربية، حتى تكون برامج جيدة تقدم المفيد. إذ إن نظرة سريعة إلى البرامج الأجنبية التي تعرض في كثير من القنوات العربية تبين أنها برامج وأفلام تُظهر العنف ونشر الجريمة، وتؤدي في كثير من الأحيان إلى الانحطاط اللغوي نتيجة دخول مفردات وألفاظ أجنبية سيئة إلى القاموس اللغوي للشباب العربي.

وإضافة إلى ذلك "فإنه لابد من تقليل نسبة البرامج المقدمة بالعامية حتى تقرب من الصفر وزيادة البرامج التي تقدم بالفصحى، وانتقاء أفضل العناصر من بين المتقدمين للعمل في الإذاعة المرئية والمسموعة مع تدريب هؤلاء على الإلقاء والقراءة⁽¹⁵⁾.

والى جانب ما سبق من وسائل حماية اللغة العربية وأمنها اللغوي وتعزيز التعريب فإنه يمكن إضافة الآتي: تأكيد دور البيئة المنزلية في تلقين لغة الضاد للأجيال الصاعدة منذ نعومة أظفارها، وتوفير الوسائل اللازمة لبعث هذا الدور، ودعم تعليم اللغة العربية في المناطق الإسلامية غير الناطقة بها، على اعتبار أن ذلك مطلب شرعي لكل المسلمين، وإقامة معاهد متخصصة في مختلف أرجاء العالم لتعليم اللغة العربية ونشر الأدب العربي وإحياء الفصحى

على ألسنة العامة بدلاً من اللهجات الدارجة.

وبموازاة وسائل تحقيق الأمن اللغوي العربي السابقة، فإن من المفيد إنشاء الأندية والجمعيات، لحماية اللغة العربية في الجامعات والمعاهد والكليات خاصة وفي المجتمع عامة، حيث يكون شعار تلك الأندية والجمعيات حفظ اللغة العربية الفصحى وحمايتها، وأن تكون أسماء تلك الأندية والجمعيات دالة على غاياتها وأهدافها مثل أسماء "جمعية حماية اللغة العربية" و"جمعية اللغة العربية الفصحى" و"نادي اللغة الفصحى" ورفع شعارات مثل "الفصحى أولاً" و"الفصحى سبيل للوحدة العربية"، "الفصحى ضمان لأمننا اللغوي" وغيرها.

وإضافة إلى ما سبق فإنه يمكن وضع الآليات التالية للمساهمة في تحقيق الأمن اللغوي العربي وتعزيز التعريب ونشر اللغة العربية:

1. توجيه الطلبة إلى تلاوة القرآن الكريم وحفظه على أيدي متخصصين في اللغة العربية والقرآن الكريم. "تذكر الباحثة سهير أحمد السكري، المختصة باللغويات في جامعة جورج تاون، واشنطن، قصة مثيرة ذكرها الكاتب الإنجليزي E.H.Janser في كتابه: الإسلام المقاتل، يقول: إن إنجلترا وفرنسا قد أجرتا بحثاً عن أسباب قوة وصلابة الإنسان العربي، وتمكنه من فتح البلاد المحيطة به من الهند إلى تخوم الصين... فوجدتا أن السر في ذلك كان طريقة تعليم الطفل العربي، وكيف أنه بدأ قبل الخامسة بحفظ القرآن وختمه، وهو الكتاب الجامع لأفصح التراكيب اللغوية، وأجمل الصيغ البلاغية التي تتطبع في الذاكرة، فلا تزول، مما يحميه من الوقوع في مرض الازدواج اللغوي، وهو الضياع بين لغتين عامية وفصحى، لا يتقن إحداهما... كما يعطيه القرآن طاقة نضالية، وصلابة خلقية، وزخماً إيمانياً، وصلة بالغيب، لا تتخلى عنه طوال عمره، فهو يشعر دائماً أنه ليس وحده وإنما يوقن بأن الله معه." (16)

2. توجيه الطلبة إلى حفظ الأحاديث النبوية الشريفة، وأشعار العرب التي تهيب له أسباب الملكة اللغوية المبعدة له عن مبتذل الكلام والمعقدة لصلته بلغته الفصحى.

3. تخصيص دروس وإقامة مباريات في الخطابة باللغة الفصحى على مستوى البلد الواحد والبلاد

العربية والإسلامية.

4. تنمية الموارد البشرية في البلاد العربية، وذلك بمساعدة المواطن العربي على تنمية قدراته اللغوية والثقافية لتفعيل مشاركته في بناء المجتمع العربي المتكامل.

5. زيادة التنمية العلمية واستخدام العلوم التطبيقية الحديثة ونقل التقنيات المتطورة ذات العلاقة باللغة وتأصيلها في الوطن العربي.

6. تحقيق الوحدة الثقافية العربية وجعلها محوراً أساسياً من محاور مناهج التعليم في جميع مراحل ومستوياته، والحفاظ على التراث الثقافي واللغوي للأمة، والإفادة من وسائل الاتصال الحديثة لنشر الثقافة واللغة العربية.

7. حماية الشخصية العربية في البلدان غير العربية، وتحديدًا الدول الغربية، بإبقاء جسور الاتصال قوية بين الوطن الأم وأبنائه، وبناء المدارس والمؤسسات ووسائل الإعلام التي تركز في مناهجها وبرامجها على اللغة العربية السليمة والقيم الأخلاقية والثقافية العربية.

8. نشر الثقافة واللغة العربية للناطقين بغيرها في العالم، بالتعاون والتنسيق المشترك بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والسفارات العربية وملحقاتها الثقافية، وذلك بعقد المؤتمرات والندوات والدورات الدراسية والحلقات العلمية لمختلف فئات الناس.

9. دعم الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز العلمية المتخصصة في اللغة العربية، سواء أكانت خاصة أم عامة، وتزويدها بالمناهج والمقررات والكتب والمنشورات العربية والمساهمة أيضاً في تطوير أساليب التعليم التي تتبعها في تعليم اللغة العربية ورفعها بالأطر العربية المؤهلة.

10. تشجيع البحوث والدراسات التي تساهم في صون اللغة العربية وحفظ أمنها.

11. وضع البرامج والخطط الدراسية والمناهج والكتب المناسبة للعمل على نحو الأمية في الوطن العربي.

12. تنسيق الجهود بين الهيئات العربية التي تُعنى باللغة العربية، والمنبثقة عن جامعة الدول العربية، كمعهد البحوث والدراسات العربية، ومعهد المخطوطات العربية، ومكتب تنسيق التعريب، والمراكز الأخرى مثل المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

13. تنظيم المعارض والمسابقات والمناظرات وإجراء المبادلات الثقافية واللغوية بين الأندية والمدارس والمعاهد والجامعات.
14. إصدار البرامج المرئية والمسموعة والمطبوعات والمنشورات باللغة العربية الفصيحة وتوزيعها على قطاعات المجتمع المختلفة.
15. منع استخدام الأسماء الأجنبية في التسميات التجارية والصناعية على اختلاف أنواعها واعتماد الأسماء العربية لفظاً ورسماً.

الخاتمة

مرّت اللغة العربية وأهلها وما زالوا بأزمات وكروب تخبو حيناً وتشتد حيناً آخر، وما إن ينقشع غبار أزمة حتى تحل غيرها، ومع هذا فالأمة باقية ما بقي الزمان، فهي أمة الحضارة والتاريخ العريق وأمة الجامعات التي نشرت النور في أوروبا.

واللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم ظل وما يزال رباطاً قوياً يصل أطراف الأمة في مواطنها المختلفة، فهو وسيلة التفاهم بينها وحافظ تاريخها وآدابها وعلومها وكل وجوه حضارتها، وهو من أشد عوامل وحدتها. لهذا كانت الهجمة الاستعمارية الحديثة، وهدفها السيطرة على هذا الوطن العربي، ونهب خيراته، فعملت على إقامة الحدود المصطنعة بين أقطاره، وغرست بذور الخلاف بين أبنائه، وعززت مفهوم القطرية الضيق والتعصب للبلد الواحد دون الأمة بكليتها. وكانت مساعي المستعمر جادة بُذلت لأجلها الجهود والأموال الكثيرة لزيادة نفوذ الأمة وعزلها عن لغتها ولسانها العربي، وعمل على تعزيز لغاته الاستعمارية في جسم هذا الوطن المكلم الذي ما زال عرضة للهجوم ممن كبر أو صغر حجمه من الأعداء، وما هذا إلاّ لضعف اعترانا، ولفرقه أَلمت بنا، ومن هانت عليه نفسه هان على غيره.

لكل هذا كان لا بد من الاهتمام الكبير بالتعريب والأمن اللغوي العربي، لأنه من أشد عوامل وحدة الأمة. والحاجة اليوم تزداد إلى مزيد من التعريب في مجالات عدة أهمها: التعليم في كل

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

مستوياته، والإعلام بكل وسائله، وخاصة المرئي منها الذي غزا كل بيت ووصل إلى كل فرد. وأن يتولى التعريب الغياري، وأن تُبذل الأموال الكافية لدعمهم وتنسيق جهودهم للوصول إلى وحدة في تعريب المصطلحات والمفاهيم، حتى لا يكون المصطلح معرباً بكلمة هنا وبكلمة أخرى هناك.

واللغة العربية بحاجة ماسة إلى وضع سياسة لغوية موحدة تشمل خططها كل الوطن العربي، وتشرف عليها الجامعة العربية ومنظماتها ذات العلاقة، والمجامع اللغوية والجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي، ووزارات التربية والإعلام والثقافة العربية. وبهذا يتحقق للغة العربية سلامتها وأمنها وحيويتها وازدهارها، ليس في الوطن العربي فحسب بل في خارجه أيضاً.

الهوامش

1. د. زهير غازي زاهد، العربية والأمن اللغوي (عمّان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2000)، 13.
2. د. علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع (مصر: دار النهضة، 1971)، 3 - 4.
3. الشيخ صالح بن حميد، خطبة الجمعة في المسجد الحرام بتاريخ 1422/4/22هـ عن الشبكة العالمية للمعلومات.
4. عبد القادر الفاسي الفهري، صحيفة القدس العربي، السنة 17، العدد 5013، 2005/7/8م، عن موقع الصحيفة الإلكتروني .
5. أ.د. طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة، (العدد 69)، (قطر: 1420 هـ)، 21.
6. عمر " محمد أمين " هزليمة، الأمن اللغوي العربي. الأردن: اريد، 2005، 12.
7. الشيخ صالح بن حميد، المرجع المذكور.
8. د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978)، 113.
9. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الثاني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، 1984)، 9.
10. المعجم الوسيط (القاهرة: دار المعارف، 1994)، مادة: عَزَبَ، 591.
11. د. إبراهيم أنيس، مرجع سابق، 131.
12. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الأول (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني 1983)، 158.
13. موقع: مفكرة الإسلام الإلكتروني .
14. د. زهير غازي زاهد، مرجع سابق، 93 - 94.
15. أحمد مختار عمر، الكارثة في الانحرافات اللغوية، مجلة سطور، العدد 46 (القاهرة: 2000)، 74 - 78.
16. أ.د. طالب عبد الرحمن، مرجع سابق، 38.

المراجع

1. أنيس، إبراهيم. من أسرار اللغة، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1978م.
2. حميد، صالح بن. خطبة الجمعة في المسجد الحرام، بتاريخ 1422/4/22هـ. موقع www.khotab.net
3. زاهد، زهير غازي. العربية والأمن اللغوي، عمّان، مؤسسة الوراق، 2000م.
4. عبد الرحمن، طالب. نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة، العدد 69، قطر 1420 هـ.
5. عمر، أحمد مختار. الكارثة في الانحرافات اللغوية، مجلة سطور، العدد 46، القاهرة 2000 م.
6. الفهري، عبد القادر الفاسي. صحيفة القدس العربي، السنة 17، العدد 5013، 8 - 7 - 2005م. موقع صحيفة القدس العربي www.alquds.co.uk

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

7. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الأول، عمان، ط1، 1983م.
8. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الثاني، عمان، ط1، 1984م.
9. المعجم الوسيط، القاهرة، دار المعارف، 1994م.
10. موقع مفكرة الإسلام www.islammemo.cc تحت عنوان التعريب.
11. هزايمة، عمر "محمد أمين". الأمن اللغوي العربي، الأردن، 2005.
12. وافي، علي عبد الواحد. اللغة والمجتمع، مصر، دار النهضة، 1971م.

التحريج العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

وجهة نظرحول (تعزيز مكانة اللغة العربية بالوسائط الداعمة للهوية الثقافية))

أ. د. محمد بلغازي¹

جامعة محمد الخامس - الرباط

المملكة المغربية

على غرار كبريات اللغات العالمية، يتحتم على اللغة العربية العمل على رفع التحديات العلمية والتقانية (التكنولوجية) التي تحملها الألفية الثالثة في ثناياها. ويجمع الباحثون العرب على أن استعمال الوسائل العصرية في المجالين المعلوماتي والإعلامي، مصحوباً بامتلاك خاصية التقانة (التكنولوجيا) الإعلامية لمن شأنه أن يجعل اللغة العربية أداة أساسية وفاعلة في تقدم المعرفة وإغنائها، من ثم في تعزيز مناعة الهوية الثقافية العربية وتحسينها وتقويتها.

إن العصر الذي نعيش فيه يعد دون منازع عصر الاتصال، إذ تحتل الوسائط فيه المكانة الأساسية والمركزية، ولاسيما عند وضع الاستراتيجيات الهادفة إلى دعم بنيات المجتمع. ويفضل التقانة (التكنولوجيا) الجديدة للإعلام، أصبح الاتصال عنصراً أساسياً في التحولات الاقتصادية والاجتماعية لكبريات الدول المصنعة، وفي الانفتاح وتطور عدد من الدول النامية. إضافة إلى هذا، فإن الاتصال يعد العمود الفقري لعولمة الاقتصاد والثقافات، وهو بذلك يبعث على الحقيقة النزاعية للعلاقات بين الأمم، إن لم يكن بين الشعوب.

¹ باحث في علم الاجتماع، أستاذ بالمعهد العالي للإعلام والاتصال جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية.

وكان للتطور الاقتصادي أثر بالغ نحو مزيد من النمو لدى الدول المتقدمة، لاسيما تلك التي تنضوي تحت لواء اتحادات مثل الاتحاد الأوروبي. أما الدول المتخلفة فلم تستفد من هذا النمو العالمي إلا في حدود ضئيلة، في حين تعمقت تبعيتها الاقتصادية بما ينجم عنها من تدهور في الأوضاع الاجتماعية. وأما الدول المتقدمة، وعيا منها بأثر الظرفية تحت وطأة العولمة، فبادرت جميعها إلى وضع استراتيجيات شمولية، تهدف في عمقها إلى الوقاية من الهيمنة المحتملة للولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً على الصعيدين الاقتصادي والثقافي. وما ظهور العملة الموحدة الأوروبية وانفتاح الاتحاد الأوروبي على دول الشرق العشر المنضوية سابقاً تحت لواء الحلف السوفيتي إلا دليل على ذلك. تركية المطالبة الملحة والجماعية بما يسمى الاستثناء الثقافي. وعندما نتحدث عن الاستثناء الثقافي، فإن الاهتمام يتركز بالضرورة أصلاً على الهوية الثقافية. وفي هذا الصدد نتساءل، هل الهوية الثقافية العربية مهددة من طرف عولمة الاقتصاد والاتصال. وإن كان في البدء لا يمكن الجزم بجواب، فيمكن القول إنه على أمد قريب يبقى التهديد نظرياً لكنه قابل للتطور بسرعة، مما يستدعي إعادة النظر في المقاربة السائدة في هذا المجال التي تتخذ غالباً مواقف دفاعية، على حين أضحت هذه المواقف متجاوزة تحت ثقل التحولات العميقة والمؤثرة في المعطيات المكونة للهوية نفسها، وللثقافة والاتصال.

وأمام هذا الوضع أصبحت الحاجة ملحة إلى إعادة النظر في الطريقة التي تطرح بها إشكالية الهوية الثقافية. وفي هذا الصدد، وإن كنت لا أريد سرد المعطيات النظرية، والبحثية الصرفة المرتبطة بالمجالات الثقافية دراسة وتحليلاً، أقترح، من أجل الطرح الحالي للهوية الثقافية العربية، مقارنة من خلال نافذتين اثنتين، أولاً دراسة التحولات التي عرفتتها الهوية، والثقافة والاتصال، وثانيتهما التعريف بالوسائل الجديدة، من أجل تعزيز الهوية الثقافية العربية وتقويتها في خضم العولمة وضمنها اللغة العربية. وقبل هذا وذاك، تجدر الإشارة إلى أن هذه التحولات وتلك الوسائل الجديدة ترتبط أحياناً بالتقانة (التكنولوجيا) والاقتصاد، وأحياناً أخرى بالثقافة والسياسة. وإنه إذن لمن البديهي أن تؤثر هذه التحولات في الطريقة التي تطرح بها اليوم مسألة الهوية الثقافية الجماعية، ثم إنه بقدر ما يتقوى ويتنوع الاتصال في المجتمع الدولي، يجب تحصين هذه الهوية

وتعزيزها، ذلك أن الهوية كانت بالأمس الحصن الحصين أمام الغزو الفكري الدخيل، أما اليوم، فيهيمن الاتصال رافداً لقيم جديدة وأداة فاعلة تقنياً واقتصادياً، بما يترتب عنه من خطورة الانسلاخ الثقافي للهوية.

وإنني بهذا الطرح لا أوافق الخطاب السائد الذي يرى في الهويات الثقافية، خاصة الوطنية منها، إلا بقايا فجة من الماضي ومنبعاً لصراعات اجتماعية، وإن كان ذلك جزئياً هو الحقيقة.

لكننا نعيش في عالم يهيمن فيه الاتجار على أساس امتلاك المعلومات، وهو لا محالة تهديد للهويات الثقافية بطمس خصوصياتها واجتثاث أصولها للعيش المجتمعي والجماعي. ومن هنا تتجلى أولوية إعادة التفكير في الهوية الثقافية العربية في خضم العولمة، بمعنى التفكير في قضايا سياسية مستقبلية كبرى، لعل من أهمها الحفاظ على التراث والهوية العربيين. ويبقى التساؤل مطروحاً إلى أي مدى سوف تتحكم غلبة التقنيات الاتصالية والاقتصاد في التراث الإنساني بشتى تنظيماته ومنها الديمقراطية. ولما كان للإعلام والاتصال قيم عالية في الحفاظ على الرصيد الثقافي وإغناؤه، فإن التراث الإنساني هو الكفيل الوحيد لإعطاء هذه التقنيات مفهومها، وتحديد هدفها في خدمة الإنسانية من أجل رفعة الفرد العربي بين الأمم والشعوب.

1. العلاقة بين الهوية والثقافة والاتصال

لم تكن الهوية في الماضي تتجاوز مفهوم الإحساس بالانتماء الوطني، ولا الثقافة دائرة النخبة العالمية، ولا الاتصال الحالة الاستثنائية، وذلك بسبب الانغلاق الذي كان يحجر المجتمعات.

أما في عصرنا الحاضر، فقد أضحت المعطيات مختلفة، بل جد معقدة تعرف فيها الهويات الجماعية أزمة حادة، تحت وطأة الانفتاح الذي لم يعرفه العالم من قبل، والذي يتجلى في التنقل المستمر والسريع للفكر وللإنسان، وفي التحول الجذري في عالم المعلومات والمتجسد في الإنترنت.

وكان لهذا التحول في حقيقة الأمر وقع إيجابي على الثقافة. فانتشار الديمقراطية في العالم أدى إلى نهضة الثقافات الجهوية وإغناء الثقافات الوطنية، وترتب عنه الارتقاء بالثقافة إلى مستوى عضو أساس في التركيبة المجتمعية، شأنها في ذلك شأن المكونات الأخرى، السياسية منها والمجتمعية والاقتصادية. ويؤكد ذلك الحركة الهائلة التي تلت عولمة الثقافة الغربية والتي تولدت عنها ثقافات جماهيرية، أقل نبلاً ورفعة، لكنها تمكن الفرد المنعزل من الإحساس بالانتماء إلى شريحة مجتمعية معينة. في حين كان للتقدم المطرد في مجال الصناعات الثقافية أثر إيجابي في الحفاظ على التراث وتطوير الإبداع من جهة، وأثر سلبي من جهة أخرى تَبَيَّنَ معه عزلة الفرد وتقلصت دينامية الهوية الثقافية الوطنية.

وأمام أزمة الهوية الثقافية، وخلافاً للأنظمة السياسية اللاديمقراطية، التي ما زالت تستغل الفعل الثقافي لإرساخ الإقصاء المجتمعي وتبرير مواقفها وفرض "مصادقيتها"، فإن الأنظمة الديمقراطية في العالم، ومن بينها قلة قليلة من الدول العربية، فضلت فتح المجال لتنامي الأسواق الثقافية، تاركة بذلك الجامعات والأشخاص أنفسهم يتولون تحصين الهوية الثقافية الوطنية الجماعية وتعزيزها، بناء على معطيات مرتبطة بالتسيير الذاتي لعدد من المرافق الجماعية الإقليمية. لكن العديد من الباحثين يرون في هذه الوضعية الجديدة إضعافاً للهوية الوطنية، ويؤكدون أن الهوية الوطنية وحدة مركبة يجدر بالقائمين على السياسة الثقافية التعامل معها على هذا المنوال، بدلاً من التملص أمام ثقل التنوع الثقافي الذي تحمله وسائل الاتصال الحديثة، وأمام صعوبة المقاربة الثقافية الشمولية في عصرنا الحديث.

وإنني أرى من الضروري أن يهتم جهاز الدولة بالفعل الثقافي وفق معطيات ومخططات محكمة، تأخذ بعين الاعتبار المكونات الموضوعية للتراث الثقافي المحلي والإقليمي، وتعمل على تعزيز كل القطاعات المساهمة في إغناء الرصيد الثقافي الوطني من تربية وطنية، وبحث علمي، وسياحة داخلية، وفنون. وإن هناك مؤشرات موضوعية تؤكد أهمية هذا الاتجاه، أذكر من بينها على سبيل المثال أن العصرية اليوم تعني لدى العالم المتقدم الدفاع عن الثقافة، والهوية،

والتواصل على المستويين الفردي والجماعي. وهذا مفاده أن الصورة التي كانت تقدم عن الهوية في حدودها الوطنية أضحت متجاوزة، إذ غدت الهوية تمتد إلى ثلاثة مستويات هي الفردي، والجماعي والدولي. ومع هذا التطور فإن الثقافة الوطنية لا تتجاوز اليوم حدود التراث الوطني، ولا تؤدي إلى الانخراط على المستويات الثلاثة المذكورة التي تعتبر اليوم أساس الإشعاع الثقافي. وفي خضم هذا التحول الكبير، يحتل الاتصال مكانة الصدارة إلى درجة أن صورة حضارة ما تنحصر في تلك التي تتبعث عن وسائل الاتصال العالمية من سينما، وإنترنت وتلفاز عالمي. فمن خلال الهوية الفردية والجماعية يطل العالم على مختلف الهويات الأخرى المكونة للرصيد الثقافي الوطني أو الإقليمي. وهذه الوضعية الجديدة تؤكد أهمية الصناعات الثقافية، فبقدر ما تطورت وتنامت، تحمل مضامينها إلى أطراف العالم، معرفة ومؤثرة في الكيان الثقافي العالمي. ويكفي أن نلقي نظرة شمولية على فحوى منتجات الصناعات الثقافية في العالم، لنجد أن الهيمنة المطلقة ترجع إلى المنتج الأمريكي إلى درجة أن دولا عظمى مثل فرنسا أو ألمانيا أصبحتا تتاديان بالاستثناء الثقافي. وإن دور الصناعات الثقافية لم ينحصر في هذا الحد، بل إنها ساهمت مساهمة ملموسة في بزوغ ما يسمى اليوم "الاقتصاد الجديد" الذي هو في الواقع نتيجة النمو المطرد لكل من الثقافة والاتصال في توازن وتناسق تامين.

2. الهوية العربية

ليس غرضنا التعريف بالهوية العربية وبمكوناتها، وإنما الوقوف على مكانتها في العالم ضمن الهويات السائدة، في صراعها معها وفي سباقها نحو البقاء.

تتميز الهوية العربية بانخراطها ضمن تاريخ دينامي تمتد جذوره عبر حقبة طويلة من الزمن. وفي هذا الخضم أحدث ظهور الإسلام ونزول الوحي باللغة العربية تحولا هاما في إعادة ترتيب البيت العربي، وخروجه من وحل الجاهلية، وانفتاحه مع الفتوحات على حضارات عريقة كان لها وقع كبير في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية.

وهكذا خلافا لما هو عليه الأمر عند العديد من دول العالم، فإن الوطن العربي حظي منذ فجر الإسلام بهوية قوية متماسكة، تؤسس لها اللغة العربية الدعامة المستدامة، وكان للتنظيم السياسي المركزي منذ السنين الأولى للخلفاء الراشدين دور فعال في اندماج الهويات المسلمة على اختلافها ضمن إطار فكري رحب.

لكن التحولات السلبية التي عرفتھا الخلافة الإسلامية، لاسيما في العقود الأخيرة من العصر العباسي، أدت إلى إضعاف الهوية العربية، خصوصاً بعدما تقهقر العطاء الفكري. وهكذا منذ البداية، كلما ضعف النظام المركزي العربي زاد ذلك في تأزم الوضع الفكري، وتبقى الهوية بهذا الشأن ذات ارتباط وطيد بقوة النظام المركزي. وإذا تصفحنا التاريخ السياسي العربي وجدنا هذه الصورة تتكرر وتتأكد عبر مختلف الحقب. وخلاصة القول إن الهوية العربية تتقوى بقوة النظام المركزي وتضعف بضعفه.

إن الانصهارات المختلفة التي عرفها الوطن العربي عبر تاريخه، تحتم عليه اليوم مزيداً من الانفتاح على الثقافات الأخرى، ومعها جانبها الديني غير الإسلامي. وفي الأساس، فإن الوطن العربي توحدته اللغة والدين والتاريخ المشترك. فإذا هو حصر انفتاحه على مكوناته فقط - أي الدول العربية - فإنه في حقيقة الأمر ينغلق على نفسه. إن لكل من اللغة والديانة الإسلامية الساحة دوراً فاعلاً وإيجابياً في زرع ثقافة الحوار والانفتاح داخل مجتمعاتنا العربية وخارجها في اتجاه المجتمعات غير العربية الإسلامية التي تربطها وإياها علاقات تاريخية أو اقتصادية.

لكن هذا الدور لا يمكنه أن يبلغ أي فعالية إلا بتحقيق عاملين اثنين أساسيين: أولهما لغة عربية غنية في مضمونها ومنفتحة في توجهاتها على الثقافات العالمية، وثانيهما أنظمة دستورية تعتمد الديمقراطية وحقوق الإنسان أساساً للتعامل الداخلي. إن الجمع بين هذين العاملين يكون سبيلاً للانفتاح الثقافي ومعبراً نحو تعزيز الهوية الثقافية. ويبدو جلياً موقفنا من حيث الهوية الثقافية، إذ إنها تتعزز وتتحصن بالانفتاح لا بالانغلاق. فالاحتكاك بالثقافات الكبرى العالمية يشكل مصدراً لإغناء الثقافة العربية ووسيلة قصوى لإشهارها في حظيرة الأمم والشعوب. وقد يبدو

صعباً وضع هذه المعاملة التي تهتم بالحفاظ على الهوية الثقافية، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الثقافات الأخرى بما يحمل ذلك من إمكانات التأثير أخذاً وعطاء. لكن الوطن العربي قوي في ثقافته، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بوحدة اللغة والتاريخ المشترك. بل إن عدداً من الدول الإسلامية غير العربية، إلى حدود عصر الاستعمار الأوربي، كانت تكتب لغاتها المحلية بالحرف العربي. وهو ما يدل على الوجود العربي الثقافي والعقائدي في تلك البلاد، كما يحيل على الدور الذي تقوم به هذه الدول غير العربية في إشعاع الثقافة والفكر العربيين، من خلال التعريف بثقافتها المحلية.

لكن هذا الدور سرعان ما تلاشى في حلقة ظلام الاستعمار وراثت التبعية السياسية والاقتصادية من جهة، وتقلص النفوذ الفكري للوطن العربي في هذه البلاد الإسلامية، من جهة أخرى. لكن هذا الجزر الفكري يمكن استدراكه بالاعتراف أولاً وقبل كل شيء بالمكانة التي تحتلها الثقافات الإسلامية غير العربية ضمن الثقافة العربية الإسلامية الشمولية، وثانياً بانفتاح الوطن العربي عليها وتقاسم قيمها، وثالثاً باحترام خصوصياتها ومعطيات اختلافها، ورابعاً بالتعبير عن الرغبة في مد جسور التعاون الثقافي والاقتصادي معها.

إن التقسيم الإيديولوجي الذي طبع العالم بقطبيه منذ الحرب العالمية الثانية لم يعد قائماً. أحادية القطب أخذت أبعاداً قصوى تولدت عنها شيع كثيرة تتجلى اليوم عبر الحديث عن العولمة، وحوار الحضارات، والحوار شمال جنوب، وغيرها من المصطلحات المتجددة التي تترجم أصلاً لطبيعة الصراع القائم: ثقافي وحضاري في شكله الظاهر واقتصادي استراتيجي في عمقه.

لكن العمل العربي المشترك يعيش أشد أزматыه متأثراً بالتطورات المتباينة في مختلف المجالات، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية. وأما العامل السياسي فيشد إلى وراء الوطن العربي برمته. وهذه الوضعية لا تخدم الأمة العربية من أجل نموها ومساهمتها في المسيرة الثقافية والفكرية العالمية. وكما هو معلوم، فإن بعض الدول العربية أخذت طريقها نحو الديمقراطية، لكن دولا عربية أخرى ما زالت قابعة في غياهب الديكتاتورية عازلة بذلك شعوبها

عن الركب الحضاري العالمي. ولا أرى بدءاً للوطن العربي من أن تتكون لديه معادلة لنمو سياسي متكافئ. فلا يمكن في إطار الوطن العربي المشترك وفي إطار الطموح إلى المساهمة الفعالة في الحوار الثقافي العالمي، أن يكون اختلال في التوازن السياسي بين البلاد العربية. فالبلد العربي الواحد لا يتوفر على الطاقات الكافية لرفع أي تحد من تحديات الحوار الحضاري العالمي، ولكن الوطن العربي، على أنه جسم واحد، في استطاعته تطبيق استراتيجية ثقافية موحدة ترقيه إلى مستوى تكافؤ الفرص مع كبريات التكتلات الدولية.

إن الوطن العربي يتوفر على استراتيجية ثقافية محكمة وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – أليكسو – لكنها حبيسة الرفوف ولم تجد بعد طريقها إلى التنفيذ منذ عقود كثيرة خلت، ولعل الإعاقات المتعددة التي تعطل مسيرة منظمة الجامعة العربية نحو خط سياسي عربي موحد سبب رئيس في تجميد هذه الاستراتيجية الثقافية العربية.

من الملاحظ أن الدول الغربية من أمريكا وأوروبا تعمل دون هواده على تعزيز إنتاجها الثقافي، مع أولوية خاصة لإنشاء مؤسسات متعددة الجنسيات في المجالين الثقافي والإعلامي. وهذا الاهتمام المتزايد يؤكد الوعي الاقتصادي للعمل الثقافي الذي أدى إلى التحام عدد من المؤسسات الإنتاجية الكبرى الفرنسية والألمانية البلجيكية من جهة، والإيطالية والإسبانية واليونانية من جهة أخرى. وليس الهدف الأول هو المزيد من الربح المادي بل الإنتاجية الثقافية لمتطلبات الصراع الثقافي من أجل البقاء. ولم تعد جنسية الشركات الإنتاجية الثقافية هي الشيء الأهم بل طبيعة المنتج الثقافي وجودته العالية، ومدى استجابته للانتظارات المجتمعية والسياسية. وهذا الواقع الذي يتأكد يوماً بعد يوم، تعبير واضح وترجمة لمظاهر العولمة التي أضحت تأخذ صبغة التعددية الثقافية بدلا من فكرة الاستثناء الثقافي. وإذا كانت الدول الأوروبية تجد في التعددية الثقافية مخرجا لأزماتها أمام الزحف الثقافي الأمريكي المتواصل، فما بال الوطن العربي الذي توحدته اللغة والدين والتاريخ المشترك، لا يلتفت حول مشروع موحد يلج معه عالم المنافسة الثقافية وبقي هويته من الاكتساح الغربي.

الإعلام والاتصال العربي

لقد أشرت من قبل إلى أن الاتصال أداة فاعلة في عولمة الاقتصاد والثقافة. لكن في الوقت الذي عرف فيه الاقتصاد الغربي خلال العقدين الأخيرين نموا مطرداً، فإن دول العالم الثالث عرفت مزيداً من التبعية الاقتصادية وتأزماً أكبر في أوضاعها الاجتماعية. وإن أزمة العالم الثالث، وضمنها الوطن العربي، أزمة اقتصادية أصلاً، لكنها في نفس الوقت سياسية واجتماعية وثقافية. وتبقى الأزمة الاقتصادية ذات أثر بالغ على القطاعات الحيوية في البلاد النامية، ومن بينها قطاع الثقافة والاتصال. فالمنتج الثقافي من كتاب ومسرح وغيرها من المجالات الفكرية عرفت تصاعداً كبيراً في العديد من البلاد العربية تحت وطأة الأزمات الداخلية الاقتصادية منها والسياسية، وأما المنتج الإعلامي فيبقى رهين التطورات السياسية. فأصحاب القرار السياسي يجعلون لوسائل إعلامهم الوطنية مهام مؤقتة تنتهي بمجرد مرور الحقة أو الأزمة التي قد تكون تربية، أو سياحية، أو ثقافية أو أمنية. لكن هذا التوجه تقلصت حدته مع مطلع الثمانينيات من القرن الماضي. ويتجلى ذلك حسب الدول، إما في الانفتاح السياسي الداخلي على مكونات مجتمعية وأحزاب سياسية في اتجاه الممارسة الديمقراطية، وإما الانفتاح الإعلامي من خلال قنوات فضائية موجهة للخارج، تشكل نافذة تطل على الوطن العربي بخطابات سياسية متطورة ومواقف ملتزمة، لكن في تناقض تام مع الأوضاع السياسية الداخلية المتشددة لتلك البلاد التي تُبث انطلاقاً منها برامج هذه الفضائيات. ولما كانت الديمقراطية جهاداً يومياً من أجل توطيدها والحفاظ على المكتسبات الناجمة عنها، فإن العمل الإعلامي التواصلي هو العمود الفقري ضمن التوجه الديمقراطي.

وفي واقع الأمر، إن العمل الإعلامي التواصلي في البلاد العربية ينقسم إلى نوعين مختلفين الأول منهما أحادي الاتجاه بين الحكم المركزي وبين مكونات المجتمع، دون اهتمام تلقائي برد فعل هذه المكونات، وهو إعلام عمودي موجه لمصلحة السلطة في البلاد، ويعتبر جهازاً شأنه شأن الإدارة المركزية في البلاد. وأما النوع الثاني فهو إعلام أفقي بين السلطة المركزية وبين

الفاعلين السياسيين من أحزاب سياسية ونقابات، ويتمثل هذا الإعلام الأفقي في تواصل عبر مختلف الوسائل السمعية البصرية بالنسبة للسلطة المركزية، وعبر الصحف بالنسبة للفاعلين السياسيين الآخرين من أحزاب وغيرها. وهو حوار سياسي عبر هذه الوسائل المختلفة يشكل ضمنه الخطاب السياسي المباشر أهم مكوناته إن لم يكن السبب الأساس في وجودها.

إن الإعلام العربي يركز أساساً على الفعل السياسي في مكوناته الداخلية وتأثيراته الدولية. ولما كان العمل السياسي يأخذ القسط الأهم في الاهتمام الإعلامي العربي، فإن المقاربة الفكرية للمجتمع عبر وسائل إعلامه لا ترقى إلى المستوى الذي يؤهل العنصر العربي ويمكنه من المقومات الثقافية التي توطّد انتماءه الثقافي والاجتماعي. وهكذا يبدو جلياً أن نوعي الإعلام العربي المشار إليهما يساهمان بشكل آخر في إبعاد المواطن العربي عن واقعه ويدفعانه إلى اللجوء إلى القنوات الأجنبية لما تحمله من وسائل ترفيه، ومن ترجمة لواقع اجتماعي وثقافي وإن كان لا يمت لواقعه بأية صلة. فلا تعدد القنوات الغنائية أو السينمائية العربية ولا إنشاء قنوات متخصصة في التربية يمكنان وحدهما من ولوج حظيرة الهوية العربية وتعزيزها وتحسينها. إن الخطاب الترفيهي العربي والخطاب التربوي المدرسي منعزلان متباعدان، وأما الخطاب السياسي العربي فمفصل عن الاهتمامات اليومية الأخرى. وبهذا يتجزأ الخطاب الإعلامي التواصلي إلى ثلاثة أجزاء متنافرة يتحتم على الفرد العربي الجمع بين أطرافها حتى تتوفر لديه، إن هو استطاع ذلك، كل مكونات الانتماء الثقافي والاجتماعي. وتتأثر اللغة العربية المتناثرة بين خطابات ثلاثة بابتعادها هي الأخرى عن الواقع اليومي العربي، إما لغة تربوية عالية أو لغة ترفيهية متدنية أو لغة سياسية غامضة.

وفي هذا الإطار تتجلى أهمية المؤسسات العربية التي تُعنى باللغة وبمكوناتها، وبالسهر على نموها نمواً متزناً يتمشى ومتطلبات العصر من تقانة (تكنولوجيا) ومضمون اجتماعي وثقافي. فالاهتمام باللغة العربية في شكلها الأكاديمي أساسي وضروري حتى تبقى اللغة سليمة من الأخطار التي تهددها من جراء الغزو اللغوي لوسائل الاتصال الغربية. لكن الاهتمام باللغة

العربية كواقع ثقافي واجتماعي أمر مصيري، فهو الذي يربط الفرد العربي بواقعه اليومي ويساهم في تكوين هويته الثقافية وتعزيزها. وهذا ما يدفعني إلى تأكيد أهمية تخصيص مجالات أوفر وأكبر للواقع الثقافي والفكري والاجتماعي عبر وسائل الإعلام العربية وخصوصا منها السمعية البصرية. كما يجب ترجمة هذا الواقع بلغة عربية موحدة ومبسطة تكون في متناول المواطن العربي المتوسط، وتجعله ينخرط في هذا الحوار ويشارك في إغنائه بالتماثل إلى النماذج المتطورة والمتقدمة التي يبنيتها الحوار عن مجتمعه وآفاق نموه.

التحريج العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

توجهات أساسية في وضع المصطلح

الأستاذ شحادة الخوري

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

اللغة كائن ينمو، وحياتها في نموها، لأنها إن جمدت وتوقفت عن النمو، كفت عن سدِّ حاجات أهلها المتطورة باستمرار، وتعرضت للهجران والاضمحلال.

لقد أبدع الإنسان العربي لغته في أكمل صورة وأجملها، بالقياس إلى أخواتها اللغات السامية أو بالأصح العربيات القديمة، فكانت تجلياً لفطرته وذكائه وآلة إفصاحه وبيانه، وأداة تعبيره عن مكنونات نفسه، وعن صلته بأبناء جنسه والطبيعة من حوله.

وباللغة العربية تنزّل القرآن الكريم فأغناها بمعانيه السامية، وألفاظه الفصيحة، وعباراته البليغة، فزادها غنى وثراءً وجمالاً، ووحد لهجاتها وفسح لها سبيل التوسع والانتشار في الأرض.

وعندما واجه العرب، بعد الفتوح، ثقافات الأمم الأخرى وعلومهم، وأقبلوا عليها ينقلونها إلى لغتهم ليقرؤوها ويفيدوا منها بلغتهم، لا بلغات الآخرين، أعوزتهم ألفاظ كثيرة للدلالة على أشياء لم يألّفوها، ومعانٍ لم يعرفوها من قبل، فلم يتوانوا عن وضع ألفاظ جديدة لهذه المستجدات، فكانت المصطلحات التي دمجت في اللسان العربي، في تلك الأيام، كما يقول الأمير الشهابي، آلفاً مؤلفة من الألفاظ العربية ومئات من الألفاظ المعربة.

وعلى سبيل المثال نذكر أنهم في مجال الفلسفة وضعوا ألفاظاً عربية على سبيل المجاز كالأزل والأبد، والصورة والجوهر، والقياس والاستنتاج وغيرها كثير. وقد استحسنوا كلمة الفلسفة

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

فعرّبوها، وهي تعني باليونانية "محبة الحكمة" ثم اشتقوا منها فعلاً واسماً: فلسف وفيلسوف.
وفي مجال الطب وضعت أسماء عربية جديدة مجازاً كالجراحة والتشريح والكحالة، وعربوا ألفاظاً أخرى كالترياق والبنج والكافور والقلنج وغيرها.
وقل مثل ذلك في الرياضيات والفلك والطبيعات، وفي أسماء المواليد من حيوان ونبات وجماد.

وبهذه الثورة اللغوية المضافة، صارت العربية لغة العلم والمعرفة، وأداة الترجمة والتأليف والتدريس والبحث لدى العرب ولدى العالم من حولهم في العصر الوسيط، ويهرع لتعلمها القاصي والداني من شعوب الأرض.

ومن الجدير بالذكر أن بين المصطلح والترجمة والتعريب ترابطاً وتلازماً. إن المصطلح أداة للترجمة، والترجمة سبيل للتعريب، والتعريب يتطلبها ويستدعي ازديادهما. وبهذا الثلاث تنمو اللغة وتتجذر المعرفة، ولا سيما المعرفة العلمية التي هي ركن من أركان النهضة الثقافية والحضارية للأمة العربية.

هذا وإن لوضع المصطلحات طرائق معروفة. يقول العلامة مصطفى الشهابي: "إن العربية قد نمت بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، وهي الوسائل التي رجع إليها العلماء والنقل عندما وضعوا آلاف المصطلحات في صدر الإسلام، وسواء أكان ذلك في العلوم الفقهية واللغوية، أم في علوم فارس واليونان والهند وغيرهم من الأمم" ثم يضيف: وهذه الوسائل هي التي نتخذها في زمننا هذا لنقل العلوم الحديثة إلى لغتنا الضادية".

ونعرض بإنجاز تعريفاً لكل من هذه الطرائق أو الوسائل المنصوية تحت اسمي: التوليد والترجمة:

1. التوليد: ويشمل الطرائق التالية:

أ. الاشتقاق: هو انتزاع كلمة من أخرى على أن يكون ثمة تناسب في اللفظ والمعنى مع توافق

في ترتيب الحروف، مثل: من (معرفة) يؤخذ: عارف، معروف... أي من المصدر الذي هو اسم معنى تؤخذ الأفعال والمشتقات على الوجه التالي: المصدر، الفعل المجرد (الثلاثي أو الرباعي) ثم المزيادات من الأفعال. ومن المجرد والمزيد تصاغ المشتقات وفق قواعد محددة: اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، أوزان المبالغة، اسما الزمان والمكان واسم الآلة مثل: من عَلِمَ يؤخذ: عالم، معلوم، عليم، علامة، أعلم... ومن جمع: مجمع، ومن شفى: مشفى...

وهذا ولم يقتصر الاشتقاق على المصادر بل اشتق من أسماء الأعيان العربية مثل ذَهَبَ من ذهب وأبحر من بحر، ومن أسماء الأعيان المعربة مثل: هندس من هندسة، ودرهم من درهم، وفهرس من فهرسة. وكذلك جرى في العصر الحديث فاشتق من أسماء الأعيان العربية مثل: نحالة من نخل، وغِرَاسَة من غرس، ومن أسماء الأعيان المعربة مثل كَهْرَبَ من الكهرباء ومغنط من المغنطيس وأكسد من الأكسيد.

وإن الاشتقاق هو الطريقة الرئيسية لتوليد الألفاظ الجديدة، وأهم وسائل تنمية اللغة العربية للوفاء بمتطلبات تطور العلوم والمعارف العلمية.

ب. المجاز: هو نقل الكلمة من معناها الأصلي الموضوع له إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي علاقة: البحر "مُجَمَّع المياه" يستخدم للدلالة على الرجل الكريم. وقديماً استخدمت مجازاً ألفاظ لا تعدُّ ولا تحصى في مجالات العلوم النقلية والعقلية مثل: الصلاة والزكاة، والصرف والنحو، والأزل والأبد، والجذر والأس...

قال العلامة مصطفى الشهابي: "ولابد لنا من الرجوع إلى المجاز في وضع عدد كبير من مصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة، وكلنا نعرف بعض ألفاظ مجازية وضعت حديثاً كالقطار والقاطرة والسيارة والمدرعة والغواصة والباخرة.

ج. النحت: هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون ثمة تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه، وعدّه بعضهم ضرباً من الاشتقاق. استعمل النحت قديماً في

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

حدود ضيقة فقيل: سبّح من سبحان الله، وحوّقل من لاحول ولا قوة إلا بالله، وحمدل من الحمد لله، وعبشمي نسبة إلى عبد شمس... لقد عدّ الأقدمون النحت سماعياً، ولكن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أجازته عندما تلجئ الضرورة العلمية إليه ويستسيغه الذوق السليم. وفي العصر الحديث استعمل النحت فقيل: برمائي بدل بري مائي، وأفروآسيوي بدل إفريقي آسيوي، وكهرطيسي عوض كهربائي مغناطيسي، وكهرحراري بدل كهربائي حراري. وقد غالى بعضهم في النحت فاقترح بعضهم كلمة قطشرة بدل قطع الشرايين وكلمة فسُكر بدل فحم السكر، فأتوا بكلمة أعسر لفظاً من الكلمتين المدمجتين فكانوا في ذلك كالهارب من الدب فوقع في الجب.

د. التعريب: هو التفوه باللفظة الأعجمية على منهاج العرب في النطق والوزن، قديماً قالوا: الترياق والناطور والفردوس والسوسن... وحديثاً قيل الترام والفلم والسينما والبنطال والأكسيد....

وقد أجازت مجامع اللغة العربية التعريب إذا عجزت الطرائق الأخرى عن توليد المصطلح، فإن وافقت اللفظة الأصوات والأوزان العربية فهي معرّبة كالكلمات السابقة، وإذا لم توافق عدت دخيلة مثل: جغرافيا وإهليلج وغليسرين وتلفزيون وكروماتوغرافيا (التفريق اللوني)... قيل ذلك وقيل: المعرب والدخيل واحد.

يقول العلامة مصطفى الشهابي: "لا ضير في التعريب كلما مَسَّت الحاجة إليه وجميع اللغات يقتبس بعضها من بعض".

2. الترجمة: هي نقل اللفظ الأجنبي بمعناه إلى ما يقابله في اللغة العربية، وفي هذه الحال لا نولد ولا نبتدع لفظاً جديداً، بل نستفيد من الألفاظ العربية الموجودة للدلالة على معانٍ أو ذوات جديدة سداً لحاجة دلالية إزاء الألفاظ الأجنبية مثل: علم النفس مقابل بيسيولوجية ومقياس الحرارة مقابل ترمومتر.

الجهود المبذولة:

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين اللذين ندعوهما عصر النهضة الحديثة، قام لغويون وعلماء رواد بوضع المصطلحات العلمية والحضارية، واستعملوها في مؤلفاتهم ونشروها متفرقة أو مجموعة في مسارد وقوائم ومعاجم عامة ومتخصصة، معتمدين في عملهم على الطرائق التي أتينا على ذكرها.

ودلت دراسة إحصائية على أن الأعمال المعجمية خلال مئة عام 1883-1983 بلغت 531 عملاً بين معجم وقائمة ومسرد منها 53 في الطب و16 في الفيزياء و26 في الاقتصاد... ودلت دراسة أخرى على أن العدد بلغ عام 1989 ستمئة عمل معجمي...

ولئن كان هذا الجهد كبيراً يستحق التقدير، فإن عليه مأخذ منها:

1. **الاختلاف في وضع المصطلحات:** نشأ هذا الاختلاف من تعدد الجهات التي تصدرت لهذه المهمة، أفراد، مجامع، هيئات، مؤسسات، في البلدان العربية وفي خارجها. ولكن الاختلاف لا يتجاوز 5 - 6% مما يستدعي بذل مساعٍ للتنسيق والتوحيد. ولا يخشى على وحدة اللغة العربية منه إذا عولج دون إبطاء أو تأجيل.
2. **التخلف الزمني والتقني:** كتب أحد الباحثين الثقات: "يطرح كل سنة في الساحة العلمية ما يربو على 7300 مصطلح جديد، ونضع نحن العرب ما يقارب 2500 مصطلح ونتخلف بمقدار خمسة آلاف. فكم تراكم من السنوات الماضية وكم سيتراكم في السنوات المقبلة!"
3. **التباين في المنهجية:** إذا كان ثمة اتفاق عام على طرائق وضع المصطلح المذكورة آنفاً، فليس ثمة اتفاق على المبادئ والأسس التي يقوم عليها تطبيق تلك الطرائق، وعلى معايير اختيار المقابل العربي للمصطلح الأجنبي، إذ ليس وضع المقابل هدفاً بذاته، بل الهدف هو الوصول إلى مقابل يحظى بموافقة أهل الاختصاص والصناعة، إن كان خاصاً بعلم من العلوم، أو بقبول الجمهور له إذا كان من الألفاظ العامة التي يتداولها الناس في حراكهم الاجتماعي.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

وفي الواقع، وضعت مصطلحات من قبل مجتهدين قادرين فكتب لها الذبوع والانتشار، ووضع مصطلحات أكثر منها عدداً فلم يتقبلها الناس وبقيت في بطون الكتب والمعاجم.

ومن هنا كانت محاولات عديدة لوضع منهجية مفصلة لوضع المصطلح:

آ. **المنهجيات الفردية:** حاول علماء ولغويون عديدون وضع منهجية مصطلحية لعملهم المعجمي أو عملهم في الترجمة والتأليف أشهرهم: محمد شرف، جميل الملائكة، أحمد الأخضر غزال، أحمد شفيق الخطيب، محمد رشاد حمزاوي.

المنهجيات المؤسسية: هي التي وضعتها هيئات علمية ولغوية، ومنها منهجية اتحاد الأطباء العرب (المعجم الطبي الموحد) ومنهجيات مجامع اللغة العربية ومنهجيات المؤتمرات والندوات العربية. وأهم المنهجيات تلك هي التي وضعتها الندوة التي عقدها مكتب تنسيق التعريب بالرباط عام 1981، وتشتمل على ثمانية عشر مبدأً منها:

1. ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.
2. تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.
3. تفضيل الكلمة المفردة التي تساعد على تسهيل الاشتقاق والإضافة والنسبة والتنشئة والجمع.

وقد أيدت ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العلمي العربي التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومجمع اللغة العربية بعمان عام 1993 منهجية ندوة الرباط المذكورة مع بعض الإضافات.

جاء مؤتمر التعريب السابع الذي عقد في الخرطوم عام 1994 بدعوة من مكتب تنسيق التعريب بالرباط ليؤيد المقررات السابقة ويعدل بعض فقراتها بإضافة بعض القواعد التي أوردتها، وأبين المقصود بها، وهي مستمدة من دراسات اللغوي الكبير محمد رشاد الحمزاوي في دراساته عن تنميط المصطلح الذي يسمى بالإنكليزية Standardization وبالفرنسية Normalisation وهي تعني اعتماد نظام يسهل علينا اختيار المصطلحات ومن مبادئه:

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

1. الاطراد وشيوع الفصح: ويقصد به رواج أو قابلية رواج المصطلح بين المستعملين سواء أكانوا من عامة الناس أو من المتخصصين. ويقصد بالمصطلح هنا اللفظة العربية الفصيحة لا العامية ولا الدخيلة. ويمكن أن يخضع هذا الاطراد للإحصاء أي معرفة مدى وروده في المصادر والمراجع والمؤلفات والترجمات.
 2. يُسر التداول: ويقصد به أن يكون المصطلح لفظاً سهلاً ييسر التخاطب والتواصل، فلا تكون اللفظة طويلة أو مركبة من جملة أو معقدة الشكل.
 3. الملاءمة: ويقصد بها دقة التناظر بين المصطلح العربي والأجنبي، ولا يتداخل مع غيره، ويجب النظر في الميادين التي يستعمل فيها المصطلح.
 4. الميزات: ويقصد بها قابلية المصطلح للاشتقاق منه وتثنيته وجمعه وتصغيره والنسبة إليه.
 5. إثثار الكلمة التراثية على الكلمة المستحدثة: ويقصد به أن الكلمة التراثية مفضلة إذا أدت الغرض وأفادت المعنى المطلوب.
 6. التعريب عندما يتعذر وضع المصطلح العربي.
- ويقصد بذلك أن الأصل أن نضع لفظة عربية تراثية أو مستحدثة عن طريق الاشتقاق أو المجاز كلما كان ذلك ممكناً. وفي حال تعذر ذلك يعمد إلى التعريب باقتراض اللفظ الأجنبي وإعطائه وزناً عربياً، إن أمكن، علماً بأن جميع اللغات في العالم يقتضض بعضها من بعض عند الضرورة.
- وفي الندوة التي أقامها اتحاد مجامع اللغة العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1999 صدر 19 قراراً و5 توصيات استوعبت كل ما سبقها وأضافت إليه. ومما أضافته: توصية اتحاد المجامع اللغوية العلمية تكليف لجنة بتأليف كتاب مرشد يشرح المبادئ الأساسية للمنهجية الموحدة التي أقرتها الندوة، ويتضمن بياناً واضحاً شافياً لكل مبدأ مع تقديم أمثلة مناسبة تساعد على وضعها موضع التطبيق.

وختاماً أعتقد أن الرجوع إلى المنهجية التي اكتملت أو كادت في الندوة الأخيرة التي أشرنا إليها، يقدّم عوناً لمن يُقدّم على وضع المصطلح، ولكنها لا تُغني عنه غناءً أن يكون مزوداً بثقافة عامة واسعة وإطلاع كافٍ على التراث العربي، ومعرفة حسنة باللغة العربية وأوزانها الصرفية وباللغة الأجنبية التي تحمل المصطلح الأصلي، ومتحلياً بحس رفيف وذوق سليم يعينانه على حسن الاختيار.

إن عملاً كبيراً وشاقاً ينتظر المؤسسات العلمية والثقافية وفي مقدمتها الجامعات، هو رصد المصطلحات الجديدة التي تدخل ساحة المعرفة في العالم، بأعداد متزايدة في هذا العصر الذي يشهد ثورة علمية وتقنية متسارعة، والمبادرة إلى وضع مقابلات عربية لها قبل أن يسبقها إلى ذلك أفراد غير مؤهلين هنا وهناك، وإزالة المقابلات المتعددة للمصطلح الواحد، وكذلك تدارك ما فات البلدان العربية من مصطلحات جارية في العالم، ولم يوضع لها ما يقابلها، مع إعادة النظر في ألوف من المصطلحات التي وُضِعَتْ، ولم يأخذ بها أهل الاختصاص والجمهور لافتقارها إلى الشروط اللازمة للشيوخ والديمومة.

فهل تنهض المؤسسات المذكورة بهذه المهمة؟

أمثلة تطبيقية

الطرق السريعة

تطلق على نوع من الطرق في العالم تسميات خاصة:

بالإنكليزية motorway (U.K) Highway (U.S) Freeway (U.S)
وبالفرنسية autoroute, grande route

إن هذه التسميات لا تدل دلالة واضحة على خاصية هذه الطريق، فوصف الطريق بأنها حرة أو عالية أو كبيرة... لا يُعبّر عن حقيقتها، وإنما هي مصطلحات تقارب الحقيقة مقارنة محدودة ولكنها شاعت في بلدان الغرب وتقبلها الناس.

وما دمنا نملك حرية اختيار مقابل عربي لها، ففي مقدورنا أن نختار صفة لهذه الطريق تمنحها هويتها وتميزها عن الطرق الأخرى دون أن ننقيد بترجمة المصطلح الإنكليزي أو الفرنسي.

وانطلاقاً من مبدأ: الأمور بمقاصدها، وإذا كان القصد من إحداث هذه الطرق إتاحة الفرصة للسيارات للانطلاق بأقصى سرعة دون عوائق، فيحسن تسميتها: الطرق السريعة.

الرومانسية

Romanticism الإنكليزية و Romantisme الفرنسية تستخدم هذه اللفظة للدلالة على الحركة الأدبية والفنية والفلسفية التي بدأت في الغرب الأوربي في أواخر القرن الثامن عشر واستمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تتميز بتغليب الخيال، وتأكيد العاطفة، والولع بالطبيعة، والميل إلى الكآبة، وتصوير الخبرات الذاتية، وتمجيد الأنا، والثورة على التقاليد الاجتماعية...

أطلق عليها الأدباء والنقاد المعجبون العرب عدة مقابلات: الرومانسية والرومانتيكية

والرومانتية والإبداعية والابتداعية.

ومن المقارنة بين هذه المقابلات العربية، نستبعد لفظتي الإبداعية والابتداعية، لأن الإبداع ليس وقفاً على أصحاب هذه الحركة، بل في كل مذهب أدبي أو فني أو فلسفي إبداع ومبدعون. وكذلك نستبعد لفظة الرومانتيكية والرومانتية ونفضل عليها لفظة الرومانسية، لأنها أقرب منهما إلى الأصل نطقاً، ولأنها أرشق منهما لفظاً، وأخف على السمع واللسان.

المفاضلة بين المقابلات المصطلحية

Pendulum (E) Pendule (F)

وضعت لهذا المصطلح عدة مقابلات عربية رقّاص في العراق، وخطّار في الأردن، ونوّاس في سورية، وعُرّب في مصر بلفظة: بُندول.

وإذ حصل تعدد في المقابلات العربية لمصطلح أجنبي واحد، فينبغي المفاضلة بين هذه المقابلات للوصول إلى اللفظة العربية المفضّلة.

- أ. نستبعد لفظة (بُندول) المعربة لأنه متاح لنا أن نجد لفظة عربية الجذر ملائمة، ولا يلجأ إلى التعريب أو تقبل الدخيل إلا في حال تعذر إيجاد لفظة عربية عن طريق الاشتقاق أو المجاز.
- ب. نستبعد كلمة "رقاص" لأن المعاجم العربية عرّفت الرقص بأنه تنقل الجسم وتحركه واهتزازه على أنغام الموسيقى أو الغناء، وليس في حالتنا هذه لا موسيقا ولا غناء. أضف إلى ذلك أن الرقاص هو الكثير الرقص، وليس لهذا الجهاز صلة أو مشابهة أو مشاكلة بهذا المعنى.
- ج. نستبعد لفظة "خطّار" لأن المعاجم العربية عرّفت فعل "خطر في مشيه خطراناً" اهتز وتمايل وتبختر، وليس في عمل هذه الآلة تبختر البتة.

أما لفظة "نوّاس" فهي صيغة اسم آلة على وزن فَعَال مشتق من فعل ناس ينوس نَوْساً ونوّساناً، ومعناه في المعاجم العربية تحرك واضطراب وتذبذب.

إنها لفظة أقرب بدلالاتها إلى عمل ذلك الجهاز وحركته، إضافة إلى قابليتها للتنشئة والجمع والنسبة، وجرسها الناعم الخفيف ييسر شيوعها.

Computer (E) Ordinateur (F)

وضعت لهذا المصطلح عدة مقابلات: حاسب وحسابية، وحاسب آلي، وحاسوب، وعقل الكتروني إزاء اللفظة الإنكليزية، ونظامه ورتابة إزاء اللفظة الفرنسية.

والواقع أن لكل لفظة من هذه الألفاظ صلة بعمل هذه الآلة، ولكنها جميعاً لا تعبر عن عملها الكامل، لأن هذه الآلة ليست مجرد جهاز حساب وترتيب وتنظيم ولا هي عقل مبدع بالطبع.

بيد أن هذا الأمر سائغ لأنه لا يشترط في المصطلح استيعاب كل معناه العلمي والعملية، كما نصت على ذلك المادة الأولى من المبادئ التي أقرها مؤتمر الرباط لتوحيد منهجية وضع المصطلح المنعقد عام 1981 بالرباط في المغرب.

ولكن المنطق يقضي باختيار اللفظ الأكثر دلالة، وعلى هذا الأساس اختيرت كلمة (الحاسوب) اعتماداً على أن هذا الوزن "قاعول" هو من أسماء الآلة من جهة، ويدل على المبالغة في القيام بالعمل، أو المبالغة في الآلة نفسها من حيث هي، كالساطور والطاحون والناقور (البوق والصور) من جهة أخرى، كما جاء في كتاب "معاني الأبنية" للدكتور فاضل السامرائي ص 127.

إن هذا الوزن المشتمل على المبالغة أكثر دلالة على هذه الآلة المعروفة بقدرتها على إجراء العمليات الحسابية بسرعة مذهلة، إضافةً إلى قابليته للتنشئة والجمع والنسبة، مع قابليته للشروع على ألسنة الناس وأقلام الكتاب.

التحريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

إشكالية المصطلح في التعريب والترجمة

د. عبد الله أبو هيف*

جامعة تشرين

يستند تشكل المصطلح إلى جانبين لغوي ومعرفي، مما يؤكد تواصله مع جذوره وأسسهِ اللغوية والثقافية الذاتية من جهة، ومع المتغيرات والمؤثرات اللغوية والثقافية الأجنبية من جهة أخرى، وبات جلياً أن الإقرار بالقطيعة المعرفية في هذا الجانب أو ذاك، من شأنه أن يعوق عملية التعريب التي لا تتلزم مع عملية الترجمة تماماً، لأن التعريب تعالق لغوي ومعرفي بين ثقافة الذات وثقافة الآخر، والتعريب توسعة في الترجمة تأخذ بمعطيات الملفوظية العربية والتوافق مع صيغها وضبط كتابتها والنطق بها، ومراعاة قواعد الاستصحاب اللغوي من المعجمية والوضعية إلى الدلالية والمجازية، اشتقاقاً أو مجازاً أو نحتاً أو تركيباً مزجياً أو تركيباً إضافياً.

ولا يقتصر التعريب على الترجمة وحدها، بل يعتمد أيضاً على الاقتراض اللغوي وعلى إثرائه بعناصر التمثيل الثقافي والخصائص العلمية.

أتناول في هذا البحث إشكالية المصطلح في التعريب والترجمة من خلال تشكل المصطلح السردى أنموذجاً.

1. مفهوم المصطلح

ينتظم المصطلح بالاتفاق أو التواضع على معنى أو دلالة لما هو مخصوص بهذا العلم أو ذاك، ويرتهن المصطلح لغوياً بالاشتغال على الارتجال والاشتقاق والقياس والمجاز والتوليد

* مدرس في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تشرين.

والإقتراض والنحت، ويفيد الارتجال وضع كلمات جديدة أقرب إلى الاختراع، ويفضي الاشتقاق إلى مناسبة اللفظ للمعنى أو الدلالة، ويعرّف اللغويون القياس بحمل المجهول على المعلوم أو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، ولو كان من مصطلح أجنبي، وينقل المجاز الكلمة من المعنى القديم إلى معنى جديد مع قرينة دالة على ذلك النقل في تواصله مع المعنى الحقيقي، ويسمى التوليد بتحويل المعنى أو نقل الدلالة باستخدام النحت والتركيب والاشتقاق والمجاز، ويستند الاقتراض إلى أخذ كلمة أو أسلوب من لغة واستعمالها في لغة أخرى، ويسمى الاقتراض معرباً أو دخيلاً أو ملحوناً أو أجنبياً أو أعجمياً، ويصوغ النحت المصطلح من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه دفعاً للالتباس وملاذاً للاختصار⁽¹⁾.

وعُني كثيراً بالاقتراض على أنه نافع في تعريب الألفاظ والمصطلحات، ومؤثر في اللغة والأدب والنقد، وفهم الاقتراض لغة من المادي والحسي دخولاً في المعنوي مثل قرض المال، فصار الاقتراض اللغوي اصطلاحاً أقرب إلى «إدخال أو استعارة ألفاظ أو غيرها من لغة إلى أخرى، وقد استعمل أهل اللغات لفظ الاقتراض borrowing والنقل الاستعاري emprunt والإدخال innovation، وأدخلوا على الألفاظ التي أدخلوها في لغتهم Loan-words. أما العرب فقد أطلقوا على عملية نقل الألفاظ واستعارتها لفظ التعريب وعلى الألفاظ المقترضة الألفاظ المعربة، كما استعملوا لذلك اصطلاحات أخرى كالدخيل والمولد والمحدث»⁽²⁾.

ويعتمد وضع المصطلح على اللغة وقواعد استصحابها وحقولها الدلالية ونظمها العلامية أو الإشارية، ويرى اللسانيون أن آليات وضع المصطلح لا تخرج عن الإشارة اللغوية والعلاقة بين الدال والمدلول والمرجع، لتعزيز الصلة بالواقع في الوقت نفسه، غير أن خصوصية المصطلح تستدعي الاعتبارات المعرفية التي قد تكون نابعة من لغة أو ثقافة أجنبية، والمعجم

⁽¹⁾ أحمد مطلوب: المصطلح: نشأته وتطوره. ضمن أبحاث «مؤتمر قضايا المصطلح العلمي» (مجمع اللغة العربية

بدمشق . 10-12/10/2004)

⁽²⁾ سميح أبو مَعلِي: تعريب الألفاظ والمصطلحات وأثره في اللغة والأدب، وزارة الثقافة، عمان، 2003، ص 41.

اللغوي لا يكفي وحده لاستخلاص المصطلحات على تعدد الوحدات الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية والدلالية، وتسعف المرجعية وثراؤها المعرفي في تحديد المصطلح، على الرغم من تأكيد اللغويين فاعلية الاشتقاق اللغوي في وضع المصطلح، ولا سيما الاشتقاق الإبدالي بشكليه الصرفي واللغوي، وهو جعل حرف بدل حرف آخر في الكلمة الواحدة وفي موضعه منها، ضمن اشتراطات محددة ودقيقة مثل ألا يؤدي هذا الإبدال إلى ولادة كلمة ذات حروف لا تأتلف، أو لا تتسجم مع النظام الصوتي للعربية، وألا يؤدي الإبدال إلى مشترك لفظي أيضاً، ما أمكن ذلك، وإذا كان لابد من وقوع الاشتراك فيفضل المشترك اللفظي الأقل شيوعاً، وأن يقتصر استعمال الإبدال على المصطلحات العلمية للضرورة، في حال انعدام إمكان الترجمة أو الاشتقاق الصرفي⁽³⁾.

ولا يخفى أن المصطلح وضعي واعتباري متفق عليه ومتواضع على مدلولاته في إطار تخصصه، بين المختصين في هذا العلم أو ذاك، تقليلاً من انتشار المصطلح الأجنبي وتعميقاً للألفاظ العربية لنفي القطيعة المعرفية مع التراث العربي وتراث الإنسانية معاً.

وصار معترفاً بالجانب المعرفي والجانب اللغوي في وضع المصطلح عند أهل الاختصاص بالدرجة الأولى، ويتضح ذلك في الأخذ ببعض الشروط لتصبح الكلمة أو العبارة مصطلحاً، وفي مقدماتها إضافة فكرة أو مفهوم جديد لدى اقتراح المصطلح، واللغة وسيلة لذلك، وليست هدفاً في حد ذاتها، مما يستلزم صياغة المصطلح بعد دراسة وافية للمسارد المصطلحية الخاصة بعلم معين، والتشاور مع أهل الاختصاص، ليكون المصطلح الوليد منسجماً مع النسق المفهومي للعلم، ومعبراً بدقة عن منطقته الداخلي⁽⁴⁾.

⁽³⁾ ممدوح خسارة: فاعلية الاشتقاق اللغوي في وضع المصطلح: الاشتقاق الإبدالي نموذجاً، ضمن مؤتمر «قضايا المصطلح العلمي» (مؤتمر قضايا المصطلح العلمي).

⁽⁴⁾ محمد العربي ولد خليفة: المفهوم والمصطلح، نحو قواعد للمعطيات المفهومية، المصدر السابق.

وتكاد تستقر الجهود في المصطلح العلمي الحديث على اللغة حتى سبعينيات القرن العشرين، أي إن العناية بالجانب العلمي للمصطلح وتطور تقاناته ضعيفة، خلا جهود علماء ومترجمين في هذا العلم أو ذاك كالطب والهندسة على وجه الخصوص، وسادت عمليات ترجمة المصطلحات ضمن اجتهادات خاصة غالباً، مثلما يفصح عن ذلك كتاب «الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث» الوصفي، فقد اقترنت عمليات وضع المصطلح العلمي بعمليات نقل العلوم الحديثة عند العرب، واتجهت جهود مجامع اللغة العربية ومنهجيتها في وضع المصطلحات إلى جهة الترجمة، وقليلاً ما تدخل في مستوى التعريب أو المعرب، وتطورت عمليات وضع المصطلح العلمي خلال العقود الثلاثة الأخيرة ضمن عمل الهيئات والمنظمات في توحيد مصطلحاتها، واهتم، على سبيل المثال المعهد القومي للمواصفات والمقاييس بتونس، بعلم المصطلحات بتشجيعه للترجمة، وهذا ما عالج محمد علي الزركان في فصول كتابه المشار إليه⁽⁵⁾، غير أن المفيد والأنسب هو مضاعفة تنسيق التعريب لدى الأفراد والمؤسسات والمنظمات العربية المعنية بذلك، ولا يخفى أن مكتب تنسيق التعريب بالرباط لا يلقى الدعم المطلوب منذ زمن.

2. منهجية موحدة للمصطلح

يستدعي وضع المصطلح باللغة العربية منهجية موحدة تؤدي إلى التوافق بين التأصيل اللغوي عناية بترائه وبخصائصه من جهة، وبين التعريب أو الترجمة من جهة أخرى، بلوغاً لوضع معاجم مصطلحية قائمة على التخصص، ومقاربة الفصحى، والضبط العلمي، وإدراك المستويات اللغوية المعجمية والبلاغية والدلالية والعلمية والافتراضية.. الخ.

وتتوافق المنهجية مع تنمية الجهود العربية الشاملة لهذه المنهجية، لتأطير مكانة التعريب والترجمة في منهجية وضع المصطلح، وذلك بإعداد المعرّبين والمترجمين وتأهيلهم والارتقاء بكفاياتهم، ووضع نظم تشجيعية وتقديرية عربية للمعرّبين والمترجمين، والتخطيط لمشروعاتها

(5) أنظر: محمد علي الزركان: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1998.

متلاحمة مع المشروعات الثقافية العربية، والتنسيق والتكامل القومي.

واتفق المشاركون في ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح» (دمشق 25-1999/11/28) على مبادئ كثيرة، نذكر منها:

1. الحرص على استعمال ما جاء في التراث العربي من مصطلحات عربية أو معربة وتفضيل المصطلحات التراثية على المولدة.

2. إلحاق كل مصطلح بتعريف موجز دقيق يبين دلالاته العلمية.

3. عندما ينقل مصطلح علمي من الأجنبية إلى العربية يُبدأ بإثبات معنى أصله في اليونانية أو اللاتينية أو غيرها ثم يوضع المقابل العربي.

4. تفضيل الكلمة المفردة لأنها تتيح الاشتقاق والنسبة والإضافة والتنثية والجمع.

5. تفضيل الكلمات العربية الفصيحة على الكلمات المعربة، إلا إذا اشتهر المعرب، وتجنب النافر من الألفاظ.

6. تجنب الكلمات العامية إلا عند الضرورة، ويفضل في هذه الحالة أن تكون شائعة في أكثر من قطر عربي، وأن يشار إلى عاميتها بوضعها بين قوسين.

7. التعريب عند الحاجة، ولا سيما المصطلحات ذات الصبغة العالمية، وأسماء الأعلام المستعملة مصطلحات، والعناصر والمركبات الكيماوية.

8. عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتي:

أ. ترجيح ما يسهل النطق به بالعربية من الألفاظ المعربة عند اختلاف النطق بها في اللغات الأجنبية.

ب. التغيير في شكل اللفظ لكي يصبح مستساغاً وموافقاً للصيغ العربية، على ألا يؤدي هذا التغيير إلى وضع كلمات يكون لها بالعربية معانٍ محدّدة غير المعنى المقصود.

ج. يُعدّ المصطلح المعرب عربياً، يخضع لقواعد اللغة، ويجوز فيه، عند الضرورة، الاشتقاق والنحت.

د. تصحيح الكلمات العربية، التي حرفتها اللغات الأجنبية، واستعمالها باعتماد أصلها

الفصيح.

هـ. ضبط الكلمات عامةً، والمعرب منها خاصة بالشكل حرصاً على صحة النطق بها.

9. ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي⁽⁶⁾.

وأظهرت الدراسات المقارنة للترجمة أن «المصطلح قرين البحث العلمي ونتاجه، والمصطلح مفهوم، والمفهوم لا يتحصل إلا من نشاط البحث العلمي ومعايشة العلم وبفضله، لأن المصطلح لغة، أي فكر أو مفهوم، هو الوجه الآخر للفعل الاجتماعي في وحدة وتكامل». و«أن المصطلح ظاهرة اجتماعية يولد ويحيا من النشاط الاجتماعي، ولغة العلم تنمو وتزدهر في وطن يرعاها حين يجسدها في فكره ونشاطه فتكون بعضاً من وجوده الحياتي»⁽⁷⁾. ويؤدي ذلك إلى تدقيق الإطار المعرفي للمصطلح كونه فكراً وثيق الصلة باللغة وبالمجتمع، وبالخطاب العلمي.

وبات واضحاً أن وضع المصطلح يرتبط بمنهجين متقابلين، تواصلاً مع علماء الدلالة الألمان، هما المنهج الأنثولوجي (Unmethology) المتمثل في اعتماد المدلولات أو المفاهيم أو المتصورات معبراً للوصول إلى الدوال التي تعنيها من المعجمي إلى تطبيقه العلمي، والمنهج السيميولوجي (Symiology)، وهو طريقة في الدراسة الدلالية تجعل العلامات أو الدوال معابر إلى المعاني أو المدلولات، أي إن المصطلح دلالي ينهض على التفكير والاختيار الدلالي والوسائل المعجمية والاختيار التركيبي بلوغاً للرسالة (معنى المصطلح)⁽⁸⁾. وتلا ذلك صيغ الاعتبارات دلالية وعلامية وجدولية أو نسقية. وتضاعفت إشكاليات وضع المصطلح

⁽⁶⁾ من توصيات مؤتمر «قضايا المصطلح العلمي»، مصدر سابق، ولم تطبع أبحاث المؤتمر وأوراقه حتى الآن.

⁽⁷⁾ شوقي جال: الترجمة في العالم العربي في ضوء مقارنة إحصائية واضحة الدلالة. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص 162-163.

⁽⁸⁾ توفيق قريرة: المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، كلية الآداب، منوبة/ دار محمد علي، تونس، 2003. ص 16-17.

في مجتمع المعرفة أو الثقافة الرقمية، وثمة توكيد لفكرتين مستجديتين في مجال تعريب العلوم والتقانة، ومن أسسها وضع المصطلح، هما:

أ. اللغة وعاء المعرفة والمصطلح مادتها، لذلك يأخذ كل من التعريب والترجمة والمصطلح أهمية جديدة في ظل اقتصاد المعرفة، ويؤدي دوراً اقتصادياً متموياً إضافة إلى دوره السابق في المجال العلمي والثقافي.

ب. تقدم التقانات (التكنولوجيات) الحديثة وهي أساس اقتصاد المعرفة، فرصة سانحة للاستفادة منها وتسخيرها في التعريب والترجمة وفي توليد المصطلح وتوحيده ونشره. ومن هذه التكنولوجيا: المعلومات والاتصالات واللغة والإعلام⁽⁹⁾.

أفادت المنهجية في وضع المصطلح مراعاة الخصوصيات اللغوية أولاً، والافتراضية المعرفية ثانياً للمواءمة بين اللغة العربية والتعريب والترجمة، إذ أثرت تقانات المعرفة الافتراضية كثيراً في اللغة ضمن المنهلة النصية وتعدد تقانات التعاضد اللغوي والمعرفي.

3. علمية المصطلح:

يلاحظ مما سبق أن الاشتغال العلمي على المصطلح لغوي بالدرجة الأولى، ثم تنامي وتعمق في جانبه البلاغي والدلالي استفادة من التعريب والمعرّب أولاً، ومن الاشتقاق ثانياً، ومن الافتراضية العلمية ثالثاً، بالنظر في تطور المناهج النحوية والصرفية والدلالية، ولا سيما التعالقات العلامية في تحديد أقسام الكلام، والمقولات الصرفية مبنى ومعنى، والقرائن ووظائف الجملة بالنظر في التعريفات النحوية بالأساس، وما يندغم فيها من تعريفات دلالية وتعريفات علامية، فقد أضحى جلياً، لدى درس المصطلح النحوي، عند اللغويين النحويين بخاصة ما يلي:

- اعتقاد النحوي أن المتصور مشكل، ولا بدّ من تعريفه.
- حاجة النحوي للتعريف منطلقاً للتفسير أو التوضيح أو التعليل أو الحجاج.

⁽⁹⁾ محمد مزاياتي: تعريب العلوم والتكنولوجيا وضرورته مع توجه العالم نحو اقتصاد المعرفة، ضمن «مؤتمر قضايا المصطلح العلمي». ص 99.

- حاجته إلى تعديل الحدّ الموضوع سابقاً ونقده كي يقدم بديلاً عنه⁽¹⁰⁾.

ثم ارتهن وضع المصطلح بمراعاة الجانب المعرفي والتقني في مقاربات مجتمع المعرفة أو الثقافة الرقمية، مما يستدعي ارتقاء المعرفة باللغات الأجنبية وبالحوسبة وتقاناتها الحديثة، فثمة إقرار بمكانة تعريب العلوم والتقانة في وضع المصطلح عند أهل الاختصاص بهذا العلم أو ذاك.

لقد اعتمدت علمية المصطلح في الجهود اللغوية العربية الحديثة على منهجيات تقليدية شديدة التواصل مع التراث العربي بالدرجة الأولى، وثمة اجتهادات قليلة تتواصل مع التعريب أو الترجمة دون مراعاة الخصوصيات اللغوية العربية غالباً، في مجالات اللسانيات بخاصة والعلوم بعامة.

ولم تحدد المناهج اللسانية اصطلاحياً، ولم تؤطر علميتها إزاء توحيد المصطلح وتعالقه مع الخصوصيات اللغوية العربية، ولا سيما مستوياتها البلاغية والدلالية والمعرفية، ويتطلب تأكيد ذلك دراسة موسعة، لعلنا نقوم بها لاحقاً.

أما مراعاة الجانب الافتراضي في علمية المصطلح، فما زالت جهود الثقافة الرقمية في اللغة العربية محدودة في وضع المعاجم والمصطلحات وفضاءات العلوم المختلفة، وأفاد الخبير نبيل علي أن فجوة اللغة مع مجتمع المعرفة متصلة بصناعة المعجم والتنظير المعجمي والمصطلح وحوسبة المعجم، وتعاني فجوة المصطلح في أدوات توليده، المتمثلة في عجز وسائلنا عن ملاحقة الطلب المصطلحي المتصاعد، إذ يضاف إليه كل يوم عدة آلاف، وفي توحيد المصطلح في الأقطار العربية، والمعنيين بالمصطلحية اللغوية العربية⁽¹¹⁾.

⁽¹⁰⁾ المصطلح النحوي، مصدر سابق، ص 205.

⁽¹¹⁾ تشير كتابات نبيل علي الخبير في الثقافة الرقمية إلى وجود فجوة عربية مع مجتمع المعرفة لدى تقليل العناية بها، أنظر: الفجوة الرقمية: رؤية عربية لمجتمع المعرفة، الكويت، أغسطس 2005، ص 341 وص 351.

4. المصطلح والتعريب والترجمة

سُمي التعريب عند بعض اللغويين اقتراضاً لدى استخدام اللفظ الأعجمي على طريقته في اللفظ والنطق، محافظة على الأوزان العربية والإيقاع العربي، قدر المستطاع، لتتنامي مع روح العربية وموسيقاها، وارتقى مفهوم الاقتراض إلى التواؤم مع اللغة العربية، في طبيعتها وخصائصها ومقاصدها الذاتية والحضارية، فهي مكون نفسي واجتماعي وتاريخي، ووعاء حضاري، ومقوم وجودي مستقل⁽¹²⁾.

وينفع التعريب في التنمية اللغوية والقومية والحضارية كلما جاوزنا معوقاته، مثل التخلص من ضعف القدرة على امتلاك اللغة العربية حديثاً وكتابةً وتعبيراً، ومجانبة توهم عجز العربية وصعوبتها، ومعالجة تخلف البحث العلمي العربي، ومجاوزة ضعف الغيرة على العربية⁽¹³⁾، عناية قصوى باللغة العربية عند العرب جميعاً، في مختلف مجالات الحياة.

وتتركز إشكاليات تعريب المصطلح في خمول الشغل اللغوي والعلمي العربي من منظماته القومية إلى عمل حكوماته ومؤسساته، ولا سيما وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة والإعلام، فثمة «تعريبات» فردية في هذا المصطلح أو ذاك، وثمة «تعريبات» خاصة في هذه المؤسسة أو تلك دون عناية بالخبرات اللغوية أو المعرفية، والمفيد هو تطوير الاشتغال على قضية التعريب على نطاقات عربية ودولية، وليس ذلك عسيراً كلما ثمرنا طرائق وضع المصطلح والانتقال بها من الترجمة إلى التوليد والاشتقاق والاقتراض للتقليل من مجرد نقل «الدخيل» أو «الملحون» إلى التعريب من خلال جذور اللغة وتعاقبيتها وتشكلاتها وقواعد استصحابها ونظمها العلمية وتسنيها إلى حدّ «التشفير»، وهناك مخاطر كثيرة ناجمة عن التعريب إذا أهملت هذه القضية، وأكتفي بالإشارة إلى الترجمة الفردية أو الخاصة، لأن الجهود العامة أو المشتركة لا تجاوز هذه الخصوصيات اللغوية، وإذا انقطعت العربية عن موروثها اللغوي والحضاري مثل الحديث عن

(12) شحادة الخوري: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس، دمشق، 1989، ص158-160.

(13) ممدوح خسارة: التعريب والتنمية اللغوية، دار الأهالي، دمشق، 1994، ص62-71.

«الحن» ودلالاته، غير الفصيحة، أو المولدة، أو المنقولة الجديدة، فمن الطبيعي «أن تنشأ عربية جديدة، وهو أمر تقتضيه طبيعة الحضارة وأنماطها في العيش التي تبتعد كل الابتعاد عن البداوة، غير أن علماء العربية ظلوا أمناء على الحفاظ على العربية البدوية سعياً منهم إلى أن تكون العربية الحضرية سائرة في حدود الفصاحة القديمة»⁽¹⁴⁾، أي إن إشكالية التعريب قائمة ما لم تتواصل العربية مع الآخر (الأجنبي) أيضاً في اللغة والثقافة والمعرفة.

والمفيد دائماً في نفي إشكالية التعريب هو تعضيد اللغة العربية بالافتراض اللغوي وفق خصائصها من جهة، ودفع «عملية التعريب نحو مداها الأقصى على المستويين الأفقي والعمودي، أي على مستوى توسيع رقعة عدد المتعاملين بها، وعلى مستوى إتقانها وتشذيبها باستمرار من شوائب العامية من جهة أخرى، ذلك أن العامية واللهجات الدارجة لا مستقبل لها، سواء على الصعيد العلمي أو الروحي، والأمر ذاته ينطبق على الصعيد القومي، ومستقبل التطور اللاحق، لجميع البلدان العربية، كي تكون مواكبة للعصر، ومتلائمة مع طروح الحضارة الإنسانية كافة»⁽¹⁵⁾.

ويشير ذلك إلى إتقان اللغة العربية وتيسيرها وانتشارها في مجالات الحياة من أجل إتقان الترجمة نظرياً وتطبيقياً، إذ يوضع المصطلح تعريباً وفق القواعد التالية، وهي نظرة مبكرة في سورية:

⁽¹⁴⁾ إبراهيم السامرائي: العربية بين أمسها وحاضرها، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978، ص 65.

⁽¹⁵⁾ فائز الصانع: اللغة والتعريب ودور الإعلام، بحث تطبيقي في تجربة الجمهورية العربية السورية، منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق، 1992، ص 240.

- أ. تحويل المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية، وتضمينها المعنى العلمي الجديد.
ب. اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد.
ج. ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها⁽¹⁶⁾.

وقد بذلت محاولات عديدة لوضع قواعد وأسس للترجمة تجعل منها علماً قائماً بذاته، وتتدغم في التعريب، ولكنها ما تزال جهوداً غير متسقة أو منسجمة، لأن مسيرة توحيد المصطلح وتنسيق عملية التعريب غير منظمة، والترجمة المنتشرة غالباً هي شغل المترجم التقني وشغل المترجم المحرر، ويفضيان إلى التعريب كلما أحسنت العلاقة بين اللغة العربية والمصطلح والمترجم، وشخص الباحث محمد ديداوي (تونس) إشكالية ضعف التعريب، في أن «المصطلحات ما زالت قليلة ومبعثرة، وسلاحه الوحيد (المترجم) هو الخبرة لا تعلم النظريات، وأن القواعد والأدوات التي يتكل عليها لا تفي بمراده تماماً»⁽¹⁷⁾.

وأفاد الخبير شحادة الخوري أن الخلل في التعريب ناتج عن ضعف استخدام اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي والتعليم العالي في غالبية الأقطار العربية، باستثناء سورية التي تنفرد بالتعريب الشامل في كل مجال، ويتوقف هذا الخلل عند «إنشاء بنك للمصطلحات العلمية، وإحداث مركز إعلام مصطلحي في نطاق مكتب تنسيق التعريب بالرباط، أو المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، والعناية بتدريس علم المصطلح، وتوحيد منهجيات وضع المصطلح وفق قواعد واضحة متفق عليها، والربط المحكم والمستمر بين وضع المصطلح وتوحيده من جهة، وبين استخدامه في الترجمة والتأليف والتدريس والبحث العلمي، واعتبار

⁽¹⁶⁾ مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1955، ص 66.

⁽¹⁷⁾ محمد ديداوي: علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1992، ص 318.

العملية برمتها جزءاً من حركة التقدم العلمي والتقاني والنهضة الحضارية في الوطن العربي»⁽¹⁸⁾.

وقد أثبتت اللغة العربية أن «قدرتها على وضع المصطلحات وترجمة الكتب العلمية ما زالت تحتاج إلى عمل لغوي يضع مصطلحات الآداب والفنون، ويترجم الكتب الخاصة بهما، دون أن يكون هناك تلكؤ في وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها وترجمة ما يستجد في حقل العلم»⁽¹⁹⁾.

وتتفرج إشكالية التعريب من خلال تغذية المصطلح المولد، لأن المقاربة اللغوية للاصطلاح تقوم على فكرة أساسية هي أن اللغة المختصة إسقاطاً لنظام اللغة العام في مجال معرفي معين، ولا سيما المولد المصطلحي Genterm باعتباره قاعدة معطيات ومعارف اصطلاحية تبنى بآلية التوليد، «نظراً للعدد الهائل للمصطلحات التي نحتاج إليها. والمعالجة التي نقترحها لهذا المشكل هي المعالجة نفسها التي اقترضاها لمشكل معالجة المعجم العام، إذ لا يمكن أن ننقل في المعجم العام (إذا كان معجماً ضخماً يتضمن 500.000 دخلة) من لفظة إلى أخرى بلواصقها وتصاريقها، مما يصل إلى ملايين الكلمات»⁽²⁰⁾.

وإشكالية التعريب قابلة للحلول عند وضع استراتيجية في الوطن العربي، تنطلق من تقويم واقع تجاربه في هذا القطر أو ذاك، ورسم تدابير مشتركة قائمة على عملية دمجها في التنمية القومية الشاملة، على أساس جدلية مفتوحة لعناصر الإشكالية العربية، لتفضي خطة التعريب بالخصوص إلى توزيع الأعمال بين مختلف الأقطار العربية، والتميز بين عناصر الخطة التي تدخل في السياسات الإنمائية القطرية، وبين العناصر التي تمثل عملاً قومياً مشتركاً كمخابر

⁽¹⁸⁾ شحادة الخوري: التعريب والمصطلح، في كتاب «اللغة العربية . القسم الرابع، اللغة العربية واللغات الأخرى»، سلسلة قضايا وحوارات النهضة العربية 30، (تحرير وتقديم محمد كامل الخطيب)، وزارة الثقافة، دمشق، 2004، ص141.

⁽¹⁹⁾ سمر روجي الفيصل: المشكلة اللغوية العربية، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، 1992، ص119.

⁽²⁰⁾ عبد القادر الفاسي المهيري: المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1998، ص149.

البحوث العلمية والتقنية مثلاً، على أن تتبیه هذا الضمیر الصامت، وتبصیره بعناصر الإشكالية القومية للتعريب، وتمکینه من وسائل الإفصاح عن إرادته، وتوفير قنوات التبلیغ له، کفیل بأن يجعل منه رأياً عاماً قادراً على أن يؤثر في توجيه الاختيارات السياسية العربية، «ومثل هذا الترشد للرأي العام العربي ينبغي أن يكون مقصداً أساسياً من مقاصد استراتيجية التعريب ووسيلة فذة من الضامنة لنجاحها»⁽²¹⁾.

ولا تقتصر إشكالية التعريب على حسن الترجمة وحدها، بل حسن معرفة اللغة العربية ومنهجيتها ومسائلها، كالتنسيق بين المعاجم، وفهم الألسنية والقضايا النحوية والدلالية والاستعارية (المجاز، الأمثلة، الأسطورة، الرمز، الإشارة... الخ)، وتتصل هذه المعرفة بوعي اللهجات واللغات المقارنة المحلية وسواها، ووعي عناصر التمثيل الثقافي والاتصال بين الفنون، والبعد الحضاري عن مدى التواصل مع الآخر، ولعل ترويج التعريب، استناداً إلى هذه الأسس والمبادئ «كفیل بنشر اللغة العربية الموحدة التي تكون المنطلق للنهضة (التكنولوجية) الشاملة التي يتحتم علينا إخضاعها والتحكم في مسيرتها بحيث تواكب القيم الحضارية العربية»⁽²²⁾.

إن إشكالية التعريب أو الترجمة إزاء وضع المصطلحية، في سبيلها إلى الزوال كلما غنيت الجهود اللغوية بحلول هذه الإشكالية وما ينجم عنها من مشكلات لغوية ومعرفية، وتتطلب هذه الحلول للإشكالية ومشكلاتها من تعزيز وسائل صياغتها وتوحيد ترجمتها المنهجية والعلمية، تأصيلاً وتحديثاً، ضبطاً ومعارية، تعزيزاً ينفع في صون الذات اللغوية وبعدها الحضاري في الوقت نفسه.

⁽²¹⁾ مصطفى الفيلاي: نحو استراتيجية للتعريب في الوطن العربي. في كتاب «التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982، ص478-479.

⁽²²⁾ محمد المنجي الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980، ص630.

5. آفاق المصطلح في التعريب والترجمة

بات واضحاً أن إشكالية التعريب أو الترجمة ومشكلاتها مرهونة بمجاوزة تقصير الاشتغال اللغوي العربي الاصطلاحي، خروجاً من جمود آليات الصياغة اللغوية المستجدة تمسكاً بالصرف أو الاشتقاق التقليدي وحده، ومن تبعية المصطلحية اللغوية الأجنبية، مجازاً ومجازاً ذهنياً وتورية وترميزاً وأسطرة ضمن خصوصيات هذه اللغة الأجنبية أو تلك وحدها أيضاً، ويدغم هذا الخروج تعريب المصطلح أو ترجمته مع الخصوصيات اللغوية والثقافية العربية، فضلاً عن طبائع تفسير الخطاب اللغوي وتأويله، الموغلة في التراث الثقافي العربي، واللغة مكون رئيس من مكوناته. وأذكر بعض أبرز آفاق المصطلح في التعريب والترجمة:

أ. بات واضحاً أن العناية بآفاق المصطلح في التعريب والترجمة من شأنها أن تنمي استعمال اللغة بالمستوى الاصطلاحي بما ينفي إشكالية المصطلح، ويوقف الإعاقة في التشكل المصطلحي من جهة، وفي عملية التعريب من جهة أخرى. ولعل المزيد من التأمل المنهجي والعلمي في مجاوزة هذه الإشكالية شديد النفع في تثمير اللغة والمصطلح.

ب. يخدم التعريب المصطلحية إذا روعيت طبيعة اللغة العربية وقواعد استصحابها ومستويات تنزيدها من الحقيقي إلى المجازي وتشكلات هذه المستويات إزاء الخصائص الثقافية وتحولاتها، وترتقي طريقة التعريب في تكوين المصطلحات عند انبعاثها من التقاليد اللغوية أو مواعمتها للتقاليد ولمعطيات التعريب أو الترجمة عند ضبط الاشتقاق أو الفروق المعنوية والدلالية أو اللفظية، إذ يتعذر التعريب لدى انتفاء لفظ المصطلح، وكثير منه يخرج عن المعاني والدلالات اللغوية مثل الاكتشافات والمواقع والمواقف في اللغة التي تواضعوا عليها مصطلحاً، على أن إتباع مآثور تشكلات المصطلحية هي الأفضل من المقايسة والاقتراض إلى المؤانسة اللغوية بمستوياتها المعروفة، ولا سيما تواصل المستوى الدلالي مع المناخ الثقافي الذي أنجب هذا المصطلح أو ذاك، ولعلنا نشير إلى تقارب المصطلح السردى في حقله الدلالي الذي يندرج في أشكال النثر القصصي (الحكائي) الإخباري توكيداً لجوانبه التاريخية والإخبارية بذكر الوقائع والحكي عنها من خلال المروي والمروي له والراوي، مثل

الرواية.. الخ، ويتعلق ذلك كله بالنسق والسياق والحقل الدلالي تقديراً للمناخ الثقافي وأطر الاستعمال والمعارية في الحقول المعرفية الأخرى، شأن الوقوف عند مصطلحات الطوتم Totemism والتابو Tabo والأيقونة Icon والقناع Mask... الخ ومدى إدخال هذه المصطلحات بالتعريب أو الترجمة.

ج. يرتبط التعريب بطبيعة النص بعد مستويات اللغة، على أن الترجمة ليست مجرد الترجمة المباشرة للمفردات والتراكيب، بل استناد المعايير اللغوية إلى مزايا النص مثل الوظيفة التعبيرية أو القدرة الإيحائية، وإبراز قيمة الشكل، واحتساب تعدد المعاني فيه، وانفتاحه على تشابكات المطلق والمتغير، مما يدفع عمليات التعريب إلى مجاوزة الوظيفة النفعية إلى فيض التواصل الإنساني⁽²³⁾.

واسترشد المعجميون العرب إلى تعديد وضع المصطلحات العلمية حسب تطوراتها وتمثلاتها في أحوال اللغة العربية وتعاضدها مع اللغات الأجنبية مثل مدى استعمال المصطلح وتدلّيه على المعنى المراد، ومقاربة الألفاظ والتراكيب المألوفة لانبثاق المعنى الجديد، وتثمين قواعد الاشتقاق لدى اكتناه الملفوظية بأبعد مما هو حاصل، واقتباس اللفظ الأجنبي ضمن صياغة لفظية عربية⁽²⁴⁾.

د. الاتفاق، ضمن تواضعات المصطلحية، على التعريب، ما دام المعرب موجوداً في القرآن الكريم عدولاً للفظ الأجنبي ومنطوقيته الخاصة إلى نقله في لفظ مناسب لأداء مدلوله الأعجمي أو الأجنبي من الدخيل أو الغريب أو المقترض إلى تأصيله في المصطلحية العربية بإنزال اللفظ المعرب على أوزان العربية، حتى يكون عربياً أو بمنزلته، ولا مانع من النحت في

⁽²³⁾ نجاة عبد العزيز المطوع: أفاق الترجمة والتعريب، في مجلة «عالم الفكر»، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 19، العدد 4، يناير . مارس 1989، ص16.

⁽²⁴⁾ جميل صليبا: تعريب الاصطلاحات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 28، الجزء 1، ص18. قاسم السارة: تعريب المصطلح العلمي: إشكالية المنهج، في مجلة «عالم الفكر»، المصدر السابق، ص105.

التعريب عند الضرورة القصوى⁽²⁵⁾، والطريقة المثلى له هي تطويع الترجمة لقابليات الأداء اللغوي المطابق للقواعد اللغوية العربية.

ولا نغفل في الوقت نفسه عن نهج العرب منهج الاصطلاح على كل شيء، شأن الأمم الأخرى، فقد «نقلوا بعض الأشياء بأسمائها، كما اصطلاح عليها في اللغات الأخرى، ولم يكن عليهم فيها ضير في الاستعمال، حتى تعربت بعد أن شاعت في اللغة، وأصبحت جزءاً منها»⁽²⁶⁾، والقرآن عبرة كبيرة للاحتجاج بها، عند إظهار المعرب أو الأعجمي فيه.

هـ. استنكر اللغويون استعمال المصطلح العلمي الغريب في غير محله، لعجزه في هذه الحال عن تأدية غرضه الاستعمالي الإيضاحي الجمالي والإدراكي وصولاً إلى ذهن المتلقي⁽²⁷⁾، ويفضل على الدوام إثراء استعمال المصطلح الغريب وفق التقعيد اللغوي، لأن اللغة ليست منقطعة عن أصولها ومراحل تناميها القادرة على تأدية الوظائف والأغراض.

و. الإقرار بالبعد اللغوي الشامل للرؤى الفكرية والحضارية عند التأليف الاصطلاحي تعريباً أو ترجمة، وينطلق ذلك من الخصائص اللغوية الذاتية العامة ومحمولاتها الثقافية المتعاضدة مع التشكلات اللغوية معاني ودلالات وإشارات ورموزاً تتكون معها المفاتيح أو «التشفير» اللغوي الذي يستدعي توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي تواصلاً بين بنوك المصطلحات العربية لوضع خطة عمل تتسق التعريب، وتضمن إنشاء شبكة عربية موحدة لتبادل المعطيات المصطلحية⁽²⁸⁾ في الشغل العلمي القائم على التعريب توافقاً بين النشر

(25) محمد السيد علي بلاسي: المعرب في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية دلالية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية، 2001، ص50-51.

(26) سلطان سعد القحطاني: التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف، 2005، ص15.

(27) حسن خميس الملقح: استخدام المصطلحات النحوية في الشعر، في «المجلة العربية للعلوم الإنسانية»، العدد 89، السنة 23، شتاء 2005، ص71-72.

(28) فريد عوض حيدر: توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة

الطبيعي ومقوماته والنشر الإلكتروني وتقاناته.

ز. ضرورة إحداث المؤسسات وإصدار التشريعات للترجمة من أجل وظيفة التعريب الواسعة بما يحقق «الهدفين الكبيرين: تعريب العلم والتعليم والمجتمع، والتواصل مع الثقافات الأجنبية إغناء لثقافتنا العربية وتعريفاً بالعبقريّة العربية وقدراتها الإبداعية»⁽²⁹⁾. وتبنى هذه الوظيفة على غنى الترجمة للغة العربية «بما تضيف إلى آثارها من جديد المعنى وجديد اللفظ»⁽³⁰⁾.

وأفاد خبراء الترجمة أنها تخدم الحضارة من خلال ضبط المبادئ في وضع المصطلح التزاماً بالوضوح والإيجاز والسهولة في الترجمة، وجمالية المصطلح ومقوماته وتخطيطه، ولا تختلف هذه المبادئ عن التفسير الاصطلاحي، كما هي الحال في جمالية المصطلح إثر الترجمة، مثل إيصال المعلومات والأفكار، وتناغم الجمال اللغوي والجمال النصي، وتناغم المستويات اللغوية، والانسجام بين التعبير والمحتوى، وعذوبة المصطلح وإيقاعيته وإيجازه، إضافةً إلى إثراء خصائصه التركيبية ووظائفه الرمزية ومعياريّة اتجاهاته وموضوعية مرجعية أطره... الخ⁽³¹⁾.

وفيد ذلك نجاح التعريب من خلال ضبط الترجمة وتقنيها الاشتغال بها ومعياريته. وثمة منظور آخر في تنظيم الترجمة وإدغامها بالتعريب هو تأهيل المترجمين إتقاناً للغتين والتسلح المعرفي بفضاء اللغتين، ولا سيما فهم اللغة المترجمة فهماً كاملاً، وإتقان اللغة التي يترجم إليها إتقاناً كاملاً⁽³²⁾، لئلا يضعف التعريب، ويدخل في الإعاقة.

الكويت، الرسالة 180، الحولية 22، 2001-2002، ص23.

⁽²⁹⁾ شحادة الخوري: دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، القسم الثاني، الأليكسو، تونس، 1987، ص272.

⁽³⁰⁾ المصدر السابق، القسم الأول، ص174.

⁽³¹⁾ عبد الله الشّاق: بحوث ندوة الترجمة في خدمة الحضارة، جمعية المترجمين الأردنيين، بدعم من وزارة الثقافة، عمان، 2003، ص102-103.

⁽³²⁾ فؤاد عبد المطلب: بحوث في الترجمة، دار ابن حزم، الرياض، 2005، ص146.

وأكدت الخطة القومية للترجمة هذه المنظورات عناية بالمنطلقات والأهداف والأسس والوسائل والمراحل وطرائق التنفيذ، ويتلخص العمل المؤسساتي الرسمي وغير الرسمي في بلوغ وظائف التعريب في الإدارات والقوانين النازمة لعمل الترجمة، والتخطيط والتنسيق والتنظيم والتوثيق، وضمانة حقوق المؤلفين والمترجمين، واختيار الكتب المترجمة، والمستوى الفني للترجمة وتكوين المترجمين وتدريبهم، وتنظيم جمعيات المترجمين واتحاداتهم، وتداول الكتاب المترجم وتوزيعه⁽³³⁾.

إن الجهود الفردية والخاصة نافعة في التعريب أو الترجمة، ولكنها أكثر نفعاً عندما تتدرج في الوظيفية الواسعة نحو التخطيط والبرمجة، مراعاة لتطورات المعرفة والمعلوماتية.

ح. أثّرت إشكالية أخرى في التعريب عند كتابة المبدعين العرب نصوصهم بلغات أخرى، مما يجعل النص الإبداعي ذا هوية مزدوجة، وقد شكّا مبدعون كثر عن ضعف تواصلهم الحضاري مع ذاتهم القومية ومع الآخر الأجنبي، إذ صار هناك انفصام بين القلب والقالب، وتباعداً بين الثابت والمتحول، وازدواجية اللغة بين الممحو والمسطور، حسب أبحاث الكتاب والنقاد الذين درسوا هذه الظاهرة، ووجدوا تفاقماً لإشكالية التعريب والترجمة إزاء الازدواجية الإبداعية والهوية الثقافية والأسلوبية المركبة، مثلما «تثير قضايا السياق، بما في ذلك الاستعمار القديم والجديد، السياسة الأدبية والثقافية، الهيمنة اللغوية وأعراف المؤسسة، الشتات والهجرة. وتخفُّ الإشكالية في التعريب عند الوعي اللغوي المزدوج وإثقان الكتابة الموازية للنصوص نفسها بلغة كاتبها الأم، إلا إذا أنكر الكتاب أصولهم وتواصل إبداعهم»⁽³⁴⁾.

ط. تفعيل مكانة مكتب تنسيق التعريب في خدمة اللغة العربية وإغنائها بالمصطلحات العلمية الموحدة على مستوى الوطن العربي، ودعا إلى ذلك باحثون ولغويون عرب، وفي مقدمتهم إسلامو ولد سيدي أحمد مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وهذا المكتب، بالأساس، معني

⁽³³⁾ الخطة القومية للترجمة، الأليكسو، تونس، 1985، ص 29-33.

⁽³⁴⁾ افتتاحية مجلة «ألف»، العدد 20، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 2000، ص 6.

بنتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه، وتنسيق الجهود المبذولة لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة، وتوحيد المصطلح الحضاري في الوطن العربي بالوسائل الممكنة، وتنظيم جهود التعريب بالإفادة من التقنيات الحديثة في نشر اللغة العربية، وإنجاز بنك المصطلحات، وتتبع الرصيد المصطلحي المستجد وخزنه، ودعم الأساليب الحديثة في المعجمية والمصطلحية في مشروعات قابلة للتحقق⁽³⁵⁾.

ولا يخفى أن مثل هذا التفعيل لا يخفف من إشكالية التعريب والترجمة فحسب، بل يثري المصطلحية العربية لغوياً ومعرفياً وعلمياً فيما هو أبعد من السياسة أو التسييس، لأهمية المصطلحية في التنمية الحضارية.

ي. الاستفادة من المعلوماتية في حلّ إشكالية المصطلح في التعريب أو الترجمة بخاصة، والتخفيف من وطأة الفجوة الرقمية في الممارسة اللغوية العربية بعامة، وثمة تطورات واسعة وعميقة في أساليب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية إزاء المنطوق، أو التركيب، أو البرمجيات، أو التوثيق، والأكثر انتشاراً هو التعليم والتعريب انطلاقاً من تعريب المعلوماتية ذاتها لدى الدخول في التفسير أو الافتراضية، وينهض هذا كله على إجراءات عديدة أهمها المصطلحات الحاسوبية ومصطلحات الاتصالات لضبط المنهله النصية والفكرية بعد ذلك⁽³⁶⁾.

ك- مواجهة قضايا التعريب أو الترجمة في المصطلحية حسب مجالاتها ومستلزماتها بما يضمن مراعاة المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده، وهي نابعة من جانبيها الموروث والحضاري في الوقت نفسه، ويستدعي ذلك تنمية الاجتهادات الداعمة للهوية، والمستفيدة من التطورات التقنية والمعلوماتية الباهرة من منهلة النص Hyper text إلى ترفيله

⁽³⁵⁾ إسلامو ولد سيدي أحمد: دور مكتب تنسيق التعريب في خدمة اللغة العربية، في كتاب "مكانة اللغة العربية بين

اللغات العالمية"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001، ص 284-305.

⁽³⁶⁾ أنظر على سبيل المثال: الأليكسو: استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، تونس، 1996.

بتعدد التقانات الصوتية والشكلية..الخ hyper media⁽³⁷⁾، والافتراضي أيضاً بالتوليد من جهة، ورفده بما وراء المعنى من جهة أخرى.

ل. العناية بعلم الدلالة بخاصة ويعلم اللغة الحديثة بعامة في وضع المصطلحية مجاوزة للعاميات والثنائيات اللغوية نحو تعميق الصلة بين البعد القومي والحياة الإنسانية، وقد باتت صريحة أهمية اللغة، ولا سيما المصطلحية المعرفية والعلمية في صون الهوية ووحدة الفكر، وتؤشر قابلية اللغة العربية للنمو بالاشتقاق الاصطلاحي توأماً مع عمليات التعريب أو الترجمة من خلال اسم الآلة أو التعدية أو المطاوعة أو التشريك، أو الاشتقاق من أسماء الأعلام والأعيان أو المصدر الصناعي، أو التسمية بالمصدر والتسمية بالصفة، وتفيد هذه الاشتقاقات في صوغ المصطلح⁽³⁸⁾.

م. العناية بالتقييس المصطلحي، من خلال ضبط النظرية العامة والنظرية الخاصة في المصطلحية، وتختص الأخيرة بحقل موضوعي واحد في لغة واحدة، وتقوم على وجوه التقييس التصويرية واللغوية، واللغوية الاجتماعية، وتستند لغوية المصطلح على حلول سليمة لإشكالية التعريب والترجمة بوعي الاشتقاق والنحت والتراث والتعريب الجزئي ومجاوزة مشكلاتها الكثيرة، فالتعريب الجزئي على سبيل المثال، محاولة قسرية متعمدة لفرض شكل شبه عربي على عناصر من المصطلح الأوربي لها معناها في الحقل الأخير مثل سيكولسانيات/علم اللغة النفسي/ اللسانية النفسية Psycholinguistics⁽³⁹⁾. ولا نغفل عن أن العناية بالتقييس المصطلحي تقلل من إشكالية المصطلح في التعريب أو الترجمة.

⁽³⁷⁾ محمود أحمد السيد: في قضايا التعريب، دمشق، 2002، ص114-117.

⁽³⁸⁾ جميل الملائكة: المصطلح العلمي ووحدة الفكر، في كتاب: اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص238-241.

⁽³⁹⁾ محمد حلمي هليل: التقييس المصطلحي في البلاد العربية، في كتاب: اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، الأليكسو، تونس، 1996، ص66-68.

ن. العناية بالتواصل الحضاري الموروث وتراث الإنسانية لدى تعريب المصطلح أو ترجمته، وقد اتفق جلّ الباحثين على اصطناع ثلاثة حقول مصطلحية أساسية للمصطلح العربي بوصفه علامة من نوع خاص، وجزءاً من التعبير اللغوي وقوة تداولية ودلالية، وهي **الحقل التراثي** و**الحقل الحداثي** و**الحقل التوفيقي والإحيائي**، لمنهلة النص من التراث والحداثة وتوليد المصطلح وتوحيده اعتماداً على توسيع طرائق وضع المصطلحات بنية وتركيباً ودلالة⁽⁴⁰⁾.

أفاد النظر في إشكالية المصطلح في التعريب والترجمة وفي مشكلاته أن الآفاق الواردة من شأنها أن تيسر المصطلحية بالتعاقد بين خصائص اللغة العربية وتمثيلها الثقافي وتنمية الخصائص المنهجية والعلمية والمعرفية والافتراضية المندغمة بالمعلوماتية.

⁽⁴⁰⁾ جميل الملايكة: المصطلح العلمي ووحدة الفكر، في كتاب: اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص238-241.

المصادر والمراجع

الكتب العربية والمنشورات:

- الأليكسو: اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، الأليكسو، تونس، 1996.
- إبراهيم السامرائي: العربية بين أمسها وحاضرها، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978.
- إسلامو ولد سيدي أحمد: دور مكتب تنسيق التعريب في خدمة اللغة العربية، في كتاب "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001.
- الأليكسو: الخطة القومية للترجمة، تونس، 1985.
- توفيق قريرة: المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، كلية الآداب، منوبة/ دار محمد علي، تونس، 2003.
- جميل الملائكة: المصطلح العلمي ووحدة الفكر، في كتاب: اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.
- سلطان سعد القحطاني: التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف، 2005.
- سمر روجي الفصيل: المشكلة اللغوية العربية، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، 1992.
- سميح أبو مغلي: تعريب الألفاظ والمصطلحات وأثره في اللغة والأدب. وزارة الثقافة، عمان، 2003.
- شحادة الخوري: دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، القسم الثاني، الأليكسو، تونس، 1987.
- شحادة الخوري: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس، دمشق، 1989.
- شوقي جلال: الترجمة في العالم العربي في ضوء مقارنة إحصائية واضحة الدلالة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.
- عبد القادر الفاسي المهيري: المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1998.
- عبد الله الشناق: بحوث ندوة الترجمة في خدمة الحضارة، جمعية المترجمين الأردنيين، بدعم من وزارة الثقافة، عمان، 2003.
- عدة مؤلفين: «التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982.
- عدة مؤلفين: «اللغة العربية . القسم الرابع، اللغة العربية واللغات الأخرى»، سلسلة قضايا وحوارات النهضة العربية 30، (تحرير وتقديم محمد كامل الخطيب)، وزارة الثقافة، دمشق، 2004.
- فؤاد عبد المطلب: بحوث في الترجمة، دار ابن حزم، الرياض، 2005.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

- فائز الصائغ: اللغة والتعريب ودور الإعلام، بحث تطبيقي في تجربة الجمهورية العربية السورية، منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق، دمشق، 1992.
- فريد عوض حيدر: توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة 180، الحولية 22، 2001-2002.
- مجمع اللغة العربية بدمشق: أبحاث مؤتمر قضايا المصطلح العلمي، مجمع اللغة العربية بدمشق (10-2004/10/12).
- محمد السيد علي بلاسي: المعرب في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية دلالية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية، 2001.
- محمد المنجي الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980.
- محمد ديداوي: علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1992.
- محمد علي الزركان: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
- محمود أحمد السيد: في قضايا التعريب، دمشق، 2002.
- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1955.
- ممدوح خسارة: التعريب والتنمية اللغوية، دار الأهالي، دمشق، 1994.
- مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي . الإشكالية والأصول والامتداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- نبيل علي (ونادية حجازي): الفجوة الرقمية - رؤية عربية لمجتمع المعرفة، عالم المعرفة /318/، الكويت، أغسطس 2005.

الدوريات:

- افتتاحية مجلة «ألف»، العدد 20، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 2000.
- جميل صليبا: تعريب الاصطلاحات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 28، الجزء 1.
- حسن خميس الملق: استخدام المصطلحات النحوية في الشعر، في «المجلة العربية للعلوم الإنسانية»، العدد 89، السنة 23، شتاء 2005.
- نجاة عبد العزيز المطوع: آفاق الترجمة والتعريب، في مجلة «عالم الفكر»، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 19، العدد 4، يناير . مارس 1989.

التحريج العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

أهمية المشاهدة في تعليم اللغة العربية

د. أحمد زياد محبّك

أستاذ الأدب العربي الحديث - جامعة
حلب

ما أهم المناشط في تعليم اللغة العربية؟ هل تكفي القراءة والكتابة وسيلة لتعليم العربية؟ هل هما أهم من المحادثة أو الاستماع مثلاً؟ هل الكتاب والملخصات والمدونات هي الوسيلة المثلى لتعليم العربية؟ لماذا غاب الاختبار الشفهي عن الامتحانات؟

هذه بعض الأسئلة التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها.

ليست اللغة حروفاً وكلمات مكتوبة، ولا صحفاً وأوراقاً، إنما هي في المقام الأول ألفاظ منطوق بها، وأصوات مسموعة، ثم جاءت الحروف والكلمات، والجمل والعبارات المنضودة في الصحف والأوراق، رموزاً تدل على اللغة. ويتعلم المرء اللغة أول ما يتعلمها أصواتاً وألفاظاً منطوقاً بها، من خلال المحادثة والاستماع، ويظل يمارس اللغة على هذا النحو مدة من الزمن، ثم يتعلمها حروفاً وكلمات، فيمارس القراءة والكتابة، ولكنه لا ينقطع عن تعلمها محادثة واستماعاً.

والتعليم الحق لا يكون في الواقع إلا بهذه المهارات الأربع، المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، ويؤكد معظم الدارسين أولوية المحادثة والاستماع، لأن اللغة في طبيعتها وسيلة اتصال بين الناس باللفظ والصوت، قبل أن تكون وسيلة كتابة بالحرف.

ويتضح ذلك في اللغة العربية، فقد كانت في معظمهما لغة شفوية، تقوم على الصوت قبل الكتابة، والحفظ قبل التدوين، وهذا لا يضيرها في شيء، بل هو خصيصة تميزها.

ويؤكد ذلك النصوص الأدبية التي تجلت فيها تلك اللغة، والمقصود بتلك النصوص الشعر، الذي كان يجري تناقله شفاهاً بالحفظ والرواية من جيل إلى جيل على ما يزيد على مئتي عام قبل الإسلام ومئة عام بعده، إلى أن كان التدوين، وما كان يدون من قبل فهو نادر جداً، وقليل، بل كان لا يدون إلا لقيمة فنية واجتماعية واعتبارية معينة، على نحو ما كان من تدوين الملاحظات وتعليقها على أستاذ الكعبة على نحو ما يروى.

ثم نزل الوحي الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم شفاهاً، وتلقاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم سماعاً وحفظاً، وليس في ألواح مكتوبة ولا رُقْم، وكذلك رتّله على أصحابه من حوله، وكذلك تلقوه بالسماع والحفظ في الصدور، لا في السطور. ولم يلجأ أبو بكر وعثمان رضوان الله عليهما، فيما بعد إلى جمع القرآن الكريم في مصحف وتوزيعه على الأمصار إلا للحفاظ على وحدة النص، وظل القرآن الكريم يتلى كما كان يتلوه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتلقاه الرجال ويسمعونه ويحفظونه، وفي أثناء ذلك كله، يجري الحفاظ على طبيعة الصوت واللفظ، كي يتلى القرآن ويُرْتَلَّ ويُجَوَّدُ تعبداً لله تعالى، وامتنالاً لأمره (ورتل القرآن ترتيلاً) (سورة المزمل 73 الآية 4)، واتباعاً لسنة رسوله بتجويد تلاوة القرآن الكريم.

وهكذا يجري تعليم العربية، من خلال القرآن الكريم، بالسماع والنطق، وبالمشاهدة والحفظ، وتلقي الرجال بعضهم عن بعض، حضوراً ومشاهدة. وعندما جاء التدوين في مرحلة تالية وتنقيط المصحف وضبطه، إنما جاء لا ليكون التعليم من المصحف المكتوب، إنما ليكون المصحف المكتوب بعلاماته ورموزه الكتابية معيناً على الحفاظ على اللفظ والنطق والترتيل والتجويد، وما يزال كذلك إلى اليوم.

وفي هذا ما يؤكد أهمية السماع واللفظ، والحفظ والمشاهدة، وهذا كله من خلال القرآن الكريم الذي منح العربية خصوصية تميزها من غير شك. وإذا المسلم اليوم يتلو القرآن الكريم بأصوات حروفه وألفاظه وسكناته وحركاته ومُدودته وإمالاته ووقفاته وترقيقه وتقخيمه وإدغامه وإظهاره وإقلابه، كما كان يتلوه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون، على نحو من

الأنحاء، يجري فيه الحفاظ على أصوات العربية.

ويؤكد ذلك على سبيل المثال أن العربي في مصر يلفظ الجيم في حديثه اليومي أقرب إلى الكاف المفخمة، ولكنه حين يتلو القرآن الكريم يلفظ الجيم كما يجب أن تلفظ. وكذلك أحرف من نحو الذال والظاء والطاء، قد يلفظها العربي في بعض الأقطار العربية لفظاً غير صحيح، ولكنه حين يتلو القرآن الكريم يلفظها على نحو ما يجب أن يلفظها بوصفها أحرفاً لثوية.

ولم تكن المشافهة وسيلة لتواتر القرآن الكريم من جيل إلى جيل، بل كانت وسيلة لنقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظ الشعر، وتدوين الأخبار والوقائع، ولذلك ظهرت مصطلحات من نحو: حدثنا فلان عن فلان، وسمعت فلاناً، وقرأت على فلان، وشاعت هذه المصطلحات في علم الحديث، وفي كتب الأدب واللغة، وفي كتب التاريخ والأخبار، وكان الخبر المروي شفاهاً وسيلة للتدوين والتأليف، وكانت المشافهة وسيلة لنهوض علوم كعلم الحديث واللغة والنحو والعروض والتاريخ. إن ما تعتز به علوم العربية حقاً هو نهوضها على المشافهة، أي على التعليم الذي يكون بقاء الإنسان للإنسان، وتواصله معه باللغة، ناقلة العلم، وليس بواسطة الصحف والأوراق وحدها.

على أن هذا لا يلغي قيمة الحرف والكتابة، ولا أهمية الصحف والأوراق، فقد دَوّنت العلوم كلها، وتحولت إلى كتب، وافتتحت دكاكين الوراقين، وكان الكتاب يحمل على ظهور الإبل من المشرق إلى المغرب، ومن صقع إلى صقع، وتقنن الوراقون في رسم الحروف، وتزيين صفحات الكتاب بالرسوم، وكان المترجم يُمنَحُ زنة كتابه ذهباً، وقد أشاد الجاحظ مطولاً بالكتاب، وقَدّم وصفاً له، يدل على تقدير الحضارة العربية للكتاب. على أن هذا كله ظل مرتبطاً بالمشافهة، ولم يَقم الكتاب وحده بمهمة التعليم، بل كان وسيلة لها، وكان الأساس هو القراءة على الأستاذ، والاستماع إليه، وهو ما نسميه المحادثة والاستماع، وهو ما اختصرناه بالمشافهة، وقد ظلت المشافهة مستمرة إلى جانب الكتاب، وإذا دل هذا كله على شيء، فإنه يدلّ على أن للسمع الأثر الكبير في حفظ العربية ونقلها من جيل إلى جيل.

وقديماً كان أجدادنا يأخذون على المتعلم أخذه عن الصحف وحدها، فيقولون عنه: "صحفي"، لأن التعليم الحق يكون بالجلوس إلى المعلمين في حلقات التعليم في المساجد، وبقراءة التلميذ الكتاب على أستاذه، في جلسات ربما تمتد أعواماً حتى يتم الكتاب الذي يقرؤه على أستاذه في حضور تلامذة آخرين، والقراءة تتضمن السؤال والجواب عن قضايا في الأدب واللغة والنحو والإعراب وجوانب العلم الذي يقرأ فيه، إن طباً فطب وإن رياضيات فرياضيات، وهكذا.

وإذا دلّ هذا على شيء فإنه يدل على ارتباط التعليم دائماً بالمشافهة، ولا يكون المتعلم متعلماً لمجرد إتقانه القراءة والكتابة، أي لمجرد معرفته الألفاظ والحروف، لأنها محض رموز تدل على اللغة، وليست اللغة نفسها، ولذلك كانت اللغة تسمى لساناً، لأن اللسان هو وسيلة النطق والتلفظ، وهو جزء أساسي في جهاز النطق، وكذلك كلمة اللغة نفسها في أحد الآراء، فما هي إلا من اللغو، الذي هو الحديث والكلام، ولذلك قالت العامة: العلم في الصدور لا في السطور، ساخرين ممن يجيد القراءة والكتابة ولكنه لا يفقه العلم ولا يحفظه.

ولذلك درس أجدادنا جهاز النطق لدى الإنسان وحددوا مخارج الحروف، ووصفوها، وصنفوها، وتقدم هذا العلم لديهم، واكتمل، ووصلوا فيه إلى نتائج علمية محددة، من غير أن تكون لهم آلات رصد الصوت، وقد وُضعت فيه عشرات المصنفات، وما يزال علماً حياً يجري تلقيه، تحت اسم علم التجويد. كما درس اللغويون مظاهر أخرى في الصوت كالإمالة والوقف، وما في الوقف نفسه من أشكال نطق مختلفة، كالرّوم والإشمام مثلاً، ووضعوا لها قواعد وأصولها، مما يؤكد الحرص على تعليم النطق بالعربية والتلفظ بها وإجادة أصواتها.

ومن المؤسف تقصير العرب اليوم في مجال العناية بأصوات العربية والنطق بها ولفظها في تعليمهم، ولا سيما الجامعي، وتحول التعليم فيها إلى قراءة نظرية في الصحف، وكتابة يؤديها الطالب في الامتحان من غير أن يقرأ أمام أستاذه، وفي حالات كثيرة من غير أن يستمع إلى إلقاء أستاذه، فأصبحت الكلمة المطبوعة وحدها الوسيلة إلى تلقي العربية، وصار المتخرج في قسم اللغة العربية لا يجيد القراءة، ولا يحسن الإلقاء، ولا يقدر على الأداء الصحيح لأصوات

لغته، وهو المختص بها والمعلم لها.

وربما كان مرجع ذلك إلى الأعداد الكبيرة للطلاب، وهو ما لا يتيح للمدرس أن يستمع إليهم جميعاً، ولا يساعده على المحادثة معهم، ولكن هذا السبب، على قوته، ليس مسوّغاً لغياب نشاط أساسي في عملية التعلم وهو المحادثة والاستماع، ليس في تعليم اللغة العربية وحدها، بل في تعليم العلوم كلها.

ومن المؤسف أن المقررات الجامعية في السنوات الأربع للاختصاصات كافة، لا يتضمن أي منها مقرر المحادثة والاستماع، أي لا يتضمن مقرأً شفهيّاً له علامة مستقلة، ويعد مادة مُرسّبة. ولذلك أهمل الطالب، مثلاً أهمل المدرس على حد سواء، أسلوب المحادثة والاستماع، واعتمد كلاهما على أسلوب التلقين والتدوين والملخصات، واتخاذ الكتاب والمادة المكتوبة وسيلة للتعلم والامتحان والنجاح، بعيداً عن المحادثة والاستماع، أي بعيداً عن تكوين جهاز نطقي سليم للمتعلم، يجيد بواسطته أداء لغته أداءً فنياً صحيحاً، فلا يخطئ في نطق، ولا يغلط في لفظ، ولا يزلّ في إعراب.

إن الطالب في قسم اللغة العربية يتقن قواعد النحو، ويجيد الإعراب، ويحسن تقطيع بيت الشعر على الورق كتابة بالخط، ولكنه بعد ذلك لا يجيد إلقاء بيت من الشعر، ولا يحسن قراءة بضعة أسطر، من غير أن يقع في عدة أخطاء، لأنه لم يتدرب على الإلقاء، ولم يمارس المحادثة، ولم يتقن فن الاستماع.

وفيما يخصّ الامتحان الأمر أكثر سوءاً، فهو امتحان كتابي، تختبر فيه معلومات الطالب كتابة، ويحقق الطالب النجاح بقدر ما يعيد من أقوال المدرس وما يكرر من المادة التي دونها في أثناء إلقائه المحاضرة، وقد أتقن الطلاب هذه اللعبة، فأخذوا يصطنعون الأمليات والكراسات يضمنونها محاضرات المدرس، ليعيدوا في الامتحان ما قاله، وليحفظوا بأعلى الدرجات، ثم لينسوا كل ما حفظوه.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

وعندما يخفق الطالب، لا يعرف لماذا أخفق، ولا يعرف أخطاءه، ولا تتاح له مراجعة أوراقه، ولا يتاح له محاورة مدرسه، والإصغاء إليه، ولا يستطيع المدرس أن يقف طلابه على أخطائهم، ومرجع هذا كله إلى وفرة الأعداد، وغياب عنصر المشافهة في التعليم.

ولقد تضمنت بعض المقررات ما يسمى حلقات بحث، ولها في المقرر الواحد عشرون درجة من مئة، وتسميتها تدل على أنها مجال للبحث بإشراف المدرس، وما يكون في الإشراف من محادثة وحوار واستماع وتوجيه نحو المصادر والمراجع، ومخطط للبحث ينتهي بأوراق مكتوبة لها درجة مقدرة.

ونظام حلقات البحث يتيح في الحقيقة للطالب والمعلم معاً فرصة تحقيق المشافهة، محادثة واستماعاً وحواراً، كما يتيح فرصة التدريب على البحث والعودة إلى المظان والمراجع، ولكن هذا النظام تحوّل في الواقع إلى أوراق مكتوبة يقدّمها الطالب في نهاية الفصل للمدرس، من غير أن يداوم في بعض الحالات، ولئن داوم على المحاضرات فإن فرصة إلقاء البحث والاستماع إليه ومناقشته لا تكاد تتحقق.

وهكذا خرجت حلقات البحث من الهدف المنشود منها، وهو المحادثة والحوار والاستماع، وتعرّف المظانّ والمراجع، والتدريب على الكتابة وفق مخطط وتبعاً لمنهج، فأصبحت محض وريقات مكتوبة، يجمع الطالب فيها معلومات من هنا وهناك، جمعاً بطريقة ما، ثم يتقدم بها إلى المدرس، ولا يكاد يحاوره فيها، وفي حالات كثيرة، يأخذ حلقة بحث من زميل له سبقه بسنة أو بعدة سنوات، ولا يستطيع المدرس أن يضبط هذا.

وفي معظم الحالات غابت عن العملية التعليمية المشافهة بين المدرس والطالب، وحلّ نظام التلقين والتدوين، وأخذت الكلمة المكتوبة مكان الكلمة المنطوق بها، وما عاد الطالب يمارس المشافهة في تعلمه.

إن المحادثة تعلم الطالب تنظيم أفكاره، وإعدادها، قبل النطق بها، كما تنمّي فيه حسّ البداية، والمبادرة، وسرعة الاكتشاف، وتعوّده حسن الأداء، وسلامة النطق، وقوة التعبير، كما تدريبه على تطبيق قواعد الإعراب، وتعلمه فن التأثير في الآخر، وجذب انتباهه، وإقناعه بالحجة، وهي وسيلة للتعلم، واكتساب المعرفة.

والمحادثة لا تكون من طرف واحد، إنما هي علاقة ذات طرفين، وبذلك تحقق الجانب الاجتماعي، والتواصل مع الآخر، وتعلم المتحدث أصول الحوار، وشرط المحادثة من غير شك المعرفة والثقافة، والتعذيب والاحترام، وضبط الانفعالات، وتوجيه المشاعر، وهي تكسر مشكلات الخجل والإحراج والخوف، وتنمي شخصية الطالب.

ومن لوازم المحادثة الاستماع، وهو من مناشط اللغة، إذ لا يتقن المرء اللغة إلا بحسن الاستماع، ولا يتحقق حسن الاستماع إلا بالإصغاء إلى المتحدث بالعين والقلب والسمع، من غير مقاطعة حتى يُتم حديثه، ويساعد الاستماع على اكتساب المعرفة، وتنمية المدارك، وتقوية القدرة على الفهم والاستيعاب، والإحاطة بالمادة المسموعة، ونقدها، والحكم عليها، والتدخل بالحديث عند الضرورة، أو وفق الدور، وبالتعذيب وحسن البدء.

ومن أسف أن الطالب الجامعي كاد يعطل مهارة الاستماع إليه، بانهماكه بتدوين ما يلقيه المدرس في المحاضرة، وهو يعتمد اعتماداً كلياً على ما يدونه، ولا يُلقي بالاً إلى ما يسمع، ولديه يقين بأنه سيقراً فيما بعد ما دونه في دفتره، ولذلك لا يستوعب ما يسمع، ولا يحيط به، ولا يسأل مدرسه، ولا يحاوره، لأنه يرجئ الفهم والاستيعاب إلى مهارة أخرى يعول عليها هي القراءة للمادة المكتوبة، وبذلك كاد الطالب نفسه يلغي مهارة الاستماع والمحادثة باعتماده على التدوين والقراءة.

ومما لاشك فيه أننا لا ندعو إلى إلغاء القراءة، بل نؤكد أهميتها، ولكن ليس على حساب المحادثة والاستماع، ومما لاشك فيه أيضاً أن الاستماع نشاط صعب، إذ يقتضي التوجه إلى المتحدث بكل القوى الفاعلة والمنفعلة، واستيعاب ما يقوله، وهي عمليات صعبة، متعبة، سرعان ما يملؤها الطالب ويتعب، ولذلك تأتي المحادثة والحوار مع المدرس، لتتعش الطالب، وتجدد

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

انتباهه وتحثه على المتابعة، وإدراك ما يسمع، وفهمه، والحوار على أساس منه.

ومرة ثانية تظهر مشكلة الأعداد الكبيرة للطلاب، إذ لا تساعد كثرة العدد كلاً من المدرس والطالب على إتقان الاستماع والمحادثة، إذ يضطر المدرس إلى الاستمرار في الإلقاء، ولا يعطي فرصة للسؤال أو الحوار، كي لا يحدث الشغب في قاعته، وتعم الفوضى، وبالمقابل يملّ الطالب من هذا الاسترسال في الإلقاء، ويتعب من طول الإصغاء، فينشغل بالكتابة، أو يتشاغل، ولا يستطيع المتابعة، ولا يحقق حسن الإصغاء.

إن التعليم الصحيح في المراحل كلها لا يتحقق إلا بالانطلاق من طبيعة اللغة، وهي كونها أصواتاً مسموعة وألفاظاً منطوقاً بها قبل أن تكون حروفاً مكتوبة، وما الحروف المكتوبة إلا رموز لتلك الأصوات، ولا يتحقق التعليم الصحيح إلا بتحقيق جوهر اللغة، وهو الصوت المسموع، واللفظ المنطوق به، انطلاقاً من الإشارات المصوغة في حروف وكلمات، ولا بد لذلك من مهارتي المحادثة والاستماع.

وإن المرء ليعجب من إهمال مدرسي العربية أصول النطق الصحيح بالحروف والتلفظ الجميل بالكلمات أو إظهار حركات الإعراب على أواخر الكلمات، وسلاسة التعبير في إلقاءهم وقراءتهم، ولا يعطون العربية حقها من روعة البيان وسحر الإيقاع، حتى إن بعضهم ليؤكد أن المعول عليه هو المعنى والأفكار والحقائق والمعلومات ولا قيمة للغة، ويقول مثل هؤلاء لطلابهم: عبّروا كيفما شئتم، المهم هو الأفكار والمعلومات. ومثل هذا الفصل بين المعلومات والأفكار وإتقان اللغة غير صحيح على الإطلاق، ولا يمكن للمعلومات أن تترسخ وتتضح إلا بالتمكن من اللغة وامتلاكها والوعي بمبادئها وقيمتها الفنية والجمالية. وتظل مرحلة التعليم الفرصة الوحيدة أمام الطالب ليتقن لغته ويتعلمها ويحسن أدائها نطقاً ولفظاً، أما المعلومات فيمكنه أن يستكملها فيما بعد من خلال القراءة والمطالعة.

إن المرجو هو حرص المدرسين عامة ومدرسي اللغة العربية خاصة على سلامة النطق، وبلاغة التعبير، ليعودوا طلابهم سماع لغتهم العربية، وليس عيباً أن يستعين مدرسو العربية

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

بأجهزة السمع ورصده وتسجيله في تعليم الطالب لغته العربية على نحو ما هو متبع في تعليم اللغات الأجنبية.

إن قلة الاعتماد على المشافهة في التعليم من محادثة واستماع، هي أحد أسباب تراجع العربية الفصيحة، وطغيان العامية، حتى كادت الفصيحة تتحول إلى لغة الكتابة والقراءة فحسب، مع العلم بأن لغة الكتابة يجب أن تكون في مستوى أعلى من الفصاحة والبلاغة والبيان، لتكون اللغة الفصحى.

ولا بد من التمييز هنا بين مصطلحي الفصحى والفصيحة، وبالفصحى نقصد اللغة العربية في مستواها الأعلى من الفصاحة والبلاغة والبيان، وتتمثل أول ما تتمثل في القرآن الكريم ثم في الشعر العربي ثم في فنون النثر، أي إن المقصود بالفصحى لغة الكتابة في مستواها الأدبي والجمالي والفني، والمرء غير مطالب أن يتكلم بهذا المستوى الرفيع من الأداء، إنما هو مدعو إلى أن يتكلم بالفصيحة، والمقصود بالفصيحة اللغة العربية في مستواها العادي من الحديث اليومي، مع مراعاة سلامة النطق، وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وإعراب أواخر الكلمات، واستخدام الكلمات الفصيحة، والحرص على تسلسل الجملة وترابط أجزائها وتماسكها، وسلاسة الأداء بعيداً عن اللهجات المحلية ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلاً.

ومن الممكن أن يذكر المرء في هذا السياق الحاسوب، إذ يمكن بواسطته تقديم برامج تعليمية تتطور في سلاسل ومراحل، تعلّم الطالب اللغة العربية بالصوت والصورة، وبالسماح والنطق، ومما لا شك فيه أن الحاسوب سيتيح فرصة تعليم متقدمة، ولا سيما إذا أُعدَّت برامج تعليم جيدة علمياً، ومشوقة فنياً، ومتطورة وفق الأعمار ومراحل التعليم.

ومن الممكن أن تكون برامج تعليم اللغة العربية بالحاسوب ذات نوعين، نوع يعتمد على التعلم الذاتي، أي باعتماد المتعلم على نفسه، في تعامله مع برنامج التعليم بالحاسوب، ونوع يكون بإشراف مدرس، يساعد المتعلم على التعامل مع برنامج الحاسوب.

ولكن لابد من القول إن الحاسوب وحده لا يكفي، ولا بدّ من أن يكون مصحوباً بالممارسة الفعلية، أي بالحوار والمحادثة، لا مع الحاسوب وحده، مهما تطورت تقانته وتقدمت، إنما مع الإنسان أيضاً، لأن الإنسان هو الأول، وهو المقصود بعملية التعلم والتعليم.

إن ما تعتز به العربية حقاً هو حفاظها على أصواتها التي لم يطرأ عليها إلا تغير محدود جداً، وهذه سمة من سماتها الخاصة بها، فنحن نتكلم العربية ونلفظها بأصواتها مثلما كان ينطق بها الأجداد قبل نحوٍ من ألفي عام، ولا بد من التأكيد أن الحافظ لهذه السمة المميزة هو القرآن الكريم بفضل تلاوته.

وإذا كان العربي يريد أن يحفظ لغته حقيقة، وإذا كان يرغب في تعلمها والنطق بها وأدائها الأداء الصحيح والجميل، فما عليه إلا أن يعود إلى القرآن الكريم، لا ليقرأ في المصحف بعينه قراءة صامتة أو يتلوه فحسب، بل ليستمع إلى كبار القراء من أشرطة التسجيل، أو برامج الحاسوب، وليستمع إليهم بقلبه وعقله وسمعه وحواسه كلها، ويتنبّه إلى أدائهم الجملة، ولفظهم الكلمة، ونطقهم بالحرف، ولينظر بعيني سمعه وقلبه إلى مواطن الجمال والسحر والبيان في النطق والأداء، وعندئذ يمكنه أن يتلو بعد ذلك القرآن الكريم ويتعلم العربية.

وفي هذا كله ما يؤكد أخيراً أن السماع والمحادثة، أو ما نسميه المشافهة، هو مَنشَط أساسي في العملية التعليمية، ولا سيما تعليم اللغة العربية.

الخطة القومية للترجمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)

د. عبد اللطيف عبيد

الأستاذ بالمعهد العالي للغات

جامعة تونس

الترجمة خيار استراتيجي ومحور أساسي في نشاط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وخططها ومشروعاتها، وبرامجها الحالية والمستقبلية. وقد أنشئت المنظمة بموجب المادة الثالثة من ميثاق الوحدة الثقافية العربية، وأُعلن قيامها رسمياً في 25 يوليو/تموز 1970، وكان الهدف من إنشائها - كما ورد في المادة الأولى من دستورها - "التمكين للوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربي عن طريق التربية والثقافة والعلوم، ورفع المستوى الثقافي في هذا الوطن حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الإيجابية فيها".

وفي إطار هذا الهدف العام تنهض المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجملة من المهام، من أبرزها العمل على رفع مستوى الموارد البشرية في البلاد العربية، والنهوض بأسباب التطوير التربوي والثقافي والعلمي والبيئي والاتصالي، وتنمية اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية داخل الوطن العربي وخارجه، ومدّ جسور الحوار والتعاون بين هذه الثقافة والثقافات الأخرى في العالم.

وسنعرّف في هذه الورقة بـ "الخطة القومية للترجمة" التي وضعتها المنظمة، ووافق عليها مجلسها التنفيذي في دورته الثلاثين المنعقدة في الحمامات بتونس من 9 إلى 16/8/1982 ودعا الدول العربية والمنظمة إلى تنفيذها، ثمّ عرضت على مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

الثقافية في الوطن العربي المنعقد في دورته الرابعة بالجزائر من 9 إلى 11/5/1983 فأقرها ودعا أيضاً الدول العربية والمنظمة إلى تنفيذها.

ويتنزل وضع الخطة القومية للترجمة في إطار الفكر الاستراتيجي الذي اعتمدته المنظمة، منذ إنشائها، في أداء المهام المنوطة بها. فقد شرعت منذ البداية في وضع "استراتيجية تطوير التربية العربية 1976، وقد أقرها المؤتمر العام للمنظمة عام 1979، و"استراتيجية محو الأمية في البلاد العربية" التي أعدها الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، وأقرها مؤتمر الإسكندرية الثالث 1976. وقد جرت مراجعات لهاتين الاستراتيجيتين في مرحلة لاحقة، ثم توالى إعداد مجموعة من الاستراتيجيات القطاعية، فتم وضع "الخطة الشاملة للثقافة العربية" 1985، و"استراتيجية العلوم والثقافة" 1989، و"استراتيجية التوثيق والمعلومات" 1998، و"الاستراتيجية العربية الموحدة للمعلومات" 1999، و"استراتيجية تعليم الكبار في الوطن العربي" 2000... إلخ.

والحقيقة أن الاهتمام القومي بالترجمة تشريعاً وتخطيطاً وتنسيقاً وإنجازاً لم يبدأ مع قيام المنظمة في مطلع سبعينيات القرن الماضي، وإنما كان في أذهان دعاة الإصلاح وقادة الرأي وطلّاع المثقفين والمتنورين في البلدان العربية، عندما فكر العرب في أواخر الحرب العالمية الثانية التي غيرت خريطة العالم بإنشاء منظمة عربية قومية، تجمع شملهم، وتوحد كلمتهم، وتدعم مطامحهم في التقدم والتحرر والارتقاء الحضاري، منظمة لا تهتم بالشأن السياسي وحده، بل بمختلف جوانب الحياة العربية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

وما إن أُقرّ ميثاق جامعة الدول العربية في 22 مارس/آذار 1945 حتى عقدت في العام نفسه أول معاهدة بين الدول العربية لتأكيد العمل العربي المشترك وهي "المعاهدة الثقافية". وقد نصّت المادة السابعة من المعاهدة المذكورة على أن "تعمل دول الجامعة على تنشيط الجهود التي تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة والحديثة وتنظيم تلك الجهود...".

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

وقد أنشأت جامعة الدول العربية عدداً من اللجان لتنفيذ أغراضها؛ منها اللجنة الثقافية، كما أقامت عدداً من المؤسسات منها الإدارة الثقافية لدى الأمانة العامة للجامعة لتتسق العمل العربي في المجال الثقافي. وقد اهتمت اللجنة الثقافية بشؤون التأليف والترجمة والنشر، ونشطت الإدارة الثقافية في مجال الترجمة، فأصدرت ترجمات عديدة متميزة لمؤلفات مهمة في الرياضيات وتاريخ العلوم والموسوعات والمسرح العالمي... إلخ.

وقد تطرق ميثاق الوحدة الثقافية العربية الذي أقره مجلس جامعة الدول العربية في دورة انعقاده العادية الحادية والأربعين بتاريخ 21 مايو/أيار 1964 إلى موضوع الترجمة فدعا، على غرار المعاهدة الثقافية، الدول العربية إلى أن تتعاون "قيماً بينها على إحياء التراث العربي - الفكري والفني - والمحافظة عليه (...)" وعلى ترجمة روائعه إلى اللغات الحية (...)" وعلى تنشيط الجهود التي تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة وتنظيم تلك الجهود (...)" وعلى أن تسعى إلى توحيد المصطلحات العلمية والحضارية، وعلى أن تساعد حركة التعريب بما يحقق إغناء اللغة العربية مع المحافظة على مقوماتها، وذلك بالتعاون مع المكتب الدائم للتعريب والرباط...".

وعندما قامت المنظمة وبأشرت عملها بانعقاد مؤتمرها العام في دورته العادية الأولى بالقاهرة في شهر يوليو/تموز 1970، ألحقت بها الأجهزة التي كانت قد أقامتها جامعة الدول العربية ومنها مكتب تنسيق التعريب المحدث بالرباط عام 1961، وصارت وكالة متخصصة بالنسبة إلى جامعة الدول العربية على غرار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

وكانت الخطوة الأولى التي خطتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجال الانكباب على قضايا الترجمة أن عقدت "حلقة الترجمة في الوطن العربي" في الكويت بحضور مندوبين من ثلاث عشرة دولة من 24 إلى 31 ديسمبر/ كانون الأول 1973، وذلك "لدراسة تنسيق حركة الترجمة في البلاد العربية ووسائل النهوض بها، ووضع خطة لترجمة الكتب الأساسية التي تتصل بالحضارة العربية، أو تكون ذات قيمة ثابتة". وقد صدرت عن الحلقة توصيات دقيقة، تتصل بواقع حركة الترجمة في كل قطر عربي، وبوسائل تنسيق حركة الترجمة في البلاد العربية،

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

ووسائل النهوض بحركة الترجمة إلى اللغة العربية ومنها.

وفي عام 1976 دعا المؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، إلى تجميع البيانات الموثقة عن حركة الترجمة ووضع خطة قومية للترجمة ضماناً للتنسيق وتقادياً من تكرار الجهود.

وفي عام 1978 دعا المؤتمر العام للمنظمة، المنعقد بالخرطوم إلى إعداد قوائم ببلوغرافية بالترجمات، ووضع مخطط قومي لترجمة أبرز الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، والاهتمام بنتاج الفكر العربي إلى اللغات الأجنبية.

وفي عام 1979 عقدت المنظمة العربية اجتماع خبراء في الترجمة بمقرها بتونس، فوضع مشروعاً أولياً لخطة قومية، وقرر المجلس التنفيذي إنشاء وحدة الترجمة بالمنظمة، للقيام على الجوانب المختلفة للترجمة، والتنسيق مع الخطة الشاملة لاستراتيجية تنمية فيما يتصل بالسياسة القومية للترجمة ومقوماتها الفنية.

وقد تولت وحدة الترجمة مهمة وضع مشروع الخطة القومية للترجمة مستعينة بالدراسات المتوفرة عن واقع الترجمة في البلدان العربية، وهي الخطة التي أقرها مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي المنعقد في دورته الرابعة بالجزائر عام 1983، ودعا الدول العربية والمنظمة إلى تنفيذها كما سبق أن ذكرنا.

وبعد عشر سنوات من صدور الخطة (وكان ذلك عام 1985) قامت المنظمة بتحديثها والتوسع فيها، وذلك بناء على التوصية الصادرة عن الدورة التاسعة لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي التي عقدت في بيروت مطلع عام 1994، ثم أصدرتها في كتاب بعد أقرها مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي في دورته العاشرة عام 1996.

وقد أشارت مقدمة الخطة المُحدّثة إلى أن من دواعي تحديثها ما يلي:

1. ما شهدته العقدان الأخيران من مستجدات في الأوضاع العربية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي المجالين التعليمي والعلمي، على وجه الخصوص، وفي هذه المرحلة، مرحلة الثورة العلمية والتقانية أو مرحلة التفجر في العالم. وهذا ما يستدعي توفيق خطة الترجمة في برامجها ومشروعاتها مع الأوضاع المذكورة وما ينبثق عنها من احتياجات ومتطلبات.
2. التقدم العلمي الكبير في مجالات معرفية تتصل بالترجمة، كعلم الترجمة وعلم المصطلح وعلم اللسانيات وعلم الصوتيات...
3. التطور الواسع الذي طرأ على وسائل الترجمة، بفضل التجهيزات الجديدة من وسائل اتصال وحواسيب إلكترونية وقواعد بيانات وبنوك معلومات.

مضمون الخطة:

تقع الخطة القومية للترجمة في صيغتها المُحدّثة الصادرة عام 1996 في 203 صفحات، وتضم قسمين رئيسيين: المبادئ الأساسية والخطة التنفيذية، وتشتمل على أربعة ملاحق.

يتضمن القسم الأول مقدمة وأربعة فصول هي منطلقات الخطة وأهدافها، وأسسها، ووسائلها، وآلية تنفيذها.

أما القسم الثاني - أي الخطة التنفيذية - فيشتمل أيضاً على أربعة فصول هي: خطة عمل لإنشاء معهد نموذجي لإعداد المترجمين، والخطة المفصلة الخاصة باختيار الكتب المترجمة، والخطة المفصلة الخاصة بترجمة العلوم إلى العربية وتعريب تدريسها، وخطة مفصلة خاصة بإنشاء شبكة اتصال عربية حول الترجمة وتوثيق الكتب المترجمة.

وأما الملاحق الأربعة: فهي: الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف، ومشروع قانون نموذجي بشأن تنظيم مهنة الترجمة، ودستور اتحاد المترجمين العرب - النظام الداخلي، واستبانة استقصاء أوضاع الترجمة في الوطن العربي.

وقد عبّرت مقدمة الخطة المحدّثة عن رجاء المنظمة في أن تكون هذه الخطة التي تضعها بين أيدي المهتمين بالترجمة في الوطن العربي، أصحاب قرار ومسؤولين ومخططين ومنفذين وباحثين، إطاراً موجهاً لعمل عربي متناسق ومتكامل في جانب حيوي من جوانب نهضتنا الحضارية، يحفظ لهذه الأمة هويتها اللغوية والثقافية ويمهد الطريق للانطلاقة المنشودة.

وليس من اليسير استعراض محتويات كل فصول الخطة وملاحقها، لذلك فإننا سنتوقف عند أبرز المحاور، مما قد يفيد الإشارة إليه لندراسه والسعي لتنفيذه.

ففي الفصل الأول حول "منطلقات الخطة وأهدافها"، تنص الخطة على أن الأهداف تتمثل في:

- أ. إغناء الفكر العربي وإخصابه بروائع التراث العالمي...
 - ب. المساعدة على تعريب التعليم بمختلف مراحله وأنواعه في البلدان العربية، ولا سيما التعليم العلمي...
 - ج. الإسهام في تعزيز البحث العلمي بإطلاع الباحثين العرب على البحوث العلمية المتلاحقة في العالم، وبنقلها إلى العربية...
 - د. تعريف المواطن العربي بقضايا العصر ومشكلاته...
 - هـ. تنمية اللغة العربية ذاتها، لأن الترجمة تجعلها تتسع من حيث مفرداتها، وذلك باستخدام مصطلحات حضارية وعلمية حديثة، ومن حيث أساليب التعبير بها...
 - و. تعريف العالم الخارجي، ولا سيما الناطقين باللغات الحية الواسعة الانتشار، على نتاج الفكر العربي قديمه وحديثه، وبنقله إلى تلك اللغات.
- وفي الفصل الثاني المخصص لـ "أسس الخطة" نجد تفصيلاً للأساسين اللذين تستند إليهما الترجمة وهما المترجم القدير والكتاب المفيد.

ففيما يخص المترجم ترى الخطة أنه هو "الطرف الرئيسي في حركة الترجمة، وقد تقضي الترجمة بأن يكون إلى جانبه مراجع أو منسق". وبعد أن يستعرض الفصل شروط المترجم، يركز على تكوين المترجمين، وتدريبهم، وأجورهم، وحقوقهم، وتنظيمهم. وفي كل هذه الجوانب، تقدم الخطة معلومات عن أوضاع المترجمين أجنياً ودولياً، ومقترحات عملية من شأن تطبيقها أن يساعد على النهوض بالمترجم الذي هو الطرف الرئيس في حركة الترجمة كما رأينا.

أما ما يخص الكتاب المترجم فإن القضايا المتصلة به تتمثل في اختياره، الذي يحسن أن يكون بناء على "وجود معادلة سلمية وإيجابية بينه وبين القارئ المستفيد، وتقاس عملية الترجمة بمقدار ما تُسدُّ من حاجات المواطن في البلد الذي تجري فيه". وتقدم الخطة معايير استرشادية لاختيار الكتاب. كما تتعرض خطة الكتاب المترجم إلى قضيتي الموضوع والتداول.

وفي الفصل الثالث المخصص لـ "وسائل الخطة" اهتمام بثلاث وسائل من شأن توفرها أن يرقى بمستوى الترجمة، وهي المصطلحات والمعجمات والترجمة الآلية.

وفي الفصل الرابع المخصص لـ "آلية تنفيذ الخطة" تركيز على ثلاثة جوانب رئيسية أولها التخطيط والتنفيذ، وذلك على النطاق الوطني والنطاق القومي، فتقترح، مثلاً، تشكيل لجنة في المنظمة تدعى "اللجنة القومية للترجمة" تتولى التخطيط لعملية الترجمة والإشراف على الخطة القومية للترجمة ومتابعة تنفيذها، وتتولى على وجه الخصوص مهام التوثيق والإعلام والإرشاد. وثانيها التعاون في التنفيذ عربياً ودولياً، وثالثها التوقيت والتمويل.

أما القسم الثاني من الخطة القومية للترجمة، والمخصص "للخطة التنفيذية" كما أشرنا، فيتضمن فصله الأول "خطة عمل لإنشاء معهد نموذجي لإعداد المترجمين". ويدقق هذا الفصل في دواعي إنشاء المعهد، وأهدافه، والقبول فيه (من شروط وامتحانات) ومدة الدراسة، وشروط التخرج، والمناهج، ووحده البحوث، وأنواع الترجمة، والهيئة التعليمية، وطلبة المعهد وميزانيته... إلخ.

ويتضمن الفصل الثاني من "الخطة التنفيذية" الخطة المفصلة الخاصة باختيار الكتب المترجمة التي تتعرض لتحديد احتياجات الوطن العربي الثقافية والعلمية، واحتياجات الجامعة في الوطن العربي من الكتب المنهجية والمرجعية، ووضع الأولويات حسب الإمكانيات المادية والبشرية...

ويتضمن الفصل الثالث "الخطة المفصلة الخاصة بترجمة العلوم إلى العربية وتعريب تدريسها" التي تسعى لتحقيق أهداف عديدة، منها المساعدة على تعريب التعليم بمختلف مراحله وأنواعه في البلدان العربية.

أما الفصل الرابع فيتضمن "خطة مفصلة خاصة بإنشاء شبكة اتصال عربية حول الترجمة وتوثيق الكتب المترجمة"، فيفصل القول في دواعي إنشاء الشبكة، ودعائها، ومقرها ومهامها، وقواعد بياناتها، وتنظيمها، وتحديثها، وتمويلها... إلخ.

وفي الجملة فإن القسم الثاني من "الخطة القومية للترجمة" يتضمن تصورات عملية دقيقة وآليات تنفيذ فعالة، من شأنها النهوض بالترجمة في الوطن العربي بحثاً ومصطلحاً وتوثيقاً وحوسبة وإنتاجاً وتأهيلاً وتشريعاً وتخطيطاً وتنظيماً.

تنفيذ الخطة القومية للترجمة

سعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للنهوض بالدور الذي حددته لها الخطة، ويتمثل دورها في جوانب تشمل حركة الترجمة في الوطن العربي كله، ومنها المسح والتوثيق والإرشاد.

ففي مجال المسح وضعت المنظمة كتاباً في جزأين: أولهما صدر عام 1985 وثانيهما صدر عام 1987 بعنوان "دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي". ويضم هذا الكتاب دراسات، كتبها مختصون، عن واقع الترجمة في سبعة عشر قطراً عربياً، وينتهي بدراسة تحليلية موسعة لما اشتملت عليه الدراسات المذكورة.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

وفي مجال التوثيق، حصرت المنظمة في الثمانينيات ما ترجم خلال إحدى عشرة سنة -1981- 1970 فبلغ العدد 2890 كتاباً، وأصدرت ذلك في كتاب.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن المنظمة تمكنت من تحقيق جانب هام من أهداف الخطة بواسطة جهازين من أجهزتها الخارجية، أولهما مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط الذي أصدر حتى الآن ثلاثة وثلاثين معجماً موحداً في مختلف مجالات العلوم، ويتيحاً لإصدار معاجم عديدة أخرى، مما يستجيب للحاجات التعليمية والثقافية والاقتصادية في الوطن العربي، ويساعد المترجمين إلى العربية على أداء مهامهم على الوجه الأفضل، إضافة إلى إصداره مجلة متخصصة في قضايا اللغة والترجمة والتعريب (اللسان العربي) صدر حديثاً عددها السادس والخمسون، وعقده عشرة مؤتمرات للتعريب؛ وثانيهما المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق الذي أسس عام 1990 لتحقيق أهداف عديدة منها:

1. المساعدة على تعريب التعليم العالي والجامعي بفروعه وميادينه كافة في الوطن العربي...
2. متابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة العلمية والأدبية والفنية في العالم، والتعريف به واختيار الجيد منه لتعريبه.
3. تنسيق مجهودات الترجمة والتأليف التي تجري في الوطن العربي...
4. إغناء الثقافة العربية بتعريب الرفيع من روائع الفكر العالمي في العلوم والآداب والفنون، ونقل ما لم ينقل منه إلى العربية.

وقد أصدر المركز، 96 كتاباً مؤلفاً ومترجماً حتى أواخر عام 2006 وذلك في مختلف مجالات العلوم والآداب والتربية، كما أصدر المركز حتى الآن 30 عدداً من مجلة "التعريب" التي هي مجلة دورية نصف سنوية، وعقد خمساً من ندواته الدورية المخصصة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.

وتطبيقاً للخطة القومية للترجمة، تعمل المنظمة على دعم كل الجهود والمبادرات الهادفة إلى النهوض بالترجمة سواء داخل الوطن أو خارجه. وفي هذا الصدد رحبت المنظمة بقيام المنظمة العربية للترجمة، وتأسيس اتحاد المترجمين العربي ببيروت، الذي جاءت أهدافه وهيكلته وأنشطته مطابقة لما تضمنته الخطة ولما دعا إليه ميثاق الوحدة الثقافية العربية، وفي هذا الإطار أيضاً استحدثت المنظمة، ثم مع الغرفة التجارية العربية الفرنسية بباريس، جائزة تمنح في حقل الترجمة من الفرنسية إلى العربية في العلوم الاجتماعية والتقنيات الحديثة أطلق عليها جائزة ابن خلدون للترجمة.

هذا وقد تجاوبت بلدان عربية عديدة مع الخطة القومية للترجمة، واعتبر بعضها أن ينفذ فعلاً الخطة ويعمل على تحقيق ما يمكن تحقيقه منها.

ومنذ صدور الخطة عام 1985 تحققت في الوطن العربي إنجازات عديدة في مجال الترجمة، مثل إنشاء كليات ومعاهد وأقسام جديدة للترجمة في الجامعات، وتأسيس مراكز بحوث في اللغة والمصطلحات والترجمة الآلية... إلخ. ولعل من أهم الإنجازات التي تحققت على الصعيد القومي مما يعد تنفيذاً لـ "خطة عمل لإنشاء معهد نموذجي لإعداد المترجمين" تأسيس "المعهد العالي العربي للترجمة" بالجزائر عام 2004، والذي هو مؤسسة تعليمية وعلمية متخصصة مرتبطة بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية وتعمل أساساً على تكوين مترجمين عرب متخصصين كتابيين وفوريين.

ومن المؤمل أن تؤتي كل الجهود الخيرة المتنوعة التي تبذلها الدول والمنظمات والاتحادات والجمعيات والمؤسسات العربية الوطنية والقومية - ومنها مؤسسة الفكر العربية الموقرة - أكلها، بما يساعد على تجاوز حالة الركود التي ما زالت تشهدها الترجمة في وطننا العربي مثلما برز في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

والمنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم عاقدة العزم على مواصلة بذل الجهد للنهوض بالترجمة في الوطن العربي بالتعاون مع كل الجهات الوطنية والقومية والدولية المعنية، لذلك جعلت أهداف الخطة القومية للترجمة ضمن التوجهات الكبرى لخطة العلم المستقبلية الجديدة 2005-2010 والتي من أبرزها إيصال الثقافة العالمية إلى المواطن العربي للتفاعل معها وتمثلها، وكذلك إيصال الثقافة والإبداع العربيين إلى العالم، وتوفير المناخ الملائم لحوار الأنداد مع الثقافات الأخرى.

التحريج العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

بحوث ودراسات معربة أو مترجمة

التحريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

الجودة في الترجمة المهنية – "الأسس"

ترجمة د. محمد أحمد طجو

أستاذ مشارك كلية اللغات والترجمة

جامعة الملك سعود

1. وظيفة الترجمة – عناصر أولية

إلى عهد قريب جداً، كان كل الخطاب الذي يتكلم على الترجمة تقريباً، سواء في الدروس الجامعية أم في الأدب، يقوم جوهرياً أو حصرياً على مسائل تتعلق باللغة، كما يلاحظ روبنسون (Robinson, 1997 a: 162). وكانت الترجمة تُعتبر نشاطاً لغوياً منجزاً يقوم على نصوص، وكانت العوامل الأساسية التي تحدد الترجمة بنى تكافؤ مجردة، محددة نحوياً ودلالياً (Robinson, 1997a: 162). ينطبق هذا التعليق على الأسلوبية المقارنة للفرنسية والإنجليزية التي وضعها فيني وداربلنت (Vinay et Darbelnt, 1958)، والتي تواصل نجاحها في بعض برامج اللغات المعاصرة الفرانكوفونية (لا بل في بعض برامج الترجمة)، وفي كتابات رومان ياكوبسون Roman Jakobson (انظر دراسته المعروفة حول الجوانب اللغوية في الترجمة، 1959)، وجورج موناين Georges Mounin، لاسيما كتابه المسائل النظرية في الترجمة (1963)، وكاتفورد Catford (نظرية لغوية في الترجمة، 1965). يقول روبنسون (Robinson, 1997a: 192 - 193) إنه حتى نهاية السبعينيات، وظهرت نظرية الأنظمة المتعددة (إيفن زوهار

¹ هذه ترجمة للفصل الثاني من كتاب دانييل جيل Daniel Gile المعنون الترجمة فهمها وتعليمها La traduction la comprendre, l'apprendre والصادر في عام 2005 عن المطابع الجامعية الفرنسية PUF.

(Even Zohar, 1978)، ونظرية الوظيفة *skopos* (رايس وفيرمير 1984 (Reiss et Vermeer)، ونظريات ما بعد الاستعمار (انظر جاكمون 1992 (Jaquemond، على سبيل المثال)، لم يكن أحد في الواقع ينظر إلى الترجمة على أنها نشاط ذو طبيعة اجتماعية في جوهرها.

ومع ذلك، يعتبر المترجمون المهنيون أن النيات والمصالح والعلاقات السلطوية التي تتجاوز تجاوزاً كبيراً المسائل اللغوية تحدد قسماً كبيراً من النشاط الترجمي. يطلب أفراد وشركات وهيئات أخرى من المترجمين تنفيذ عمل على نص يؤدي إلى نص آخر في لغة مختلفة. وتتوقف تعليماتهم وتوقعاتهم المتعلقة بالتطابقات الدلالية والنصية بين نص الانطلاق ونص الوصول، وبالتقديم، وبالمعايير التحريرية، على بعض الحاجات. وينجز العمل في إطار بعض الشروط المتعلقة بالوقت، والأجر، والمعايير التحريرية، ومع بعض المصادر التوثيقية والتقنية. وتترك كل هذه العوامل في الشكل الذي سيكون عليه نص الهدف أثراً يماثل ويتجاوز أحياناً أثر العوامل اللغوية التي توضحها اللسانيات التقابلية.

لنأخذ على سبيل المثال لا الحصر بعض الأمثلة الملموسة بالنسبة إلى عامل يعدّه بعض علماء الترجمة مركزياً، ألا وهو وظيفة *skopos* نص الوصول (بدأت هذه الكلمة اليونانية التي اختارها هانس فيرمير وكاتارينا رايس مدهشة في البداية، لكنها فرضت نفسها لدى علماء الترجمة مع بداية الثمانينيات)، ويمكننا أن ننظر في الاختلافات التالية:

- إن ترجمة معدة للنشر، وتتطلب عناية تحريرية كبيرة على جميع المستويات، وتكلف من ثم كثيراً، تختلف عن ترجمة موجهة فقط إلى مهندس، لتساعده قبل عملية التفاوض على فهم طريق صناعية مستخدمة في بلد آخر. ففي هذه الحالة، تقود اعتبارات تتعلق بالميزانية والسرعة إلى تفضيل ترجمة دقيقة دلاليّاً وأقلّ كمالاً من الناحية التحريرية.
- إن ترجمة نص قانوني ذي طبيعة دولية تكون فيه دقة الدلالة ووضوح الخطاب أمرين جوهريّين في الطريقة التي سيستخدمه بها رجال القانون، تختلف عن ترجمة نص إعلاني يركز على صورة تخاطب المتخيل لبيع سلعة ما؛ ففي هذه الحالة، يعد تكييف النص مع ثقافة المتلقين الهدف أمراً واجباً، وإلا أصبح عديم التأثير.

- الفولكلور التقليدي لمجموعة عرقية موجهة إلى باحثين في اللسانيات الأجنبية يريدون رؤية طريقة تعبير أفراد هذه المجموعة العرقية.

ويذهب دانييل غوادك (Daniel Gouadec, 2002) أبعد من ذلك، فيعرّف مجموعة من الترجمات، بدءاً "بالترجمة الوصفية" signalétique التي لا تنقل سوى العناصر الوصفية الموجزة للنص الأصل، وانتهاءً "بالترجمة المطلقة" مروراً بمختلف صيغ نقل قسم من، أو كل محتوى النص الأصل وفقاً لحاجات الزبون.

في حياة المترجم اليومية، تحدد التعليمات الصريحة ("دفتر الشروط") أو الضمنية التي ترافق الموقف الاتصالي هذا، خيارات إلزامية ملموسة، ولهذا فإنها تحتاج إلى إعداد في تأهيل المترجمين. وقد أكب علماء الترجمة منذ الثمانينيات كثيراً على هذه القضية، وخصّوها بالعديد من كتاباتهم. ومع ذلك، يعد إحداث رد فعل تجاه المبدأ لدى الدارسين في التأهيل الأولي للترجمة أكثر أهمية من تعليمهم التصنيفات وقوائم المصطلحات والأنظمة التصورية التي تناقش في أوساط علماء الترجمة. يهدف هذا الفصل إذاً إلى إحداث رد فعل بسيط وجوهري لدى الدارسين حتى يفهموا المسار، ومن ثمّ الخيارات المقترحة.

1.2 الفاعلون في الترجمة المهنية ووظيفة النص

هناك نوعان من المترجمين المهنيين: المستقلون أو الموظفون. عندما يكون المترجمون مستقلين، فإنهم يترجمون بناء على طلب زبون (أو أمر بالعمل) يمكن أن يكون بسيطاً، مثل مكتب ترجمة أو اتصال، أو زبوناً مباشراً، يكون بوجه عام شركة تطلب منهم ترجمة لحسابها الخاص. ويمكن أن يكون هذا الزبون ناشراً، ومخبراً صيدلانياً، ومشفى، ومكتب محاماة، ووزارة أو هيئة حكومية أخرى، ومصنعاً، وشركة اتصالات، وشركة تأمين، لـخ. ونادراً ما يكون الزبون شخصاً عادياً (كما في ترجمة وثيقة ولادة، وشهادة زواج، وشهادة جامعية أجنبية، ورسالة، ومقال علمي، الخ.).

وحتى في حالة زبون مباشر، من النادر حدوث اتصالات مباشرة بين المترجم، وكاتب النص المطلوب ترجمته أو متلقيه. يتعلق الأمر بوجه عام بوسيط: منظم تظاهرة علمية، أو رئيس قسم، أو معاونة إدارية.

وأما على مستوى الاتصال، وفي أكثر الحالات شمولاً وتكراراً، فنجد أنفسنا في الشكل الآتي (الشكل 1.2). يقترح غوادك في أعماله (Gouadec 1998, 2002) شكلاً أكثر كثافة، يتضمن مختلف الشركاء في المؤسسة، لكنه لا يصبح ملموساً بكليته إلا في بعض الحالات، وهي بالأحرى حالات نادرة، حيث تجري الترجمة في مؤسسة على قدر كاف من الأهمية. زد عل ذلك أن غنى هذا الشكل يجعل تمثله صعباً على الدارس في بداية عهده بالترجمة، وأن المتدخلين الذي يظهرون فيه، إضافةً إلى الأشخاص الممثلين فيما يلي يقومون بدور ثانوي، لا بل مهم، في قرارات المترجم.

كاتب ← متلقي ك

مترجم ← متلقي م

زبون

الشكل 1.2 الفاعلون الرئيسون في الترجمة المهنية

إن الفاعلين الرئيسيين في بيئة المترجم المباشرة في الشكل السابق هم الكاتب، والزبون، ومتلقو الترجمة. ويكون الزبون في معظم الأحيان الفاعل الوحيد الذي يتمتع بواقع طبيعي محدود جداً (غالباً ما يقتصر هذا الواقع على مراسلة وعلى اتصالات هاتفية). وأما الأشخاص الآخرون فيكتسبون هويتهم من الصورة الذهنية التي يكوّنها عنهم، وفقاً للمعلومات التي تتوفر لديه:

1. الكاتب، وهو، باستثناء بعض الحالات، شخص طبيعي (في مقابل مؤسسة أو هيئة أخرى)، وليس في الغالب الذي يبادر بطلب الترجمة، وذلك لأسباب مالية، إذ إن تكلفة الترجمة المهنية مرتفعة نسبياً. وأما في الترجمة العلمية أو التقنية، فإن المترجم المستقل يتفاوض مع شخص مكلف بإدارة الترجمة في المؤسسة (الزبون)، ولا يتصل مع الكاتب إلا نادراً. وعندما يكون الكاتب والمترجم موظفين في المؤسسة نفسها، أو في هيئة دولية، فإن اتصال المترجم

- بالكاتب، ليطالب منه توضيحات بشأن نصه يكون أكثر سهولة. وإن الاتصال المباشر مع الكاتب أقل ندرة في الترجمة الأدبية (العلاقات بين الكتاب ومترجميهم "المعجبين" تمثل جانباً جذاباً في مهنة المترجم الأدبي، وتستحق تأملاً خاصاً يتجاوز إطار هذا الكتاب).
2. متلقي النص الأصل الذي لا يحتاج إلى المترجم، ولا يتصل به، ولا يؤثر في قراراته.
3. متلقي الترجمة، وهو بالمقابل، شخص مهم للمترجم، الذي يتوجه في عمله وفقاً لما يعرفه عن هذا المتلقي ولما يتخيله عنه.
4. زبون محتمل للزبون (في الشكل المؤلف الذي يكون فيه زبون المترجم مؤسسة ترجمة، ويكون زبونها مؤسسة صناعية) يمكن أن يكون أيضاً شخصاً مهماً، بالمعنى الذي يحدد فيه قسماً كبيراً من دفتر الشروط الذي سينقل إلى المترجم.
5. وأخيراً، يتدخل أحياناً فاعلون آخرون في الترجمة في الصف الثاني: المراجع، والمترجم الخبير الذي يعيد قراءة عمل المترجم وينقحه، والشخص المصدر أو المصدر المتخصص في المجال، أو المتكلم الطبيعي بلغة الانطلاق أو الوصول، الذي يزوده بالإرشادات المصطلحية أو الأسلوبية وبالمعلومات الأخرى. وهناك في بعض الهيئات وظيفة خاصة بالتوثيق والبحث المصطلحي في خدمة المترجم. ويمكن أن يكون دفتر عناوين المصادر الخبيرة والمتوفرة عنصراً مهماً من "أصول" المترجم.

2.2 مصالح الفاعلين

لفهم المحددات الاجتماعية المهنية للترجمة فهماً أفضل، أي الطلبات والضغوط والقيود التي يخضع لها المترجم، من المهم أن ننظر عن كثب في موقف كل الفاعلين الأساسيين الذين يرتبط بهم ويخدمهم.

1.2.2 الكاتب ووظيفة النص

يكتب كاتب النص الأصل من أجل بعض المتلقين (المتلقي ك في الشكل 1.2) الذين يعرف أو يتخيل معارفهم في المجال المعني، ونظام قيمهم، ورغباتهم، ومصالحهم، وميزاتهم الثقافية. ففي أكثر الحالات عمومية، تكون لغة المتلقين اللغة التي يكتب بها الكاتب. وقد يحدث أيضاً أن

يتوجه الكاتب أيضاً أو حصراً إلى متلقين من لغات تختلف عن لغته ويعرف أن نصه سيترجم (كما في حالة شركة متعددة الجنسيات، وحالة كاتب "دليل استعمال" منتج ما معداً للتصدير، وحالة صحفي يحرر خبراً لوكالة أنباء دولية).

ويمكن أن نتحدث في حالة كل نص عن وظيفة اتصالية مركزية (وظيفته *son skopos*) تتغير قليلاً وفقاً للوظائف الشخصية.

إن وظيفة النص الاتصالية الرئيسة تقوم غالباً على نقل معلومة لمجرد الإخبار فقط. ويمكن أن يكون ذلك في حالات جدول بالبضاعة وأسعارها، أو قائمة طعام، أو لائحة انتخابية، ومحضر اجتماع، ونشرة أخبار تليت في المذيع، وتقرير نشاط، ونص قانون، ولوحة تحدد ساعات العمل في أحد الأقسام الإدارية.

ويهدف النص أحياناً إلى الشرح. يتعلق الأمر عندئذ، بتحليل معلومات موجودة، لمساعدة المتلقي على إدراك الواقع الذي تحيل عليه إدراكاً أفضل، أكثر مما يتعلق بتقديم معلومات جديدة. ويمكن أن يكون ذلك في حالات تحليل سياسي أو مالي، ومقال يعلق على وضع اقتصادي أو حالة قضائية، وحكم قضائي يشرح فيه القضاة لماذا يصدرن فيه حكماً معيناً، ونظرية رياضية، ونظرية فلكية، ونظرية علمية نفسية، ونظرية علمية اجتماعية ينكب فيها الكاتب على دراسة طبيعة العلاقات بين الكائنات (الطبيعية، والتصورية، والتنظيمية، والإنسانية).

وقد يتعلق الأمر بما هو أبعد من الشرح، كما في النصوص الإخبارية التي تهدف إلى إقناع القارئ بأهمية حدث ما، وبصحة فكرة ما، وبإيجابيات شخص معين، الخ. وتوضح افتتاحيات الصحف نمط هذا المسار، وكذا الإعلانات المقارنة، وبيانات الأحزاب السياسية، ومرافعات المحامين، ولكن أيضاً المناقشات العلمية بشأن بعض النظريات أو تفسير بعض نتائج التجارب العلمية.

توجد الأنماط الثلاثة هذه من الوظائف الاتصالية الأساسية في عدد كبير من النصوص الإخبارية، ولكنها لا تكوّن قائمة كاملة وحصرية. يمكننا على سبيل المثال التكلم على نصوص تهدف إلى الحصول على عمل محدد من القراء: التصويت لأحد المرشحين، وشراء منتج ما، وارتداء الثياب حسب بعض المعايير، والتبرع بالنقود لمصلحة قضية إنسانية، الخ. وبالمثل، يمكن أن تتضمن بعض النصوص كالعقود وظيفة تحفظية conservatoire أو ضامنة de garantie إلى جانب وظيفتها الإخبارية، لأن المعلومات التي تتضمنها وآثارها معروفة سلفاً لدى الأطراف المعنية. وهناك نصوص أخرى وظيفتها الشكر، أو التشريف، أو الإضحاك، إذ تتضمن الأغلبية العظمى من النصوص العديد من هذه الوظائف في آن معا، وذلك لأن الشرح والإقناع يلجئان في معظم الأحيان إلى تقديم المعلومات.

وتوجد أيضاً خلف هذه الوظائف المفتوحة قليلاً وظائف أو دوافع أكثر ذاتية نادراً ما يعترف بها، كالكاتب الذي يكتب نصاً بهدف فرض سلطته على مجموعة من القراء المعنيين وليس لإخبارهم بشيء ما، أو بهدف انتقاد فرضية منافس ما، وليس للدفاع عن فرضيته، أو بهدف إبراز علمه، وحماية نفسه من هجوم محتمل.

إن المترجم ليس مطالباً بتصنيف النص تحت نوع اتصالي ما حدده منظرون، وليس مطالباً أيضاً بتحديد نسبة المعلومة، والشرح، وحضور الكاتب فيه (إن تحليلنا السابق ليس له وظيفة ولا طموح التصنيفات العلمية التي أتى بها اللسانيون الوظيفيون في مدرسة براغ ومن جاء من بعدهم)، لكنه مع ذلك مطالب بأن يُحسّ بوجود مختلف الدوافع والمصالح التي يوظفها الكاتب في نصه ليتمكن من فهمها وخدمتها خدمة أفضل باتخاذ القرارات المناسبة.

2.2.2 معايير النجاح الاتصالي في نظر الكاتب

يعتبر الكاتب أن النسخة المترجمة من نص ما تقوم بوظيفتها إذا تحقق الشرطان التاليان:

1. إذا ساعدته في بلوغ أهدافه (وبدقة أعلى، إذا كانت مساهمة الترجمة في تحقيق هذه الأهداف تساوي على الأقل توقعاته)، وعلى سبيل المثال، إذا وصلت المعلومة، وإذا اقتنع المتلقون

بصحة فكرته، وإذا فهموا المعلومة التي شرحها، وإذا أحدث فيهم الأثر المطلوب.

2. إذا لم تشوه الترجمة صورة الكاتب في نظر قرائه، وهو أمر مهم له أيضاً. إن ترجمة نص ما بأسلوب غير سليم أو أرعن، على سبيل المثال يمكن أن تنقل المعلومة المقصودة للقارئ، وأن تقدم في الوقت نفسه صورة سلبية عن كاتب قليل الثقافة أو قليل الحرص. وبالمثل، يمكن أن يقدم نص ما صورة سلبية عن كاتبه للقراء إذا لم يلتزم ببعض المعايير السائدة لدى هؤلاء القراء، ففي هذه الحالة، ربما يتحقق قصد الكاتب الأولي، ولكن مع نتائج ثانوية ضارة. ويمكن الافتراض أن الكاتب سوف يفضل التقادي منها. إن الشرط الثاني هذا الذي يتمثل في نجاح النص نجاحاً فعالاً، والذي يقوم على مصالح الكاتب أكثر مما يقوم على أهدافه، نادراً ما يوضح في الأدب. وإن غوادك (Gouadec, 1989, 2002) هو أحد الكتاب القلائل الذين يركزون على أهمية المحافظة على مصالح أحد الفاعلين في الترجمة، لاسيما الأمر بالعمل (انظر لاحقاً). وعلى أي حال، غالباً ما يستدعي الشرط الثاني هذا قرارات خاصة من المترجم، وهذا ما يجعله مهماً.

ما مدى ملائمة هذه الاعتبارات عندما يكون الكاتب متوقّ، وعندما لا يكون على علم بوجود الترجمة، أو عندما يكون منقطعاً كلياً عن العالم الذي يعيش فيه متلقو الترجمة؟ إن هذا السؤال ذو طبيعة أدبية déontologique، لا بل أخلاقية (ترتبط الأخلاق في قسم كبير منها بالمعايير الاجتماعية). سوف نعود لهذا الموضوع لاحقاً، وذلك في أثناء مناقشة مفهوم الإخلاص المهني.

3.2.2 متلقو الترجمة

غالباً ما نسمع مدرّسي الترجمة ومنظّريها يقولون إن المترجم يعمل "للكاتب وللمتلقيين"، ويقصدون بذلك أن أهدافهم ومصالحهم فيما يخصّ النص متطابقة، أو متوافقة على الأقل، وهذا يعني أن الكاتب يهدف إلى الإخبار، وأن المتلقيين يريدون أن يكونوا على علم، وأن الكاتب يريد أن يشرح، وأن المتلقيين يريدون أن يفهموا. هذه هي الحالة الغالبة، وليس من النادر أن يقرأ قارئ نصاً ما ليتحقق من أن الكاتب قدم المعلومة كلها، أو ليرى ما المعلومات التي اختارها ولماذا، أو أيضاً ليسأل عن الطريقة التي يقدم بها الكاتب المعلومة (نذكر هنا مثال الدبلوماسيين الذين

يقرؤون الصحف الصادرة في بلدان عملهم ليقدموا تقارير لمراسليهم في بلدانهم الأصلية)، وليس بهدف الحصول على المعلومات التي يتضمنها. إن أكثر الحالات شيوعاً هي تلك التي يهدف فيها الكاتب إلى إقناع قارئ لا يريد الاقتناع، وذلك في إطار نقاش بين فريقين يختلفان في وجهة النظر المتعلقة بشأن مسألة ما. وقد يحدث أيضاً أن يكون دافع القارئ الوحيد في مواقف جدلية، البحث عن عناصر تسمح له بمحاربة مواقف الكاتب محاربة أفضل. وهكذا، يبدو أن فكرة "خدمة الكاتب والمتلقين" لا تخلو من المشاكل.

4.2.2 الزبون

نادراً ما يكون الزبون كاتب الترجمة أو متلقيها، كما شرحنا سابقاً. يتعلق الأمر بوجه عام بسيط، أي بمؤسسة ترجمة على سبيل المثال، يوقع معها المترجم عقوداً بصفته مترجماً مستقلاً. فالترجمة خدمة تعرضها المؤسسة على زبائنها الخاصين مقابل أجر، ومصالح المؤسسة تجارية مهما كانت الوظيفة الاتصالية للنص المعني بالنسبة إلى كاتبه أو متلقيه. ويكون الزبون أحياناً قسماً داخلياً في مؤسسة أو هيئة، أو شخصاً مكلفاً بإدارة أعمال الترجمة، وتكون مصالحه عندئذ تنظيمية أو إدارية في جوهرها: ما يهمه هو أن تسير العملية من دون عقبات. وبالطبع، هناك زبائن لديهم اهتمامات اتصالية أكثر من غيرهم. وهكذا، فالمجلة التي تطلب ترجمة نصّ كتب بلغة أجنبية بهدف نشره، يمكن أن تهدف من خلاله إلى توصيل معلومة، وشرح موقف، وإقناع القراء بصحة فرضية، أو أيضاً إلى إلحاق ضرر بمصداقية الكاتب بمهاجمة نصه. ومع ذلك، ينبغي ألا يغيب عن ذهننا أن هذه الاهتمامات الاتصالية تمثل حالة خاصة، لا عامة.

5.2.2 المترجم

أدبياً، يعمل المترجم في خدمة فاعلين آخرين. وأما عملياً، فهو مهني تكمن مصلحته الرئيسية في كسب المال، وفي الاحتفاظ بعمله، وإذا اقتضى الحال في الحصول على ترقية إن كان موظفاً، أو زيادة زبائنه إن كان مستقلاً. وبوصفه مهنيّاً، فإنه يرتبط قبل كل شيء بالزبون، وبنيل رضاه.

3.2 وظيفة النص الرئيسية: أربع حالات خاصة

إذا ما تجاوزنا مصالح الفاعلين الفردية، فإن تحرير الكاتب نصه لهدف خاص شرط سابق لترجمته، ولكنه لا يحددها كلياً. عندما يطلب زبون ترجمة ما، فإن ذلك يتطلب إنتاج نص ثان، يتميز عن النص الأصلي، ويمكن أن يقوم بوظيفة النص الأصلي التي أرادها الكاتب لنصه (الإخبار، والشرح، والإقناع، الخ) أو بوظيفة أخرى. إن منظري الوظيفة يذهبون أحياناً إلى حد القول إن التطابق الوظيفي لنص الانطلاق ونص الوصول أمر استثنائي (نورد 1991:23). نقدم هنا على سبيل المثال أربع حالات يمكن أن تكون فيها الاختلافات الوظيفية كبيرة. ونعتمد مع ذلك في سياق التحليل فرضية عمل السيناريو الشائع جداً، الذي تكون فيه هذه الاختلافات ضئيلة جداً، لدرجة أنه يمكننا أن نعتبر أن المترجم يتمنى أن تسير الترجمة في الاتجاه الذي يريده الكاتب. وأما استكمال آثار الحالات الأخرى على قرارات المترجم، فسوف نتركه للقارئ. ومن المفروض أن تبرهن المناقشة التالية على الواقع الواضح أو الضمني، المتمثل في أن وظيفة النص يمكن أن تكون أساساً مهما لهذه القرارات، وأن تبعد المترجم إبعاداً ملموساً عن استراتيجية تطابقات لسانية.

1.3.2 حالة "الترجمة القضائية التي يطلبها الخصم"

في إجراء قضائي يتخاصم فيه طرفان، إذا كان المترجم يعمل لمصلحة محامي أحد الطرفين ويترجم رسالة أو وثيقة أخرى كتبها الطرف الآخر، فإن وظيفة الترجمة يمكن أن تقوم على تزويد أسلحة مضادة للطرف الآخر نفسه، وأن تختلف عن وظيفة النص الأصلي، كأن تبرهن على سبيل المثال بأنه أصبح مذنباً بسبب عمل يستحق اللوم، أو أن تشكك في مصداقيته بطريقة أخرى.

2.3.2 حالة "الترجمة الأجnasية"

يمكن أن نطلق هذه التسمية على ترجمة نص أُعِدَّ لمصلحة مختص بعلم الإنسان يرغب في أن يألف نمط التعبير، ونمط المُحاجة، والصور التي تستخدم في مجموعة لسانية أجناسية يدرسها. توسعاً، يمكن أن تشير هذه التسمية إلى حالات أخرى تكون فيها وظيفة الترجمة إخبار القارئ بشكل النص الأصلي (وفي الوقت نفسه بمضمونه عند الاقتضاء). تهدف الترجمة في هذه الحالة قبل كل شيء إلى الإخبار بميزات التعبير في المجموعة المعنية، لا إلى الإجابة عن وظيفة النص الأولى، وعن أهداف كاتب النص الأصلي. ويتصور الموظفون الألمان أنفسهم أيضاً حالة ترجمة تهدف إلى إخبار القارئ بالنص الأصلي هذا، ويطلقون عليها اسم "الترجمة الوثائقية".

3.3.2 حالة "ترجمة صحف المعارضة"

إن هذه الحالة التي لا يمكن البت فيها بطريقة الحالتين السابقتين نفسها، هي حالة صحيفة تترجم أقوال شخصية سياسية تعارضها هذه الصحيفة سياسياً وأيديولوجياً. ومع مراعاة إخلاص المسؤولين عن الصحيفة المعنية، لا يتعلق الأمر الجوهري هنا بالتشكيك بمصادقية الشخصية السياسية، ولا بخدمة أهدافها. فإذا كان التحكيم ضرورياً، فإن القرار قد يكون مضاداً لها وليس لمصلحتها.

4.3.2 حالة "الترجمة من أجل الفهم"

وأخيراً، قد يحدث أن تُطلب الترجمة بصفة استكشافية، ليتمكن أحد المختصين من قراءة مضمون النص الأصلي ومعرفته معرفة "إجمالية"، على أن تجري لاحقاً إعادة ترجمة قسم منه ترجمة أعلى دقة (تنطبق هذه الحالة على أنواع الترجمة الأولية في تصنيف غوادك). ففي مثل هذه الحالة، وعلى الرغم من عدم وجود تعارض حقيقي بين (Gouadec, 1989) ووظيفة النص الأصلي ووظيفة الترجمة، فإن استخدام الترجمة أكثر محدودية، وهذا ما يمكن أن يبرر أن يعهد بها إلى دارس ترجمة، أو إلى مترجم هاوٍ أقل أجراً من مترجم مهني (بطبيعة الحال، يمكن أن يقترن الأجر الأقل بخطر أكبر في فقدان المعلومة أو تشويهها).

4.2 آثار وظيفة الترجمة الرئيسية

إن وظيفة الترجمة الرئيسية التي تختلف عن أهداف كل فاعل من الفاعلين الموجودين، يمكن أن تكون ذات أهمية عملية كبيرة. يُحكّم على الترجمة مثل أي نص وفقاً لمدى قيامها بهذه الوظيفة في الموقف الاتصالي الذي تدرج فيه. وحتى تقوم بوظيفة ما لدى متلقيها على أحسن وجه، ينبغي أن تتطابق ميزات الترجمة الإخبارية، واللغوية، والثقافية على أفضل وجه مع معايير الاتصال الأمثل في المجتمع الذي تنتمي إليه. فإذا كان المطلوب من الترجمة مثلاً أن تساعد الكاتب على الإخبار، والشرح، والإقناع، فإنه يبدو من المعقول أن نصحّح فيها بعض الأخطاء التقنية المحتملة. إذا أخطأ الكاتب في نص يتكلم على المسافات، وكتب سهواً "كغ" عوضاً عن "كم"، فإن المترجم يميل إلى التصحيح. وبالمثل، يميل المترجم، بهدف مساعدة القراء المتلقين على الفهم، إلى تحويل وحدات قياس وعمليات أجنبية إلى وحدات قياس وعمليات أكثر قبولاً، أو يشير إلى مثيلاتها في الوحدات المناسبة بين قوسين (انظر مثلاً تريكاس بريكس Tricás 1995: 167-168). وأما في "ترجمة قضائية يطلبها خصم" وتهدف إلى الضرر بالكاتب، فلا تصحّح الأخطاء، مثلما لا تعدّل وحدات القياس في ترجمة "أجناسية" الهدف (يتذكر القارئ من دون عناء روايات يقاس فيها الوقت بالشهور القمرية، والمسافات بالمشي بالأيام، الخ). وبالمثل، يجري نقل أو عدم نقل بعض ميزات نص الانطلاق اللغوية- الثقافية أو تكيف في نص الهدف حسب وظيفتها son skopos. وأخيراً، يمكن أن يقرر الزبون، أحد الناشرين مثلاً، إهمال بعض أجزاء النص، إن رأى أنها أقل ملاءمة من الأجزاء الأخرى، وإن كان لا يملك الحيز الكافي (تخضع تعديلات النص هذه جزئياً لمعايير اجتماعية وأيديولوجيات، ويحللها علماء ترجمة بعبارات اجتماعية، وسياسية، ودينية، وحتى أنثوية، الخ- انظر الفصل الثامن).

3. تلاقي المصالح واختلافها: الإخلاص المهني

يبدو من تقديم الشكل الخاص بالفاعلين في الترجمة المهنية وتحليله أن أهداف ومصالح بعضهم وبعضهم الآخر ليست متطابقة تطابقاً آلياً، وليست متلاقية أو حتى متوافقة بالضرورة. كيف تظهر تلك الاختلافات عملياً؟ من المهم في المقام الأول أن نحدد دور المترجم بالنسبة إلى كل فاعل في الترجمة.

1.3 الإخلاص للزبون

ثمة أمر جوهري في التأمل النظري في الترجمة أدى مدةً طويلة إلى طريق مسدودة، ولكن نتائجه العملية مهمة، ألا وهو علاقة التبعية التي يرتبط فيها المترجم المهني بزيونه. يحدد الزبون، باعتباره رب عمل في حالة المترجم الموظف، أو الأمر بالعمل في حالة المترجم المستقل، يحدد دفتر شروط ينبغي للمترجم أن يلتزم به أدبياً وقانونياً. ويظهر هذا الالتزام في المستوى الأول من الاعتبارات التي يخصصها لأدبيات المترجم دانييل غوادك، الكاتب الفرنسي الذي أكب أكثر من غيره على الجوانب المهنية للترجمة (Gouadec, 1989, 2002). إن غوادك يذهب أبعد من التقيد بـ"دفتر الشروط"، فيركز في "الوصايا العشر للمترجم" على الالتزام الأدبي بالدفاع عن مصداقية الزبون، وعدم القيام بأي شيء يضر به (Gouadec 1989: 98-99). ويزيد روبنسون (Robinson, 1997 a: 32) على ذلك بالقول إن العديد من المترجمين يعتبرون أنه لا يمكن التفكير بالقيام بأي شيء قد يضر بمصالح الشخص أو المؤسسة التي تدفع أجر الترجمة. والواقع أن الزبون هو الذي يوضح للمترجم وظيفة الترجمة الرئيسية، وهو الذي يحدد له شروط عمله (قد يرفض المترجم هذه الشروط إن كان مستقلاً) فيمنحه وقتاً وأجراً محددين، وربما يطلب منه حجماً معيناً لنص الوصول، ونمطاً من الأسلوب الكتابي، وتخفيفاً لبعض جوانب النص التي لا تتناسبه، واستبعاداً بلا قيد أو شرط لبعض المقاطع، وتكييفاً مع ثقافة الهدف، أو على العكس، حفظاً لبعض السمات الثقافية لنص الانطلاق، الخ. وتأتي مصلحة الزبون في جميع هذه الحالات قبل مصالح الكاتب والمتلقي، حتى عندما تكون متعارضة.

2.3 الإخلاص للكاتب

إذا كان إخلاص المترجم لزبونه ونتائجه أمرين غير معروفين خارج الأوساط المهنية، فإن إخلاصاً آخر يقوم أساسه على طبيعة مختلفة، يعتبره الجميع على الفور مشروعاً: الإخلاص للكاتب.

بوجه عام، نعتبر أن مهمة المترجم في الحالة "العادية" تقوم على مساعدة القارئ على قراءة "نص الكاتب". وعلى الرغم من خداع هذه الصورة قليلاً بسبب التحولات اللغوية وغير اللغوية التي تطرأ بالضرورة على النص الأصلي للوصول إلى حالة الترجمة بلغة أخرى، فإن القارئ في معظم الحالات يشعر وهو يقرأ ترجمة ما أنه يقرأ نص الكاتب وليس نص المترجم. وينجم عن ذلك، مع مراعاة تطابق وظيفة الترجمة مع وظيفة النص الأصلي، وفي حدود مجال الحركة الذي يمنحه الزبون، التزام أخلاقي بالأمانة للنص في صورته التي أرادها الكاتب.

بيد أن هذا التطابق بعيد المنال كما رأينا سابقاً. هناك، على العكس من ذلك، تعارض واضح في حالة "الترجمة القضائية التي يطلبها الخصم" و"ترجمة صحف المعارضة" يمكن أن يقود المترجم إلى اتخاذ قرارات متعارضة مع مصالح الكاتب. ففي حالة "الترجمة الأجنبية"، تختلف وظيفة الترجمة اختلافاً ملموساً عن وظيفة النص الأصلي، ولا تهتم بها. وأما في حالة "الترجمة من أجل الفهم"، فإن مصالح الكاتب يمكن أن تكون محفوظة، إن كانت الترجمة غير المتقنة قليلاً التي يطلبها الزبون تثير مع ذلك اهتمام القارئ.

إن شروط العمل التي يفرضها الزبون يمكن أن تضر بمصالح الكاتب، حتى في حالة مثالية من التطابق المبدئي بين مصالح الكاتب الرئيسة ومصالح الزبون. فمكاتب الترجمة مثلاً، وهي مؤسسات تعرف بأنها تجارية الهدف، تميل إلى الدفاع عن مصالحها في مواجهة منافسيها، وذلك بتقديم أعمال سريعة وقليلة التكلفة. غير أن سرعة مفطرة تمنع المترجم من التوسع في البحث، والمراجعة، وأن أجراً منخفضاً جداً يدفعه للعمل بسرعة، ومن ثم لتثبيت هذه الآثار السلبية.

زد على ذلك أن العديد من مكاتب الترجمة يرفض اتصال المترجم المباشر بزيائهم الخاصين

الذين يطلبون الترجمة، وهذا ما يقلل من إمكانيات الحصول على توضيحات ومعلومات أخرى موثوق بها عن النصوص، وعن الموضوع التي تعالجه، وعن المصطلحات والأساليب الملائمة. وهكذا، قد يسبب اختلاف مصالحي الزبون والكاتب مشكلات حقيقية للمترجم النزيه والمتفاني في عمله.

وعندما لا تتعارض وظيفة الترجمة مع مصالح الكاتب، فإن معظم المترجمين يميلون ليس فقط إلى الدفاع عن مقاصده، وإنما أيضاً إلى الدفاع عن أهدافه الضمنية أو الصريحة في النص، ويشمل ذلك مصداقيته (تصحيح زلاته، وتخفيف رعونته على سبيل المثال). وأما في الحالات الأخرى التي تتناقض فيها وظيفة الترجمة مع وظيفة الكاتب، فإن الأمانة للكاتب تنخفض إلى الحد الأدنى، الذي يمكن وصفه بالحد الأدنى من النزاهة، والإخلاص، وحسن النية، والذي يقوم على نقل مضمون النص الأصلي من دون تشويهه. ومع ذلك، قد يحدث أن يؤدي ضغط الزبون إلى صعوبة محافظة المترجم على الحد الأدنى هذا، وذلك عندما يعطيه الزبون، الذي يكون في خلاف مع طرف آخر، تعليمات يرى أنها تستغل زلات الكاتب ورعونته اللغوية استغلالاً غير نزيه.

3.3 الإخلاص للمتلقى

إن خدمة المتلقين ليست غاية في حد ذاتها، فعندما تتطابق وظيفة النص الأصلي ووظيفة النص المترجم، فإننا نعمل من أجل القراء، بمعنى أننا نحاول أن نخبرهم، وأن نشرح لهم أو أن نقنعهم كما يتمنى الكاتب ذلك، ولكن وفقاً لإخلاص للزبون وللکاتب. وعندما تفضل وظيفة الترجمة التي يطلبها الزبون المتلقين على الكاتب في سياق من اختلاف المصالح بين الطرفين، فإننا نعمل من أجل المتلقين ولكن وفقاً لإخلاص للزبون.

إن هذه الاعتبارات المتعلقة بالإخلاص ليست نظرية، فهي تحدد قرارات ملموسة. ولا يمكن تصنع كل الحالات الخاصة في الوسط الجامعي، لكن من المهم أن نحدث رد فعل لدى دارسي الترجمة، وأن ندخل، على الأقل في تدريباتهم، بعض النصوص الحقيقية التي تتضمن مقاطع

مغلوبة أو غامضة تتطلب قرارات جريئة باسم الدفاع عن مصالح الكاتب.

4.3 مواقف مهنية

إن اختلاف المصالح بين الأطراف الفاعلة في الترجمة لا يعبر عن الطبيعة العميقة لعملية الترجمة على المستويين الفكري أو اللغوي، ولكنه يشير مع ذلك إلى الأهمية الكبيرة للوسط الاجتماعي- المهني في إنجازها. يشير روبنسون في كتاب وجيز ذي توجه تعليمي (Robinson, a) 1997 إلى أن الترجمة لا تجري في الفراغ، وبوجود كفاءة قصوى ومصادر غير محدودة، وإنما في إطار فضاء مقيد بالزمن والمصادر، وخاضع لقوى اجتماعية. ويتعامل المترجم في المواقف المهنية مع هذه القيود وهذه المصادر، ويعتمد استراتيجيات وتكتيكات مناسبة (غالباً ما يجري الخلط بين الكلمتين في الأدب، وغالباً ما تُستخدم كلمة "استراتيجية" بالمعنى الدارج لكلمة "تكتيك"، أي بمعنى جواب على مشكلة محلية) تختلف باختلاف نص الانطلاق والظروف، ولا تؤدي بالضرورة إلى نص الهدف نفسه.

وإذا ما استبعدنا أدبياً (وتصنعاً بعض الشيء) مصالح المترجم المهني الخاصة (كسب المال، والمحافظة على الزبون، وتوفير الجهود)، فما هي توجهاته بشأن الإخلاص المهني؟ ما الفاعل الذي يفضلُه في قراراته الترجمية؟ سبق أن أشرنا إلى أن السياق المهني الذي يوجد فيه، وكذا طبيعة عمله التعاقدية، يفرض عليه التزامات وقيوداً يقبلها لمجرد تكليفه بالترجمة (يستطيع المترجمون المستقلون رفض العقد أو التفاوض بشأن الشروط عند الاقتضاء). إن المترجم، بمجرد اتفاه مع الزبون، يلتزم بإنهاء العمل في أجل وشروط محددة، وإن كان الوقت الذي يُمنح له قصيراً ولا يُمكنه من إجراء كل المراجعات والتصحيحات التي يريدها. عملياً ونظرياً، يمثل الإخلاص المهني للزبون ولمصالحه، شرطاً قَبْلِيّاً يحدد مجال الحركة الذي يتوفر للمترجم، والذي ينتقي فيه خياراته.

5.3 المراجع

ومن المهم أيضاً في الإطار المهني تحديد دور وظيفة المراجعة في أقسام الترجمة في مختلف المؤسسات والهيئات الدولية. المراجع بوجه عام مترجم متمرس يعيد قراءة الترجمات ويصححها، ويحسنها. فالمراجع ليس المتلقي النهائي للترجمة بالمعنى الضيق، وإنما متلقيها الوسيط، والمهم للمترجم. ويمتلك سلطة ما مع أنه ليس "زبوناً". ويمثل التقيد بمطالبه، لاسيما بخياراته الأسلوبية والمصطلحية، قيداً لا يمكن تجنبه، ومصدراً لخيبة أمل غالباً (إن تصحيحاً يقترحه مترجم مهني آخر يمثل نقداً لا يمكن إزالته بظاهر اليد كما هي الحال في نقد زبون لا نقده).

6.3 خيارات الإخلاص

ما إن يحدد دفتر الشروط الخيارات العامة حتى تطرح المسألة الآتية: أيفضّل المترجم مصالح الكاتب أم مصالح متلقي الترجمة. ففي حالة "ترجمة قضائية يطلبها خصم" أو في حالة "ترجمة أجنبية"، يفضل دفتر الشروط مصالح المتلقي. وأما في حالات أخرى، فإن الأولويات لا تكون بالضرورة محددة.

عملياً، وفي القدر الذي لا تتعارض فيه مصالح الزبون مع مصالح الكاتب، يُختار عادة الإخلاص لمصالح الكاتب ومقاصده. فهل يدركها المترجم دائماً إدراكاً صحيحاً؟ وماذا بشأن كاتب توفي منذ عدة عقود، لا بل منذ عدة قرون، ولم يكن يفكر بقراء محتملين لترجمة نصه بعد عدة قرون؟ إن المترجمين المهنيين يسعون بوجه عام للحصول من الزبون على معلومات عن طبيعة النص، والكاتب ومقاصده، والمتلقين المحتملين، وهدف الترجمة واستخدامها المتوقع، وذلك لترشدهم في اتخاذ قراراتهم. وفي غياب هذه المعلومات، يبني المترجمون ذهنياً مجالاً اتصالياً يتضمن كل السمات والمقاصد التي تسمح بإرشادهم. ولا تنطبق هذه الحالة على دارسي الترجمة، لاسيما دارسي اللغات المعاصرة الذين يمارسون الترجمة على شكل ترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية ومن اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم. ولهذا من المهم مساعدتهم على تَعوُّد بناء مثل

هذا المجال الافتراضي، مجال افتراضي، وذلك بأن نحدد لهم في كل تمرين ترجمة موقفاً اتصالياً ("سوف تترجمون نصاً محدداً لمتلقين محددين ولهدف معين") - انظر أيضاً لافو (Lavault, 1998 a)، وهانكان (Hannequin, 1998).

4. الجودة - الأسس

إن تحليل المعالم المهنية للترجمة التي عرضناها حتى الآن يقودنا إلى عدة نتائج. فمن جهة، يتعلق تقييم جودة عمل المترجم ليس فقط بالنص المنتج، وإنما أيضاً بمعالم لا نصية. ومن جهة أخرى، يمكن تقييم المعالم النصية للترجمة تقويماً مختلفاً حسب موقف المقوم في الشكل الاتصالي المناسب ووظيفة الترجمة. وهكذا نبقي بعينين عن تقييم الترجمة التي تمارس في الوسط التعليمي من جوانبها الدلالية واللغوية أو النصية فقط، والتي تكون مفصولة عن أي وسط محسوس.

1.4 معالم نصية لجودة الترجمة

نقوم جودة الترجمة في جوانبها النصية بطريقتين: بوصفها نصاً مستقلاً من جهة، ووفقاً لعلاقاتها مع النص الأصلي، وهو ما نطلق عليه عادة اسم "الأمانة" للنص الأصلي. ويناقد الفصل الثالث هذا المفهوم، ويقدم نتيجة تجريبية تأكيداً لمسار معين.

1.1.4 الترجمة بوصفها نصاً مستقلاً

تتمتع ترجمة النص غير الأدبي على الفور بوضع الاستقلال الذاتي، أو تكتسب هذا الوضع سريعاً في المجتمع الذي يتلقاها (المجتمع الذي يتكلم لغة الوصول): يهتم قارئ طريقة استعمال منتج أو مقال علمي، بمحتوى النص الذي يقرأه، واحتمالاً بكتابته، ولكنه - باستثناء مشكلة خاصة - لا يهتم بأن يعرف هذا النص ترجمة أم لا. ويتفاعل مع نص مستقل ذاتياً، أي وفق ميزاته، وبصفته نصاً مستقلاً.

وسواء كان النص أصلياً أم مترجماً، فإنه ينبغي، لكي يخبر ويشرح و/أو يقنع على وجه أفضل، وهي مسألة تتعلق بالحس السليم، أن يتقيد بمعايير لغوية تتصف بها الكتابة الجيدة في المجال والمستوى المعنيين، وأن تكون مصطلحاته دقيقة إن كان متخصصاً. إن كل خطأ لغوي يقدم للقارئ صورة سيئة عن النص، وكاتبه أو ناشره، ويضر من ثم بمصالحهما. وإن كل رعونة لغوية، وكل مقطع غامض، يجعل القراءة أكثر صعوبة، وأكثر إرهاقاً، وأقل إقناعاً. وإن كل رعونة أو خطأ مصطلحي يضر أيضاً لأنه يتطلب من القارئ مجهوداً إضافياً، ويمكن أن يضر بصورة الكاتب.

الترجمة الجيدة هي قبل كل شيء عرض يقدم كل ميزات النص الذي يتصف بالجودة، ولذلك من المهم أن يكون المترجم محرراً جيداً في لغة الهدف، وأن يكون لديه حس باللغة وبالعبرة الواضحة والمنطقية. ويمكن أن ندرك بسهولة، من وجهة النظر هذه، أنه ينبغي للمترجم ألا يترك في نصه آثاراً نحوية ومعجمية أو أسلوبية من لغة الانطلاق، يمكن أن تجعل من ترجمته نصاً أرعن أو غير طبيعي قليلاً. وكما هو موضح في الفصل الثالث، ويقود ذلك بالضرورة إلى إضافة أو إهمال بعض المعلومات، وكذا إلى تكييف أسلوب معين يتعلق على سبيل المثال باستخدام الظرف، وبتفضيل الأفعال أو الأسماء، والجمل الطويلة بعض الشيء، والأسلوب الشائع إلى حد ما، أو على العكس من ذلك، الأسلوب الجزل (الذي ذكره) بوسيب (Puusepp, 2003) بشأن النصوص العلمية الروسية في مقابل النصوص الإنجليزية المشابهة)، والتخفيف من النبرة التأكيدية في النص الأصلي (تقرض معايير ثقافية يابانية التخفيف الذي يُعتبر شكاً إن نقل كما هو إلى الفرنسية، وقد يبدو الكلام الاستوني estonien المباشر فجاً باللغة الإنجليزية، Puusepp, 2003).

هنا أيضاً، أي في الترجمة على أرض الواقع، تبقى بعيدين عن الترجمة التعليمية من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية، ومن اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم التي يمارس فيها غالباً نوع من الرقابة على أي إهمال أو إضافة للمعلومة يمكن تجنبه لغوياً، والتي غالباً ما تكون فيها الترجمة إلى اللغة الأم التي تُنتج بلغة الوصول نصوصاً غير طبيعية قليلاً، بسبب دخول صيغ أجنبية في

ترجمة مقبولة على علاقتها، لا بل ومقترحة في تصحيحات مدرسي اللغات الأجنبية. نشير هنا عرضاً إلى أنه في المجال الأدبي، تنتظر بعض الأوساط، أو كانت في الماضي تنتظر، من الترجمات اللجوء إلى لغة غريبة *exotique*، ومتأثرة بلغة الانطلاق، وكلمات وبنى منسوخة من لغة الانطلاق تتصف أو كانت تتصف بجاذبية ما. لقد سادت هذه الحالة خلال سنوات طويلة في اليابان على وجه الخصوص، قبل أن ترتفع أصوات تنزايد باستمرار مطالبة بترجمات يابانية توافق عبقرية اللغة اليابانية، وتقرأ بسهولة أكبر (انظر مثلاً نوهارا Nohara, 1999). وتمثل مسألة التفصيل "التعريبي"، أو "التطبيعي" هذه في المجتمعات المتلقية للترجمات موضوع تأمل مهم منذ ثمانينيات القرن الماضي (انظر الفصل الثامن).

2.1.4 معايير التطابق بين نص الانطلاق ونص الوصول

على الرغم من وضع الاستقلال الذاتي الذي تتمتع به الترجمة في مجتمع التلقي، فإن شرعيتها تنجم أساساً عن علاقتها بنص انطلاق. وقد جعلت هذه البديهة وأهميتها الكثيرين ينسون المعاملات الأخرى. وقد نظر مفكرون كثيرون لا يقلون أهمية في مسألة إمكان الترجمة *traduisibilité* من زاوية التطابقات بين نص الوصول ونص الانطلاق فقط، ومن دون اعتبار الوظيفة الاجتماعية للترجمة. بيد أن وظيفة الترجمة تطرح مسألة إمكان الترجمة بعبارات فائدة العملية والتأثير في المتلقين، بقدر ما تطرحها بعبارات التطابقات النصية إن لم يكن بأكثر منها. فإذا كان نص وصول ما لا يحتوي على مزايا نص الانطلاق اللغوية نفسها، ولكنه ينقل معناه نقلاً لا يختلف كثيراً عنه، فهل يمكن التحدث عن استحالة الترجمة؟ بالطبع، يبدو أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن نقيس بدقة درجة تأثير الاختلافات الواردة في شكل الترجمة مقارنة بشكل النص الأصلي. ومع ذلك، يصعب أيضاً أن نقيس بدقة تأثير شكل النص الأصلي في كل متلقٍ من المتلقين. فبعض الاختلافات بين نصوص الانطلاق ونصوص الوصول الواضحة بقدرٍ يكفي لكي نكتشفها، ولكي نثير ردود فعل متوافقة لدى المقيمين (على سبيل المثال، أخطاء واضحة في الأرقام والأسماء، ومعان معكوسة، وإهمال بعض الأمور الواضحة الأهمية). ومع ذلك، نظراً لتنوع حس كل فرد بمضمون كل نص وشكله، سواء كان

نصاً أصلياً أم ترجمة، فإنه يبدو من المعقول أن نعتبر أن الاختلافات الطفيفة تختفي في التنوعية الذاتية لقابلية تأثر كل فرد.

إن التطابقات في الترجمة غير الأدبية، التي تقوم على نصوص، يهدف كتابها إلى تحقيق مقاصدهم بتقديم معلومات إخبارية في جوهرها (لا لغوية أو أسلوبية على وجه الخصوص). وكما سنرى في الفصل الثالث، فمن الطبيعي، وحتى من المستحب، ألا تكون هذه التطابقات الإخبارية على مستوى الجملة أو مجموعة الكلمات كلية دائماً. فضلاً عن ذلك، وكما أوضحنا سابقاً، يتخذ المترجم قراراته المتعلقة بهذه المعلومات وبتقديمها وفقاً لوظيفة الترجمة. ويتعلق تصحيح أخطاء النص ورعونه بهذا المسار. ونكتفي في هذه المرحلة بذكر المبدأ، إذ إننا سنرى طرائق التطبيق العملية في أمثلة في فصول أخرى.

وبخصوص المبدأ دائماً، نذكر بأنه قد يحدث أن يفرض الزبون مبادئ التطابق أو بالأحرى عدم التطابق. وهكذا يمكن أن تطلب إحدى دور النشر من المترجم أن يهمل بعض الإحالات أو بعض العبارات التي قد يرفضها القراء الذين تتوجه إليهم الترجمة، وذلك لأسباب أيديولوجية، ودينية، وأخلاقية أو سياسية. ويفرض المترجم أحياناً على نفسه رقابة ذاتية في الاتجاه نفسه، حتى في غياب توجيهات من زبونه (هذا العنصر أساسي في الترجمة الأدبية، وقد أدت دراسة هذه المعايير إلى ظهور مدرسة فكرية وبحثية في علم الترجمة- انظر الفصل الثامن).

2.4 معالم لا نصية في جودة الترجمة

كما أوضحنا سابقاً، يمكن أن تتدخل أيضاً الاعتبارات اللا نصية في تقويم جودة الترجمة، ويشكل أساسي (وليس حصرياً) من جانب الزبون.

ثمة معلّم لا نصي مهم في جودة الترجمة في عالم الترجمة المهنية، ألا وهو سرعة إنجاز العمل، لدرجة أنه غالباً ما يتقدم على المعالم النصية. وهكذا، يمكن أن يفضل موظف إداري يحتاج إلى معرفة معلومات موجودة في نص بلغة أجنبية، السرعة في الترجمة على حساب جودتها الأسلوبية قبل أن يتخذ قراراً هاماً وعاجلاً. فالبحث عن توسع أسلوب في نص الهدف قد

يحرمه في الواقع من المعلومات المطلوبة حتى آخر دقيقة.

وعندما يدفع الزبون للمترجم أجره، فإن السعر يصبح أيضاً معلماً لا نصياً مهماً، لدرجة أن الزبون يفضل في بعض الحالات ترجمة جزئية أو ملخصاً أقل تكلفة. وعندئذ، يحدد هذا المعلم اللا نصي تحديداً جزئياً نمط التطابق النصي المطلوب.

وفي جميع الأحوال، تجري عملية طلب الترجمة ومتابعتها باتصالات بين الزبون والمترجم، ويعتبرها الطرفان بسيطة وسريعة أو طويلة ومعقدة، وسارة، وحيادية أو شاقة. فالسرور، أو على العكس من ذلك، المشاعر غير السارة التي يمكن أن ترافق هذه الاتصالات، يعتبرها الزبون عامل جودة لا نصياً مهماً، يمكن أن يقوده إلى تفضيل مترجم لطيف المعشر على آخر أكثر كفاءة منه، ولكن الاتصالات معه أكثر صعوبة. ينقل روبنسون (Robinson, 1997 a:15) أقوال ممثلي أحد مكاتب الترجمة: "إلى من نسند هذا العمل؟... إلى من يقبل بسعر معقول ولا يضايقنا للحصول على أسعار أعلى... وإلى شخص لطيف يكون التعامل معه ساراً" (ترجمة دانييل جيل). ويركز روبنسون نفسه على أن الترجمة قضية أشخاص أكثر من كونها قضية كلمات، وأن نجاح الترجمة يمكن أن يتعلق بقدر قد يبدو مدهشاً بمعرفة الأشخاص وبفهمهم، والحال هذه بمخاطب المترجم في المؤسسة الزبونة. ويقول إن المترجم يتساءل عن الفائدة التي سيجنيها الزبون من ترجمته، وعن رهاناتها، ويتساءل أيضاً: هل هذه الرهانات ستتجاوز المبلغ الذي سيعود عليه، وهل يتعلق الأمر بترجمة غرضها توقيع عقد مع زبون مهم (Robinson, 1997 a: 42). وكما هو الأمر في كل مكان آخر في عالم العمل، يمكن أن يتعلق نجاح المترجم المهني إلى حد بعيد بشخصيته أكثر مما يتعلق بعلمه أو بمهارته التقنيين.

يمكن أن نضيف إلى هذه العناصر اللا نصية معالم أخرى مثل أجهزة إرسال النص ومعالجته التي يستخدمها المترجم (هل يستطيع المترجم أن يسلم الزبون نصه بحجم معين، وأن يرسله له بالبريد الإلكتروني؟)، والمستندات الشخصية الموضوعية تحت تصرفه (القواميس والكتب المرجعية)، وسعة مجموعة تخصصاته، وبعده الجغرافي عن الزبون (يفقد هذا المعيار أهميته

بوجود التقنيات الجديدة، ويظهر سوق الترجمة عن طريق الإنترنت، ولكنه يحافظ على فُعلِيَّتِه في الحالات التي ما تزال عديدة، والتي ينبغي فيها أن ينقل المترجم أو تنقل إليه الوثائق المادية).

5. تقويم الجودة في الترجمة المهنية

1.5 الترجمة بوصفها كلاً متوازناً من العوامل الفردية

أوضح التحليل السابق معالم جودة الترجمة الرئيسية. ليست الجودة مجرد صفة مميزة تناسب ترجمة ما، فالترجمة الجيدة تتضمن عدة جوانب، بعضها نصي وبعضها الآخر لا نصي. ويمكن أن يتفرع كل منها بدوره إلى مكونات: تتضمن المعالم النصية التصحيح اللغوي، والوضوح، ودقة المصطلح، والتطابقات بين نص الوصول ونص الانطلاق، والعرض الخطي. وتتضمن المعالم اللا نصية سرعة الترجمة، وتكلفتها، وجودة الاتصال مع المترجم، واستعداده، الخ.

إن جودة الترجمة في سياق محدد كما يراها مقوم ما، يمكن أن تعرّف إذاً بأنها كُلاً متوازن من تقويم عوامل نصية، لاسيما أمانتها ووضوحها، وسلامتها اللغوية، وأسلوبها، ودقة مصطلحها، والعرض الخطي، الخ، وعوامل لا نصية مثل تكلفتها، والوقت الذي خصص لإنجازها، وجودة العلاقات مع المترجم، الخ. وإن وزن كل عامل من هذه العوامل في التقويم الشامل يحدده تفضيل شخصي للمقوم في ظروف التقويم.

يمكن تمثيل هذه الفكرة بشكل رياضي كما يلي:

$$(1) Q(T,c,e) = \sum [p_i(c,e) \text{ éval}(FT_i) + p'_{j'}p(c,e) \text{ éval}(FET_{j'})]$$

حيث:

$Q(T,c,e)$ تشير إلى جودة الترجمة T كما يراها المقوم e في الظروف c ,

FT_i $i = 1, 2, 3, \dots$ تمثل العناصر النصية

$FET_{j'j} = 1, 2, 3, \dots$ تمثل العوامل اللانصية

P_i و $p'_{j'}$ تمثلان الأوزان الخاصة بالعوامل النصية والعوامل اللا نصية الموافقة لتفضيل المقوم

الشخصي في الوسط والظروف المعنية.

يمكن أن يكون تقويم كل عامل من هذه العوامل في العبارة الرياضية السابقة إيجابياً، أو سلبياً أو حيادياً، ويمكن أن يجعل التقويم الإجمالي إيجابياً أكثر أو سلبياً أقل أو ألا يغير فيه شيئاً.

ثمة عنصر لا يظهر بوضوح في هذه الصيغة الرياضية ولكنه من المناسب أن نشير إليه، ألا وهو وجود حد أدنى، لكل عامل من العوامل النصية واللانصية، وتكون الترجمة مرفوضة في حال عدم تحققه، مهما كانت مزاياها. قد تكون ترجمة ما على سبيل المثال أمينة في نقل المعلومات، ولكنها رعاء من الناحية اللغوية، ومرفوضة نهائياً بسبب هذه الرعونة. وعلى العكس من ذلك، يمكن أن تكتب بلغة جيدة جداً، وأن تتضمن مع ذلك أخطاء في المعنى وسهواً، ما يؤدي إلى رفضها بالدرجة نفسها. وأخيراً، إن ترجمة أمينة ومكتوبة بلغة جيدة تسلم في وقت متأخر جداً بحيث لا تكون مفيدة قد يرفضها الزبون أيضاً. وبعبارة أخرى، ليس هناك تعويض وافتداء للعبب بالجودة، وهو أمر مهم ينبغي توضيحه للدارسين.

إن هذا الحد الأدنى المقبول في تنفيذ رياضي للتقويم يمكن أن يتحقق بنكْمِيَّةٍ (بتحديد كمي) تسمح بإعطاء معامل سلبى مرتفع جداً لكل ما يأتي تحته. ففي سلم تقويم يتضمن 6 درجات، يمكن أن نعطي التقدير " جيد جداً" القيمة 4، والتقدير "جيد" القيمة 3، والتقدير "وسط" القيمة 2، والتقدير "دون الوسط" القيمة 1، والتقدير "مقبول فقط" القيمة صفر، والتقدير "غير مقبول" القيمة ناقص 100، لا بل القيمة ناقص 1000، وهذا ما يجعل كل تعويض حسابي مستحيلًا.

تُبرز هذه الصيغة تقويماً شخصياً وغير مطلق. عملياً، قد لا تُقرأ الترجمة قراءة متأنية، ويقوم بتقويمها شخص واحد فقط. وغالباً ما يقرأها عدة أشخاص، وهذا ما يمكن معه الكلام على "جودة بيشخصية" intersubjective بالنسبة إلى المجموعة المعنية، وهي المتوسط الحسابي للتقويمات الفردية:

$$(2) Q \text{ moyenne} = 1/n \sum Q(T,c, e)$$

حيث تمثل n عدد المقيمين في المجموعة. إنه مبدأ خبرة المقيمين. ويمكن عند الضرورة

حصر تقضيلات المقومين وأولوياتهم الخاصة بهم بتحديد مختلف أنماط المجموعات: عمرهم، ومهنتهم، وجنسهم، وفنتهم الاجتماعية المهنية على سبيل المثال. وهذا أحد محاور البحث المهمة المتبعة في الدراسات المتعلقة بالجودة في الترجمة في المؤتمرات (انظر الفصل الثامن).

ويمكن جعل هذه الصيغة النظرية فعالة بواسطة منهج عملي مثل نظام الدرجات أو استخدام سلم تقويم. وهناك عدة أنظمة شكلية للتقويم مع جداول درجات بالنسبة إلى مختلف أنماط الأخطاء في مختلف الفئات التي نستخدمها في الجامعة وفي المؤسسات، والتي تتطابق مع مفهوم الكل المتوازن. وهناك أيضاً صيغ خاصة (مثل صيغة SICAL في كندا، انظر لاروز (Larose, 1989) تستخدمها هيئات تختبر مرشحين لوظائف الترجمة في إطار إجراءات توظيف أو اعتماد رسمي.

وأخيراً، ينبغي أن ندرك أن الصيغ المقترحة آنفاً تمثل تبسيطاً: إنها لا تأخذ بعين الاعتبار التفاعل بين تقويمات كل مَعْلَم نصي أو لا نصي، الذي لا يكون "مستقلاً" بالمعنى الإحصائي للكلمة. على سبيل المثال، أوضح كولادوس أيس (Collados Aïs, 1998) لدى مقومي إحدى الترجمات الفورية التي جرت بنبرة رتيبة ميلاً إلى اعتبار أمانتها ودرجة مهنية صاحبها أقل جودة من غيرها.

ويمكن تطبيق الصيغ نفسها على تقويم القارئ لأي نص خارج سياق الترجمة، باستثناء أن بعض المعالم النصية في الترجمة تقوم على العلاقات بين نص الانطلاق ونص الوصول، وأن هذه الحالة ليست بالطبع حالة النص الأصلي. وبالمقابل، تعتبر هذه العلاقة بين النص الأصلي والنص المنفرع عنه مناسبة عندما نحكم على الترجمات بين صلب اللغة الواحدة و/أو الترجمات بين نظامين سيميائيين مختلفين، مثل الملخصات، وترجمات الأفلام) غامبييه وغوتليب (Gambier et Gottlieb, 2001)، ووصف المشاهد للمكفوفين (سيمونو (Simoneau, 2002)، أو أيضاً نقل كتاب أدبي إلى السينما أو المسرح.

إن الوزن النسبي لكل عنصر تقويم قد يختلف ليس فقط بالنسبة إلى كل مقوم باعتباره فرداً، وإنما أيضاً بالنسبة إلى كل فئة من المقومين. فالكاتب والمتلقي يعتبران أن وزن العناصر النصية مرتفع، ويمكن ألا يكون كذلك في حالة العناصر اللا نصية. وأما بالنسبة إلى الزبون، فإن الأولويات تكون معكوسة. ومن جهة أخرى، إذا كانت بعض جوانب الجودة قابلة للتقويم بطريقة موضوعية بعض الشيء، فإن بعضها الآخر مثل جودة الاتصالات مع المترجم هو أكثر ذاتية. وهناك جزء مهم من البحث في مجال الترجمة الفورية، وهي شكل من أشكال الترجمة الشفوية، يهدف إلى تحديد الأوزان النسبية هذه في مختلف المجموعات (انظر كولادوس آيس وآخرين Collados Als et coll., 2003). ولا نجد نشاطاً مطابقاً في البحث في مجال الترجمة التحريرية، مع أن مجلة ميتا Meta الكندية أصدرت أخيراً عدداً خاصاً بتقويم الترجمة (Meta, (2001) 46/2).

وأخيراً، نشير بإيجاز إلى حالة الترجمة الأدبية التي تقع خارج مجال هذا الكتاب، والتي يمكن أن يُمثل تقويمها أيضاً بالصيغ السابقة، وبعناصر نصية ولا نصية. إن الاختلافات في التقويم بين الترجمة الأدبية والترجمة العلمية والتقنية تنجم جوهرياً عن طريقة المقومين الأدبيين وهي أكثر ذاتية في الحكم على جودة الترجمة بوصفها نصاً، وعلى التطابقات بين الأصل والترجمة، لاسيما في الشعر والأعمال التي تتضمن مكوناً جمالياً كبيراً، وربما بقدر أقل في روايات المغامرات التي يقوم فيها هذا المكون بدور أقل أهمية.

2.5 التقويم والتوقعات

يمكن تقويم ترجمة ما بالنظر إلى معايير محددة في المطلق، وكذا بالنظر إلى توقعات معينة. ويرتبط بعض هذه التوقعات بحاجات المقوم، على حين يرتبط الآخر بخبرته القديمة. وهكذا، يمكن أن يجد المقوم، الذي تعود الترجمات الرديئة، جيدة جداً الترجمة التي وجد مقوم آخر تعود ترجمات ممتازة أنها سيئة جداً. وتتوقف التوقعات أيضاً على معالم لا نصية، لاسيما على تكلفة الترجمة. وهكذا، من الممكن، لا بل من المقبول، ألا يصدر عن الزبون رد الفعل نفسه

تجاه ترجمة كُلف بها مترجم مهني بسعر مرتفع، أو على العكس من ذلك، دارس أو مترجم هاو بهدف الاقتصاد في المال (وأما القارئ في نهاية السلسلة، فليس بالضرورة على علم باعتبارات الزبون المتعلقة بالميزانية، ويمكن أن تختلف نظرتهم، إذ إن بعض ردود الأفعال الانتقادية جداً تجاه الترجمات قد تكون أقل حدة إذا ما عرف المقومون المزيد حول الظروف التي أنجزت فيها). إن هذه التوقعات التي تتوقف على الميزانية والوقت المتاحين يمكن أن تحدد أيضاً نوع المترجم الذي سيتوجه إليه الزبون، لا بل قرار اتخاذ ترجمة نص من عدمه.

ويمكن استخدام صيغة مشابهة لتلك التي قدمناها فيما سبق لتحديد جودة متوقعة، في مقابل التقويم التقليدي البعدي الذي يمكن أن نطلق عليه اسم "تقويم الإنجاز". تكون العناصر النصية في الجودة المتوقعة قبليّة، ومجردة، وشاملة. ويقوم تقويم الإنجاز على نص مادي، ويتركز اهتمام المقوم على جوانب محسوسة في هذا النص، ربما كان قد اعتبرها قليلة الأهمية في توقعاته المجردة. إن الاختلاف بين الجودة المتوقعة وتقويم الإنجاز يطرح مشكلات منهجية في البحث عن الجودة. وقد لوحظ على سبيل المثال أن مستخدمي خدمات الترجمة الفورية كانوا يعطون الأولوية للمضمون في توقعاتهم، وأن الشكل من الناحية العملية، لاسيما الصوت، والتزامن بين المتحدث والمترجم، وكذا الجودة اللغوية أهم بكثير مما تشير إليه أجوبتهم على استفتاءات التوقعات (انظر مثلاً كيم 2004 Kim).

ثمة تقويم للتوقع من نمط آخر يقوم به أيضاً المترجم نفسه. يحكم المترجم على مقبولية العمل بالنسبة إليه قبل أن يوافق عليه، وفقاً للوقت المتاح، ولكمية المعلومات التي يرى من الضروري الحصول عليها لإنجازه، وللعائد الذي يمثل هذا العمل، الخ.

3.5 من هو الشخص المؤهل لتقويم الترجمة؟

إن تقويم الترجمة على أرض الواقع لا يجري من دون مشكلات: مشكلات الكفاءات، والحافز، والموارد. إذا افترضنا علم الكاتب بوجود ترجمة نصه وحصوله عليها، فهل يستطيع التحقق من جودتها؟ إن كان الكاتب يعرف لغة الوصول، فإنه قد يكون قادراً على تقويم دقة المصطلح،

وأمانة الترجمة، والسلامة اللغوية، ولكنه نادراً ما يكون قادراً على تقويم جودة الأسلوب. وأما متلقي الترجمة، فمن النادر أن يعرف لغة الانطلاق، وأن يتمكن مبدئياً من مقارنة الأصل بالترجمة. وبالمقابل، يستطيع بوجه عام الحكم على جودة الترجمة بوصفها نصاً مستقلاً ذاتياً من ناحية وضوحها، واتساقها، وميزاتها اللغوية الأخرى (يشمل ذلك دقة المصطلح)، واكتشاف أخطاء في الترجمة عندما تبدو له الأحداث التي تسردها أو المنطق الذي تتبعه غير صحيحة، وعندما لا يرى سببا يحمله على الاعتقاد أنه يمكن نسب هذه العيوب لكاتب النص الأصلي (أوضحنا في الفصلين الرابع والسابع أن أجزاء غير منطقية أو غريبة في ترجمات الدارسين تعود غالباً إلى أخطاء في المعنى). زد على ذلك أن الزبون في أكثر الحالات عمومية يجهل إحدى اللغتين المعنيتين، وليس لديه الكفاءة المطلوبة للحكم على المضمون بالقدر الذي لا يعرف فيه مجال الاختصاص، وسوف يحكم من ثم بناء على معايير لا نصية وعلى ردود أفعال المتلقين المحتملة في المقاوم الأول.

يضاف إلى تلك الصعوبات جهل كل الفاعلين (باستثناء بعض الزبائن المحتملين الذين يكونون مترجمين) مبادئ الترجمة. وحتى عندما يكونون قادرين على الحكم على جودة نص الوصول، فإنهم لا يكونون بالضرورة قادرين على فهم أسباب اختيار المترجم، وقد يخطئون في تقويم جودة العملية التي أدت إلى نص الوصول فيعتبرون الإضافة أو الحذف المبررين أخطاء.

قد يحدث أن يعرف الزبون والمتلقي أو الكاتب مجال الاختصاص، واللغتين، وأن يفهموا عمل المترجم، وأن يكون لديهم من ثم الكفاءة الضرورية لتقويم الترجمة. وبعيداً عن هذه الحالات الخاصة، ربما يكون المراجع أفضل من يستطيع إنجاز تقويم كهذا، بشرط أن تكون معرفته بالمجال المعني كافية. فعندما لا تكون معرفته كافية، يصبح مجال الشك كبيراً. وفضلاً عن ذلك، يستطيع المراجع، وهو مترجم في الوقت نفسه، أن يمنح المعايير النصية وزناً مرتفعاً، يزيد زيادة كبيرة على الوزن الذي يمنحه الزبون. وأخيراً، يمكن أن يكون لدى كل مراجع وكل زبون تفضيلاته النصية الخاصة. ولذلك يصعب الكلام بدقة على تقويم جودة ترجمة في المطلق، فالجودة سوف تكون جزئياً ذاتية دائماً.

4.5 التقويم في الواقع

يظهر التحليل السابق أن معظم المقومين المحتملين لترجمة ما يملكون استعداداً محدوداً للحكم على جودتها، نظراً لعدم إمكان الجمع بين كل الكفاءات المطلوبة. يضاف إلى هذه الحدود القيود العملية المرتبطة بالطبيعة المهنية للنشاط الترجمي الذي يندرج ضمن مجال اقتصادي:

- الكاتب الذي لا يعلم بالضرورة بوجود ترجمة نصوصه، والذي يستطيع المترجم استشارته بخصوص مقاطع إشكالية في الأصل عندما يتمكن من الوصول إليه. بيد أنه من النادر جداً أن يعبر الكاتب عن رأيه في جودة نص الوصول في الترجمة التحريرية غير الأدبية.
- المتلقي الذي يعبر عن رأيه في معظم الأحيان، لاسيما عندما يكون راضياً جداً ويشعر بحاجة للتعبير عن رضاه، أي عندما يكون مستاء ومشتكياً. ولأسباب ذكرناها آنفاً، تقوم تعليقاته بخاصة على نص الهدف أكثر مما تقوم على تطابقات بين النصين، ولا يكون قادراً على اكتشاف السهو أو الأخطاء في المعنى التي لا تضر باتساق النص، والتي لا تتطوي على منطق أو على أمور تستدعي الحذر. إن ترجمة جيدة التحرير، وواضحة، ومتسقة، ودقيقة المصطلح، يمكن أن تؤدي إلى تقويمات إيجابية جداً حتى عندما تتضمن سهواً، وأخطاءً، وانزلاقاً معنوياً.

وبعبارات النجاح المهني، التي تتطوي على تناقض، ليس التقويم المهم تقويم الكاتب ولا تقويم المتلقين، وإنما تقويم الزبون الذي يعتبر بوجه عام أقل من يكون في وضع يمكنه من تقويم مزايا نصية في الترجمة. غير أن هذه القاعدة ليست مطلقة: هناك زبائن، ويشمل ذلك مؤسسات الترجمة، يركزون على هذه المزايا النصية، ويقومون بمراجعة نصوص الوصول التي تصلهم مراجعة منهجية قبل أن يرسلوها إلى زبائنهم الخاصين، وبالتعاون مع المترجمين أحياناً (انظر مثلاً النص الذي عُرض على الطاولة المستديرة حول مُشتري الترجمات المالية في اللقاء الصيفي للجمعية الفرنسية للترجمة، لاروشيل، 2002). ومع ذلك، يفضل الزبائن إجمالاً الجانب اللا نصي، إذ إن الجودة النصية لا تظهر إلا عندما تصلهم أصداء إيجابية أو سلبية من المتلقين.

ففي أغلب الحالات، لا يبدي المتلقون ردود أفعال، إما لأنه ليس لديهم ما يقولونه، وإما لأنه ليس لديهم اتصال مباشر مع الزبون وحماس كاف لينقلوا له المعلومة.

ينجم عن كل ذلك أن الزبون في الممارسة المهنية للترجمة غالباً ما يقوم جودة العمل بطريقة إجمالية جداً، وبمصادقية غير مؤكدة. ويوضح هذا الوضع أهمية دور المراجعة التي تسمح بالتحقق من جودة الترجمات، وتحسينها قبل وصولها إلى الزبون أو المتلقي. وعندما لا يكون في أقسام الترجمة مراجعون معتمدون، يقوم المترجمون غالباً بتبادل ترجماتهم لمراجعتها.

6. خاتمة

ما الخلاصة التي نستنتجها من تعقد المشهد الذي يظهر أمامنا، والذي يتعلق بطبيعة الترجمة، ومحدداتها، ونسبية جودتها؟ بداية، يمكن ذكر عناصرها الثابتة. أول هذه العناصر أن الترجمة غائية *téléologique*، وموجهة نحو هدف، وأنها لا يمكن أن تُتجزأ أو أن تُقوم من دون أخذ وظيفتها بعين الاعتبار. إن إدراك هذا الأمر يعني أيضاً فهم مأخذ يلاحظه عادة مدرسو التأهيل الاحترافي على مدرسي التأهيل الجامعي التقليدي، ويتعلق بغياب السياق في الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية، ومن اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم. العلاج بسيط، إذ يكفي أن نحدد للدارسين، ونحن نقترح عليهم نصوصاً للترجمة، وظيفة وهمية أو حقيقية للترجمة. يمكن أن نقول لهم مثلاً أن يضعوا في اعتبارهم أن نص الانطلاق مقال من المفروض أن ينشر في الصحافة الأسبوعية في أحد البلدان، وأن يقرأه جمهور محدد، وأنه يكون شكل جزءاً من نص تدريبي على نسق علمي لدارسي السنة الأولى، وأنه يمثل طريقة استعمال منتج ما في بلد ما. إن تعريف وظيفة الترجمة هذه يسمح بتوجيههم في قراراتهم من دون أن يعفيهم من البحث عن فهم نص الانطلاق فهما جيداً، ومن إعادة صياغة نص هدف يتميز بالجودة، ويضمن من ثم فائدة التمرين لغايات التحسين اللغوي، ولا يتعارض مع الأهداف التقليدية للترجمة من اللغة الأم وإليها.

وأما العنصر الثاني الثابت في المشهد فهو أهمية الجودة في الترجمة باعتبارها نصاً يتمتع بكامل الاستقلالية، ويحكم عليه القارئ عامة بصفته هذه، ومن دون أن يهتم بمعرفة جودة نص

الانطلاق. إن تشغيل دارسي الترجمة على هذا الأساس يفرض عليهم جهداً مهماً في التحرير لا يتعارض أيضاً مع الأهداف التقليدية للترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم (ولكنه يثير مشكلة في الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية لأن وسائلهم اللغوية لا تمكنهم من تحرير نص لا غبار عليه بلغتهم الأجنبية).

وأخيراً، من المناسب، لا بل من الضروري لمن يختار الترجمة المهنية، أن يدرك أهمية المكونات اللا نصية للجودة في سوق العمل.

التحريج العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

التحريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

بحوث في
مجال التعليم العالي
وتطويره

التحريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

البحث العلمي وتطوير وسائل التعليم العالي

أ.د. أحمد محمد قدّور

جامعة حلب

1. تمهيد

نشأت الجامعات العربية في أقدم صورها (الجزائر 1897، ودمشق 1903م، والقاهرة 1908)، تحت ظل الانتداب أو الاستعمار أو الوصاية. وكانت تخضع غالباً لتوجيهات غربية عن المجتمع العربي وأهدافه. وكذلك صُنعت بعض الجامعات بداية على عين المستعمر لتكون مَنقَذاً للأجيال الطامحة إلى التعليم العالي، ولكن على الطريقة الأجنبية في أسسها ومناهجها كالجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية في بيروت. وقد أتاح هذا فرصة لبعض فئات المجتمع لكي تحوز الدرجات العلمية التي تمكنها من تولي المناصب في الدول العربية الناشئة. وكان معظم منابر هذه الجامعات يروّج لتفوّق الغرب، ويهوّن من إنجازات العرب العلمية، ويهاجم عناصر الهوية في لسانها وتاريخها ومثلها السامية⁽¹⁾.

غير أن الكيد الاستعماري لم يبلغ مداه المطلوب، لأن الوعي العربي وتنامي عناصر النهضة، ونشر التراث وبروز الإبداع الذي قادته أجيال من الأساتذة المخلصين، جعل التبعية العلمية والثقافية للاستعمار تتحسر لحساب توجهات جديدة تُبرز أهداف الأمة، لكن سرعان ما بسطت الأنظمة الحاكمة سيطرتها على الجامعات، ولم تترك لها مجالاً للحرية العلمية والإدارية والمالية. وإذا كانت بعض الجامعات أسهمت في محو الأمية حين خرّجت الألوف بالقدر اليسير من الخبرة، فإنها بقيت عاجزة عن الإسهام في البحث العلمي الذي يقع على عاتقه عبء تطوير

الدول والسير بها قدماً نحو القوة واستثمار الطاقات. ومعروف أن معظم الأنظمة الحاكمة انزلت نحو سياسة "الكَمّ" والتفاخر بالأعداد الهائلة من المنتسبين إلى جامعاتها من جهة، ونحو استيراد الخبراء والباحثين والمخططين وتسليمهم مقاليد البلاد من جهة أخرى. وقد أدى هذا حقيقة إلى اقتصار الجامعات على النهوض بأعباء التعليم وحده، مع ما شابهُ من حشو سطحية وبطالة وتوسّع في الاختصاصات النظرية. أما البحث فلم يلتفت إليه إلا أخيراً وعلى نطاق الآداب والقانون والعلوم الإنسانية والشرعية، دون التعمق في الدراسات العلمية الدقيقة والتقنية والمتقدمة. ومعروف أن تقسيم العلم وفصل المهن ينبغي أن يكون في مقدمة أهداف الجامعات، لأن ذلك يفضي إلى إحداث الكمال لكل فن، وإلى ثروة الأمم وإلى الرخاء العام وإلى خير المجتمع⁽²⁾.

2. البحث العلمي: مقوماته ومعوّقاته

ليس البحث العلمي غريباً على أمة أنجبت أعظم العلماء في كل الفنون والعلوم، ونشرت أنوارها في أنحاء الدنيا. لكن الأمة العربية تعرّضت لنكبات كثيرة وموجات من الغزو والعدوان أثّرت في قوّتها المادية والمعنوية، وخلّفتها وقد صارت أجزاء متناثرة ومتناثرة. وقد مهدّ هذا للقوى الأجنبية، ومعظمها قوى استعمارية، أن تكون الأطر العامة لحاجات الدول العربية والإسلامية، وتربطها بها ربطاً محكماً لا يسمح لها بالاستقلال الحقيقي، وامتلاك الثروة وتحقيق النهضة. وكانت نتيجة هذا الوضع أن تخلف العرب والمسلمون إلاّ أقلّهم عن ابتعاث نهضة بحثية علمية مؤثرة تعمل على إنتاج العلم وتوظفه في مجالات الحياة كافة.

ولكي ينهض البحث العلمي لابدّ من توفّر شروط متعدّدة ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في خطط التنمية القطرية والقومية (إن توفرت)، لأن البحث العلمي لا يولد بقرار ويطوى بقرار، بل لابدّ فيه من تهيئة الجامعات وإعداد الأطر وتوفير الإمكانيات.

آ. مقومات البحث العلمي

1. وَضَعُ البحث العلمي في أول أهداف الدولة: فالبحث العلمي في الجامعات والمراكز يجب أن يكون في مقدمة الأهداف، لا أن يكون ذليلاً أو ملحقاً بأهداف الجامعات والإدارات والحكومات على النحو المشاهد حالياً. فالجامعات شُغلت بالأعداد الضخمة مع إمكانات ضحلة، وغَيِّبَ البحث العلمي، وتركت خدمة المجتمع الذي أنشئت لأجله، بل صارت أحياناً عبئاً عليه بسبب سوء التخطيط وسوء التنفيذ على حدّ سواء.
2. توفير نفقات البحث العلمي واستقلاله المالي: إن البحث العلمي مكلف من الناحية المالية، لأنه يحتاج إلى مخابر وأدوات ومراجع وزيارات وغير ذلك، ويكاد لا يذكر في هذا الصدد ما تتفقه الدول العربية على البحث العلمي، إذا ما قيس بما تتفقه على الإعلام والدعاية الفارغة والمؤتمرات والمهرجانات التي لا تسفر إلا عن أصداء التصفيق وآثار الولائم.
3. تحرير البحث العلمي من البيروقراطية والإدارة المتحجرة: يختلف البحث العلمي عن مجالات العمل الحكومي وما يفرضه من دوام وقواعد مكتوبة. فالباحث مفكر حرّ يمضي أوقاته بحسب مقتضيات بحثه ولا يلتزم دوماً أو توقيعاً. لذلك يطلب من الإدارات الجامعية والحكومية سنّ تشريعات خاصة بالبحث العلمي تتجاوز القواعد المتحجرة في الإدارة التي يغلب عليها في أقطار العروبة التخلف والفساد.
4. إعداد الكفاءات الخاصة بالبحث العلمي: يحتاج البحث العلمي إلى كفاءات خاصة متفرغة للبحث، لا تشغلها واجبات التدريس أو مناصب الإدارة أو مواقع السياسة. فالبحث العلمي تغلب عليه حالياً صفة الهواية، أو الجهد الثانوي، أو الإفادة من وقت الفراغ. لكنّ بعض الجامعات صارت تخصص إجازات سنوية أو فصلية لأعضاء هيئة التدريس فيها لإجراء بحوث خارج واجبات التدريس المرهقة. وهذا نحو من المعالجة الآتية التي تحتاج إلى تطوير الكفاءات واقتصارها على البحث بنسب معينة من بين أعضاء هيئة التدريس، تسمح بالنهوض بالبحث العلمي عامة.
5. استقطاب الكفاءات المهاجرة، والحد من الهجرة: إن هجرة العقول ظاهرة بارزة في المجتمعات

العربية، وقد نبّه على خطورتها الكثير من العلماء والمفكرين. ولا سيما أن هذه المجتمعات تستورد كفاءات أجنبية لا تحقق لها شيئاً في مجال التطوير والتحديث، وما عدا الخدمات المادية كالبناى والطرق والجسور وبعض المصانع التي تقدر الكفاءات العربية عليها، بل على ما هو أحسن منها. إن غياب الأمن والحد من الحريات، وتهديد الكرامة والضغط المادية وتخلف الإدارة، جعلت الكثير من الكفاءات تهجر أوطانها وتتجه غرباً لتكون عوناً للأجنبي في أعماله ومخططاته واعية أو غير واعية. بل إنّ بعضها ينخرط في خدمة الجيوش الأجنبية بعد أن يحوز جنسية البلد الذي هاجر إليه. وهكذا تكون الخسارة مزدوجة، إذ نفقد مواطناً باحثاً نافعاً ويكسب غيرنا ما يقوّيه علينا وعلى المستضعفين في الأرض من الدول النامية. ولذلك تبدو الحاجة ماسة إلى استقطاب الكفاءات العربية المهاجرة أو بعضها، وتوفير الشروط المناسبة لإبداعها في أرضها، والكفّ عن بثّ الشتائم لهذه العقول ونعتها بما يشبه الخيانة. إنّ أساتذة الجامعات فضلاً عن الباحثين المختصين المبدعين لا يملكون شيئاً من متاع الحياة، إذ يسعى أحدهم طوال عمره لتوفير مسكن متواضع ودخل مناسب دون أن يصل إلى إدراك الرفاهية، إضافة إلى ضيق الحيز الذي يعمل فيه وعدم توفر الحد الأدنى من المستلزمات الضرورية التي تساعد على ما مزاوله العلم في أغلب الأحيان.

6. وضع البرامج الواقعية للبحث العلمي: إن البحث العلمي إنجاز لبرامج واقعية مخطط لها سلفاً، ولا يجوز أن يكون طفرة أو تحقيقاً لحاجة عارضة أو سداً لنقص طارئ. ولذلك يطلب من الإدارات الجامعية والجهات الحكومية النافذة أن تضع الخطط الواقعية، النابعة من حاجات المجتمع وإمكاناته، وغاياته المرحلية والمستقبلية، وتوزّع الأعمال على الباحثين على هذا الأساس لا غيره. فالبحث الذي ينطلق من خطط دقيقة وحلقات متتالية يؤدي إلى نتائج مؤكدة، على حين أن البحث الناتج عن طفرة ينقضي أثره بانقضاء الحاجة إليه. ثم يكون نتيجة ذلك انقطاع وتشتت وضياع للجهود، أو تكرار لها داخل القطر الواحد.

7. ربط البحث العلمي بمؤسسات الإنتاج والعمل: يغلب على الكثير من مجالات البحث الطبيعية العلمية التطبيقية، لذلك يجب ربط خطط البحث ومراكزه مباشرة بمواقع الإنتاج والتقنية في

المصانع وقطاعات الأعمال على اختلافها، لأن في ذلك مصلحة للطرفين، للبحث والتطبيق. وكذلك الشأن في المجالات الأخرى كالتربية والتعليم، إذ يؤدي ربط البحث العلمي في هذه المجالات بالمواقع الفعلية، كالمدارس ومراكز التعليم ومناهجه ووسائله إلى الفوائد المتبادلة التي تؤثر إيجاباً في نمو البحث وتطوير عملية التعليم.

8. اعتماد "العلمية" فلسفة للتطور: إن معظم الأقطار العربية والإسلامية انطلقت نحو التنمية من مبادئ مختلفة، معظمها لا يستند إلى النزعة العلمية، بل يستند إلى مبادئ متناقضة يغلب عليها الارتجال وسدّ النقص والاستبداد الوظيفي والتقلب السياسي وغير ذلك. وفي ضوء ما حدث من إخفاق لمعظم مشروعات النهضة والتنمية يطلب من الجهات الحكومية والإدارات الجامعية أن تضع مفهوم "العلمية" في أول مبادئها، لأن العلمية هي المدخل الصحيح إلى تجاوز التخلف والتخبط والتقلب. والعلمية فلسفة عملية وثقافة تعليمية تجعل المناهج العلمية والوسائل العلمية الأساس في أيّ مسعى تحديثي بعيداً عن الشعارات العاطفية وادعاءات التقدم المزعوم⁽³⁾.

ب. معوقات البحث العلمي:

1. الاهتمام المفرط بالتعليم على حساب البحث العلمي: اهتمت معظم الأنظمة بنشر التعليم، لكنها أهملت البحث العلمي إهمالاً شبه تام. وراحت تتفاخر بأعداد المتعلمين والخريجين وعدد المدارس والمعاهد والشعب الدراسية، وتستخدمها مقياساً للتقدم. مع أن هذا التعليم مجرد معارف أولية لا تتفع إلا في محو الأمية غالباً، إذ غلب الضعف على مستوى التعليم وما زال تحت ضغط تكاثر السكان وضعف التخطيط وقصور التنفيذ. وتختلف البرامج التي تعدّها باحثين، عن البرامج التي تهدف إلى محو أمية المواطن، أو إعدادة للقيام بدور معين طبياً أو مدرساً أو مهندساً⁽⁴⁾.

2. التجزئة وتبديد الطاقات: أصبحت الأمة منذ قرن من الزمان دولاً استقل بعضها عن بعض، إذ وضعت الحدود ونشأت الأنظمة التي عمقت مفهوم الوطنية القطرية على حساب مفهوم الأمة

القومي. ونتج من ذلك تباين في إيلاء البحث حقه ورسم سياسته وتنفيذه. إضافة إلى تكرار الجهود وضياع الأموال في أعمال متشابهة تجري في هذا القطر وغيره من الأقطار دون أدنى تنسيق. وقد حدث ذلك في مجال الموسوعات وإعادة كتابة التاريخ وإنشاء مراكز للغات القديمة ودراسات الآثار التي يقسمها أكثر من قطر⁽⁵⁾.

3. تأخر مكانة البحث العلمي: ظهر نتيجة للسياسات المتضاربة في الإدارة والتعليم في الأقطار العربية نزوع فردي تسلطي لا يعبأ بنتائج البحوث العلمية، ولا يضعها في الحسبان حيث اتخاذ القرارات. فالبحث الذي ظهرت بعض نتائجه في أقطار عربية قليلة كمصر مثلاً لم يجد سبيله إلى مواقع السلطة صاحبة النفوذ. ولذلك تكدست الرسائل الجامعية، وهي نشاط بحثي، على الرفوف تنتظر من يستخلص منها النتائج ويبرمجها ويضعها أمام صنّاع القرار الذين يُعرضون عنها غالباً مهما كانت مهمة، لأن النزوع الفردي مصلحي أصلاً، ولن الارتباط بالشركات الأجنبية ومواقع الثروة لا تسمح بإيلاء البحث العلمي مكانة المخطط والناصح والمرشد.

4. إعطاء الأولوية للاستيراد ومقاومة الاختراع: مرّ حين من الزمن كانت معظم أقطار العروبة تسرف في استيراد الخطط والأدوات والكفاءات وتتباهى بذلك، مع أن بعض الكليات العلمية العربية ككليات الهندسة في الشام أسست قبل الكثير من كليات الهندسة في الدول الشرقية والغربية، وخزّجت أقدر الكفاءات⁽⁶⁾. لكن الاستيراد كان يجري ضمن ضغوط وسياسات مفروضة من هذه الجهة أو تلك. وكثيراً ما صرخ مهندسونا محتجين على استيراد أجنب هم أقل منهم علماً وخبرة، فضلاً عن اهتمامهم بمصلحة البلد. كما مرّ حين كان الاختراع يقع ضمن الممنوع والمعاقب عليه قانوناً. كما سمعنا بأناس عرفوا باختراع ما أودعوا السجون حتى تابوا عن اختراعهم! ولذلك فرّ الكثير من المخترعين والباحثين من بلدانهم ليسجلوا إبداعاتهم في دول أجنبية ترعى أعمالهم وتوفّر لهم الحياة الرغيدة والحرية اللازمة لاستمرارهم في اختراعهم.

3. تطوير وسائل التعليم العالي:

إن تطوير وسائل التعليم Instructional Sevelopment عملية تخضع لنظام خاص، أو هكذا ينبغي أن تكون. وليست عملية ارتجالية أو ترقيعية تقوم على حيازة بعض الأجهزة. ولذلك تبدو عملية تطوير التعليم أوسع من إدخال تقنيات التعليم إلى القاعات الدراسية وإنشاء المختبرات، لأن عملية التطوير عملية شاملة تستند إلى الحاجات الفعلية وتحلل الإمكانيات، وتضع الخطط التي يقوم البحث العلمي بإنجازها، لتكون الجامعة أول مستفيد من البحث نفسه.

إن البحوث التي تجري حالياً في أكثر من قطر عربي، في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب والتربية، بحوث تغلب عليها الفردية والصفة النظرية بل والوهمية⁽⁷⁾. وهي ليست بذات هدف وغير مترابطة ولا تصدر عن خطة، ولا تقوم على تنسيق حتى على صعيد القسم العلمي الواحد. ولذلك كثرت الرسائل الجامعية في هذه المجالات، وتكاثرت أعداد مجلات البحوث دون أن يستفاد منها بشيء، ما عدا الترقيات وحصد المكافآت ونيل الدرجات. وعلى عكس هذه الحالة المتردية، يجب توجيه البحوث أو جلّها نحو عملية تطوير وسائل التعليم العالي نفسه، لأن هذا التعليم بحاجة مستمرة إلى التطوير وتحديث الوسائل. وإذا لم يتجه البحث العلمي في هذه المجالات الإنسانية والاجتماعية والتربوية تلك الوجهة، فإن البحث يبقى متصفاً بما سبق ذكره من صفات الفردية والنظرية ونحو ذلك، ووسائل التعليم تبقى على حالها منذ نصف قرن تقوم على التلقين وحفظ الأمليات واجترار المعلومات.

ولكي تكون عملية تطوير التعليم متكاملة يجب تناول مجموعة من العناصر الرئيسة في التعليم عامة والتعليم العالي خاصة. ومن ذلك⁽⁸⁾:

أولاً: تصميم وظائف القاعات الدراسية في ضوء التقنيات الحديثة. إن الملحوظ في أكثر الجامعات هو أن تصميم القاعات الدراسية يترك للمهندسين دون أن يسهم الأساتذة المختصون في أي عمل أو اقتراح. لذلك صار ضرورياً إنشاء دراسات وبحوث دقيقة في هذا الشأن، لأن الأستاذ هو أقدر المختصين على تحديد بيئة التعلم وتصميم القاعة المناسبة التي تفي بمتطلبات

الشرح والمناقشة، والعروض الضوئية واستخدام الحاسوب والإفادة من الشبكة العالمية للمعلومات. إنَّ بحوثاً جامعية متخصصة في هذا المجال كفيلة برفع مستوى الأداء العلمي، وذلك بعد استقصاء وإحصاء لكثير من البيانات التعليمية، واستفتاء لعينات من المعلمين والمعلمين على حدّ سواء.

ثانياً: تطوير مهارات الأستاذ الجامعي في إطار التقنيات الحديثة. إن النجاح في استخدام التقنيات الحديثة يتطلب أن يكون الأستاذ مطلعاً على الأدوات والوسائل التي صارت ضرورية للتعليم، إذ لم تعد وسائل معينة، بل أصبحت أساسية ويحسن في هذا المجال إجراء بحوث تقيس مدى كفاية الأساتذة في التقنية، وتقترح برامج علمية أو تصمّم مناهج تدريبية ترفع من مستوى الأساتذة الذين بقي معظمهم إلى الآن يعتمد على التلقين والإلقاء والشرح النظري والخطابة.

ثالثاً: مصادر المعلومات وتطوير المكتبة. تحتاج عملية تطوير وسائل التعليم العالي إلى إعادة النظر في وظائف المكتبة وغيرها من مصادر المعلومات التي ينبغي أن تكون متاحة للطلاب والأستاذ بدرجة عالية من الكفاءة. ويأتي في هذا الشأن دور البحوث التي تعرض لمسائل ترتيب المصادر، ومشكلات الإدارة وقاعات المطالعة ووسائل الحفظ والترميم، وآليات خزن المعلومات واسترجاعها ونحو ذلك. ويضاف إلى هذا تصميم قاعات البحث الخاصة بالأساتذة وربطها بمراكز المكتبات. ويمكن أن تجرى بحوث كثيرة في هذا المجال، يقوم بها متخصصون في الآداب والتربية ووسائل التعليم، تتعرض لمدى تحقيق المكتبات لوظائفها لدى الطلاب والأساتذة، وتقترح برامجها لتطويرها وإدخال التقنيات الحديثة فيها.

رابعاً: الخطط الدراسية والمقررات: إن وضع الخطط الدراسية وتعيين المقررات وتوصيفها يحتاج إلى مهارات خاصة، ودراسات متعددة في مجال التحصيل والتلقي. فالخطط الدراسية توضع دون أي دراسة نفسية أو تربوية، ترصد كفاءة الخطط وتبين وظائفها. وقد بقيت بعض الخطط الدراسية مقررة في جامعات عربية كثيرة عشرات السنين دون أدنى تغيير أو تطوير أو دراسة لجودها. ولذلك تبدو البحوث المتصلة بهذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية، إذ

يحسن بها أن تقوم بإعداد (قوائم) بالمواد التعليمية، الضرورية للتخصص في مجال من مجالات التعليم، وتضع ذلك أمام الأساتذة الذين يناقشونها ويستفيدون منها. وتعين مثل هذه الدراسات المصادر العلمية التي تستقى منها المحاضرات أو تكون مجالاً لحلقات البحث وجلسات العمل.

ويمكن للبحوث المتخصصة في تطوير وسائل التعليم العالي، أن تحقق جملة من الأهداف المرجوة في الجامعات الحديثة. منها:

1. إغناء صاحب البحث نفسه، وظهور ذلك على عمله التعليمي مباشرة.
2. تكامل البحوث وتحديد مجالاتها العملية، لأنها تصدر عن خطة وتسلسل دقيق.
3. تطوير المناهج والخطط والمقررات باستمرار، مما يؤدي إلى حيوية، ومراجعة دائمة، وبقظة علمية.
4. تكامل البحوث وتحديد مجالاتها العملية، لأنها تصدر عن خطة وتسلسل دقيق.
5. تطوير المناهج والخطط والمقررات باستمرار، مما يؤدي إلى حيوية، ومراجعة دائمة، وبقظة علمية.
6. اختصار الكثير من الأموال على الجامعات، لأن هذه البحوث تسدّ النقص الملحوظ في الخبرة الخاصة بتخطيط المؤسسات التعليمية وتطويرها.
7. تعويض الفرص المهدورة بسبب تسرب الطلبة وتفضيلهم عدم الدوام، لأن أوضاع الجامعات المكانية والخدمية تتردى باستمرار.
8. المحافظة على مستوى واحد من التناسب التقني بين الجامعة والمجتمع، ومعالجة تأخر الجامعة عن اللحاق بالمسيرة العلمية التطبيقية.
9. رفع مستوى الخريجين ووقف التدهور في هذا المستوى في الكثير من الجامعات العربية.
10. تجاوز مستوى الخريجين ووقف التدهور في هذا المستوى في الكثير من الجامعات العربية⁽⁹⁾.

إن هذه الأهداف المرجوة من تطوير وسائل التعليم العالي لا يمكن أن تؤدي إلى نتائج ملموسة ما لم ينظر في اختيار موضوعات رسائل الماجستير والدكتوراه التي تجري في الجامعات

والمشرفين عليها من جهتين:

الأولى: تخصيص معظم الرسائل للتطور التجريبي أو التطبيقي، والبعد ما أمكن عن الموضوعات المكررة وذات الطبيعة النظرية، وتحديد عناوين الرسائل مُقَدِّماً في الأقسام والمجالس نتيجة دراسة متأنية، وعدم ترك الاختيار دائماً للطالب ومشرفه.

الثانية: تقسيم عمل الأساتذة بين التدريس والبحث، وجعل المناصب الإدارية متداولة بين الأساتذة، مُدَدّاً غير طويلة. لأن أسرع طريق للقضاء على المستقبل العلمي لأي باحث هو تسليمه مقاليد وظيفة ذات مسؤوليات كبيرة مدةً طويلة⁽¹⁰⁾.

4. آفاق المستقبل:

تقف الجامعات في مطلع القرن الحادي والعشرين أمام مجموعة من العقبات التي تحدّ من إنجاز وظائفها. من ذلك: مطالب الدول التي تتفق على الجامعات، والضغط الشعبية لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الطلاب مهما كان المستوى الذي سيؤول إليه الخريجون، والتأخر عن سدّ الحاجات الأساسية للأساتذة، مما يعرضهم للابتزاز من قبل مؤسسات تجارية أو تعليمية خاصّة، والتقصير عن الوفاء بمتطلبات المجتمع بإنجاز بحوث حيوية ذات طبيعة نفعية. ولذلك يبدو أن عجز الجامعات سيكون سبباً لابتداء مراكز للتعليم الخاص، وهو ذو طابع تجاري غير مأمون، وإنشاء مؤسسات للبحث العلمي لا ترتبط بالجامعات، بل تستقطب أحسن ما فيها من خبرات⁽¹¹⁾.

لكنّ المطلوب من الجامعات لكي تتابع دورها الريادي في المجتمعات العربية الناهضة هو أن تحافظ على كيانها التعليمي والعلمي والثقافي، بوصفها مراكز للفكر الذي يحمل هوية الأمة ويرعى تراثها وينير طريقها. وأن توجد لنفسها آليات تتيح الخروج من الإجراءات القانونية الحكومية البيروقراطية، التي تنظر إلى الجامعات نظرتها إلى أي مركز حكومي، بل أدنى من ذلك، لأن منفعة الجامعات غير محسوسة، لدى رؤوس الأجهزة الحكومية، كقطاع الإنشاء أو الصناعة أو الزراعة أو التجارة ونحو ذلك. وأن تكون الجامعات على صلة بروح العصر دون أن

تخضع بالضرورة لكل تغيير في أهواء الناس، لأن جزءاً من قيمة الجامعات يكمن في الثأني والتبصّر وانتظار النتائج التي تسفر عنها حركة المجتمع. وأن تحافظ على أداء وظيفتي التعليم والبحث معاً، لأنهما مترابطتان ترابطاً محكماً، ولا تقوم الجامعة إلا بهما.

وإذا ما تركت الجامعات الاتجاه نحو تطويرها الذاتي، وانقادت إلى التبعية الحكومية، فإن الوظائف الأكاديمية ستتحول إلى مراتب اجتماعية تمثل أحد تباهايات الحياة، وسيكون الضمور العلمي والفقر الثقافي والتعليم النمطي من أبرز خصائص الجامعات. والخلاصة أنه لا يمكن أن تكون الجامعات العربية في القرن الجديد كتلك التي كانت في القرن الماضي، لأن ذلك إن حدث فسيكون كارثة تضاف إلى الكوارث التي ابتليت بها الأمة⁽¹²⁾.

ومن المطالب الملحة لإصلاح الجامعات وتطويرها تقوية أخلاقيات أعضاء التدريس والإدارة الجامعية، وفي الأمور التي تتعلق بتعيين زملائهم وترقيتهم، وتسجيل الطلبة وأعدادهم وطرق قبولهم، وبما يتصل بالأنظمة واللوائح الداخلية التي يجب أن تكون نابعة من الاختصاص والبيئة، لا من القواعد النظرية المجردة.

الحواشي

1. انظر: عدنان مصطفى "مسألة الجامعات العربية: منظور القبور الحية"، مجلة عالم الفكر، المجلد 24 العددان 1-2 سبتمبر/أكتوبر 1995، ص 16-17.
2. انظر: محمد أحمد إسماعيل علي "الجامعات العربية: أهدافها وأزماتها"، مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد 72 لعام 1990، ص 15.
3. انظر بعض معوقات البحث العلمي في: مصطفى عمر التير: "البحث العلمي في الوطن العربي: ملاحظات مبدئية حول الواقع والطموحات"، مجلة الوحدة، العدد 72 ص 7-9.
4. انظر المرجع السابق، ص 10.
5. انظر المرجع السابق، ص 10-12.
6. أسست كلية الهندسة في حلب مثلاً عام 1946، وهي من أشهر كليات الهندسة وأقدمها في الوطن العربي.
7. من أمثلة البحوث الوهمية ما يفعله بعض الأساتذة من تلخيص بحوث سابقة، أو تنقيح بعض البحوث التي يقدمها الطلبة وإدعائها لأنفسهم دون أن يبذلوا أدنى جهد، أو ترجمة بعض البحوث الأجنبية وإعادة صياغتها حتى تبدو أصيلة ونحو ذلك كثير.
8. انظر في موضوع التكنولوجيا في التعليم: حسين حمدي الطوبجي "التكنولوجيا داخل الفصل"، مجلة عالم الفكر، العدد 24، ص 163-143، وانظر على وجه الخصوص، ص 162-160. وانظر للمؤلف نفسه: التكنولوجيا والتربية، الكويت، دار القلم، 1988.
9. انظر في بعض ما تقدم المصدر السابق، ص 155.
10. انظر: عدنان عوض "التعليم العالي والبحث العلمي: مشاكل الباحث العربي"، مجلة الوحدة، العدد 72، ص 73.
11. انظر: مايكل شاتوك "المهددات الداخلية والخارجية لجامعة القرن الحادي والعشرين"، مجلة عالم الفكر، العدد 24، ص 49.
12. انظر: المصدر الموثق في الحاشية رقم 2، ص 20.

تعليم اللغة العربية المبرمج بالحاسوب

د. فخر الدين القلا

كلية التربية - جامعة دمشق

1. مقدمة

1.1 تطور نظم الاتصال والتعليم

جرى الاتصال باللغة بين البشر منذ آلاف السنين، عبر اللغة الإشارية والمنطوق بها (الشفهية)، ثم بدأت الكتابة المخطوطة منذ قرابة ستة آلاف سنة (أونغ، 1994، 48) ولكن الاتصال والتعليم والتعلم شهد انعطافاً جذرياً في الطباعة الآلية للكتب بجهود غونتبرج قرابة عام 1500م، ثم أضيف إليها الاتصال بالوسائل السمعية البصرية في أوائل القرن العشرين، وبدأت الثورة الإلكترونية في المعلومات عام 1944 باستخدام الحاسوب، وملحقاته، وأصبح الحاسوب الشخصي آلة تعليمية متكاملة المكونات، ومتعدد التقنيات، إذ استخدم أدوات الاتصال السابقة من شفاهية، وكتابية، ورسوم وصور ثابتة ومتحركة في منظومة واحدة، وضمن برامج حاسوبية توضع في أقراص مغناطيسية أو أقراص ليزيرية مدمجة (متراسة) CD، أو أقراص رقمية متنوعة DVD في أواخر التسعينيات.

وسأحاول في هذه الدراسة التركيز على تعليم اللغة العربية المبرمج بالكتاب والحاسوب لأنهما ييسران التعلم الذاتي المبرمج بفاعلية عالية، وتكلفة مناسبة، في عصر أصبح فيه التعلم الذاتي المبرمج سمة القرن الحادي والعشرين، وسيؤدي إلى تعديل جذري في أسلوب حياتنا وفي طريقة تعلمنا وتعليمنا، ومما يزيد من فرص التعلم للجميع، ويجعلنا نعيش الصراع الحضاري بين

"العوربة" والعولمة، لرأب صدع الفجوة الرقمية بيننا وبين الأقوياء والأغنياء معرفياً، ولذلك تلقى علينا مسؤولية الإسهام في تحسين تعليم اللغة العربية المبرمجة بالكتاب والحاسوب، وما يتصل به من تقنيات متعددة. وقد نُسهم في التحول إلى التقنيات الإلكترونية في برمجة اللغة العربية، و تخزينها، وتوزيعها، وتعميمها لتتنافس البرامج الجاهزة التي أعدت في بيئة غير عربية، ووفق مناهج مناسبة لثقافة الآخرين وقيمهم.

2.1 مسوغات استخدام الحاسوب في تعليم اللغة العربية (وخاصة القواعد)

1. يتميز الحاسوب بإمكانات عرض الأنظمة المحددة المغلقة، مثل القواعد والنحو والصرف والعروض (بحور الشعر) وغيرها من النظريات والقواعد، التي تنظم الصرف باللغة العربية وخاصة في برامج التعلم الخصوصي Tutorial، وقد يسهم أيضاً في تعلم إبداعي مفتوح وخاصة في التعليم الافتراضي.

2. يمكن الحاسوب السير، وفق خوارزمية التعلم الذاتي المتفاعلة، الذي يتيح للمتدرب عرض معلومات جديدة والاستجابة النشطة والتعزيز. ويبدو هذا واضحاً في معظم أنواع برامج التعلم بالحاسوب مثل نمط التعليم الخصوصي والممارسة والتدريب والألعاب، وحل الأحاجي، وهذا يدرّب المتعلم على العلم بالبرنامج، وتصحيح الإجابة، ومن ثم الإجابة المتقنة، والتعلم الجيد.

3. يدرّب الحاسوب على الدقة في المصطلحات الفنية والمفاهيم وصحة الكتابة، وتشير برامج الكتابة إلى احتمال الخطأ، إذا لم تكن هذه الكلمات مبرمجة سلفاً بالحاسوب، وكان فيها خطأ صغير في أثناء رن الكلمات عند الإجابة.

4. في ضوء الملاحظة السابقة قد يعدّل البرنامج بعد الرن وتعليقات الفنيين لتكون الإجابة الصحيحة أوسع مدى حسب المعنى، وليس حسب اللفظ فقط الذي يتعامل معه البرنامج الحاسوبي.

5. يصبر الحاسوب على المتعلمين حتى يجيبوا ليعالج إجاباتهم وفق خوارزمية التعلم الذاتي، مما يشجع البطيئين في التعلم على الحصول على التعزيز، والإجابة الصحيحة (التغذية الراجعة

- (الإيجابية) التي يؤدي تواليها من صحيح إلى آخر صحيح، إلى التعلم الإيقاني.
6. أصبح الحاسوب الشبكي، في الإنترنت الداخلية والإنترنت العالمية يستخدم في المعرفة والاتصال والتعليم، مما يتطلب استخدام هذه التقنية للاتصال والتعليم والتعلم باللغة العربية، إضافة إلى اللغة الإنكليزية، وهي أوسع انتشاراً في الإنترنت. وتتزايد المواقع التي يجري فيها الاتصال والتعلم باللغة العربية . ووضعت برامج وزارة التربية للتعليم بالإنترنت في عام 1999، ويزداد عددها وحجمها ودقتها في القرن الحادي والعشرين.
7. نظراً للتغير السريع في الحياة فإن التعلم الذاتي المستمر صار ضرورياً لكل إنسان في القرن الحادي والعشرين (القلأ وآخرون).

2. نماذج تعليم اللغة العربية المبرج بالكتاب والحاسوب

بدأ التعلم المبرمج باللغة الإنكليزية في برامج وضعها "سدني بريسي" عام 1926، ثم انطلق التعليم المبرمج بالإنكليزية في مؤلفات بوروس سكر عام 1945 عندما ربط بين "علم التعلم وفن التعليم"، واقترح استخدامه في جميع المواد الدراسية وفق نظرية الإشراف الإجرائي التي تتحكم بالسلوك بأساليب جذابة. وطبقها في إنتاج برامج لتعليم علم النفس في كتابه "تحليل السلوك" ثم طبقها علماء آخرون في تعليم المواد الأخرى التي تدرس بالمدارس بالتعليم الجمعي والتعلم الذاتي، وفق نموذج أو خوارزمية التعليم المبرمج المستند إلى النظرية السلوكية في الإشراف الإجرائي الذي أسهم سكر في شرحه.

1.2 النموذج السلوكي في التعلم الذاتي المبرج بالكتاب والحاسوب

يعرض نموذج التعلم الذاتي المبرج بالكتاب والحاسوب وفق خوارزمية ما زالت شائعة في التعلم، وفق مراحل التعلم الذاتي المتسلسل في "برنامج تعليمي" يعرض في إطارات (بالكتاب) أو شاشات ونوافذ بالحاسوب، ويسير النموذج بمرونة وفق الخوارزمية التالية:

1. عرض معلومات شفوية - (مسموعة)، وكتابية، ورسوم وصور بما يناسب موضوع الدرس،

- مع إشارات أخرى تدله على الموقع والتقدم والإنجاز.
2. طرح أسئلة (من برنامج التعلم) على المستفيد أو المتعلم.
3. قيام المتعلم بالإجابة كتابياً أو برقن على مفتاح حاسوبي، أو الفأرة، لتسجيل استجابة المتعلم، أو تسجيل الاستجابة مكتوبة أو مرسومة أو مصورة على ورقة إضافية.
4. الاطلاع على الإجابة الصحيحة بالكتاب أو بالحاسوب، وهذه الاستجابة يقارنها الحاسوب أو المتعلم بالإجابة المكتوبة بالخطوة السابقة، ويقوم مدى صحتها. فإذا عدت صحيحة تدله إشارة أخرى على صحته مثل نغمة موسيقية، أو صورة مفرحة، أو تطبع الإجابة الصحيحة كتابية، أو يسمع كلمة تدل على مدى الإنجاز المرحلي أو يسجل له مدى نجاحه. وهناك أنماط عديدة وكلها أشكال من التغذية الراجعة للمتعم تمكنه من بناء التعلم المبرمج تدريجياً وتقوده خطوة خطوة من إتقان إلى آخر، أو تطلب منه إعادة الاستجابة عندما تكون إجابته مغلوطة، مرة أو مرتين، ولكنه يصل بعدها إلى الإجابة الصحيحة. وتسجل للمتعم جميع نتائج إجاباته التراكمية الصحيحة والمغلوبة فيقوم ذاته في نهاية البرنامج، في مجموع تراكمي للإجابات الصحيحة.

وطبقت هذه الخوارزمية في نماذج البرمجة الخطية السلوكية التي وضعها "بوروس سكونر" وكذلك في البرامج التفرعية الهندسية التي وضعها "تورمان كراودر" والتي سادت في الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين. ثم طبقت في البرامج الحاسوبية مع مرونة أكثر في أشكال كل خطوة منها، والاستفادة من إمكانات الحاسوب وتقنياته المتعددة التي تحول الأرقام الثنائية إلى تقنيات كتابية، وسمعية وبصرية ومتعددة التقنيات.

لقد بدأ (الخلا) بتصميم برامج في التعلم الذاتي المبرمج لتعليم قواعد اللغة العربية للطلاب غير الناطقين بالعربية منذ عام 1965، ثم نقلها إلى تصميم برامج تعلم ذاتي في النحو وفق مناهج الصف الخامس الابتدائي في الأعوام 1965-1968، ونشر بعض هذه البرامج الكتابية في مجلة (المعلم العربي) (الخلا 1965-1968) ودرّب طلاب دبلوم التأهيل التربوي في كلية التربية على إنتاج برامج في قواعد اللغة العربية وتطويرها وفق التجربة الميدانية. ويبدو من نتائج

البحوث التي أجراها (القالا) على تعلم قواعد اللغة العربية في الصف الخامس الابتدائي (القالا، 1969) تقدم الطلاب ذوي التحصيل المنخفض، عندما تعلموا قواعد اللغة العربية بالطريقة المبرمجة، كما تقدم معظم الطلاب المتوسطي التحصيل، إلا أن الطلاب من المستوى العالي التحصيل لم يتقدموا كثيراً، لأن البرامج التي وضعت كانت تركز على اللفظية، ووضعت لتناسب المهمشين والخرجين في تعلمهم، ولا يوجد فيها تشويق كبير، وكان الطلاب يميلون إلى الاطلاع على الإجابة الصحيحة في كل إطار، قبل أن يجيبوا كتابياً، ويعد هذا غشاً للذات. وكان هذا الإجراء يخالف خوارزمية التعليم المبرمج في كل إطار والتي تسير بمراحل النموذج السلوكي السابقة التي كررها في الخطوات الآتية:

1. عرض المعلومات
2. طرح الأسئلة على المتعلم
3. إجابة المتعلم عن الأسئلة
4. الاطلاع على الإجابة الصحيحة والتعزيز والتصحيح للإجابات المغلوطة
5. الانتقال إلى الإطار التالي في البرنامج التعليمي
6. التقييم النهائي للبرنامج لتعرف مدى فاعليته.

وقام (كنعان، 1986) بتطوير برنامج خطي علاجي للتدريب على كتابة الهمزة بجميع أنواعها في اللغة العربية، وطبقه على طلاب الصف الأول الإعدادي خلال فصل دراسي من عام 1985، وهو برنامج تعليمي من النموذج السلوكي.

وتبين من نتائج بحثه تفوق الطريقة المبرمجة على الطرائق التقليدية في تعليم الإملاء، لأن الطالب يطلع على نتائج عمله والخطأ فوراً، فيعزز الصحيح ويقوي المهارة ويصحح الخاطئ قبل أن يترسخ، ليتوصل بالنتيجة إلى إتقان كتابة الهمزة بجميع أنواعها. كما توصل أيضاً إلى استفادة الطلاب الضعاف تحصيلياً من البرنامج أكثر من غيرهم، لأن كل متعلم منهم كان يسير وفق سرعته الذاتية، ويحصل على المعزز الذي يقوي التعلم فوراً، كما يصحح الخطأ فوراً قبل أن

يترسخ في سلوكه الكتابي.

ويحتاج هذا البرنامج، شأن برامج النحو الأخرى، التي قام بها (الغلا)، إلى تطويرها لاستخدامها بالحاسوب لأنها طورت خلال بحث علمي دقيق، وهي تحتاج إلى مزيد من التشويق بإضافة الألعاب التعليمية التي تجعل المتعلم منجذباً إلى مواصلة اللعب والتعلم، وخاصة لدى الأطفال الذي يحبون اللعب بالحاسوب، وصاروا أكثر ألفة معه من آبائهم، وربما من معلمهم أيضاً.

2.2 تقويم برامج تعليم اللغة العربية المبرمج بالكتاب:

لم يتابع تطبيق تعليم اللغة العربية المبرمج بالكتاب، في السبعينيات لندرة المبرمجين التربويين، وسيطرة اللفظية على البرامج العربية، والاقتصار على تقنية الكتابة، وإمكان الغش بالاطلاع على الإجابة الصحيحة في البرامج المكتوبة، وعدم توفر الآلات التعليمية المانعة للغش، إضافة إلى عوامل أخرى، إلا أن شيوع الحاسوب الشخصي في الثمانينيات أعاد للتعليم المبرمج دوره التربوي في التعلم الذاتي المنقن، كما أشار إلى ذلك سكينر (Skinner, 1986) وبدأ التعاون بين مبرمجي الحاسوب الذين يتحكمون بسلوك الحاسوب، ومبرمجي التربية الذين يتحكمون بسلوك المتعلمين الذين يتعلمون من الحاسوب تعلماً ذاتياً، وفق سرعاتهم الذاتية وأحياناً وفق حاجاتهم من ا لزمان والمكان ومستوى التحصيل السابق.

3.2 تعليم اللغة العربية المبرمج بالحاسوب والمعلوماتية:

أصدرت المنظمة العربية للتربية كتاباً عن "استخدام اللغة العربية في المعلوماتية"، شرح فيه كل الدكتور محمد حسان الطيان، ومروان البواب أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية (الكلمة - الجملة). ص (25 - 63). كما شرح فيه حسين الهبيلي، ومحمد كمال ابن رحومه بعض ميادين تطبيق استخدام اللغة العربية في المعلوماتية.

(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996، (ص25-63)، (ص 211-230).

ولكننا سنركز في هذه الورقة على تعليم النحو لأنه نظام مغلق يسهل برمجته للتعليم وفق نموذج التعلم الذاتي المبرمج المذكور آنفاً.

4.2 تقويم تجربة المعهد العالي للعلوم التطبيقية:

استخدم الدكتور محمد حسان طيان، ومروان البواب وزملاء آخرون إمكانات الحاسوب في التحكم بتعليم اللغة العربية (قواعد النحو، والصرف) في برامج تعلم ذاتي طوّرت في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، بدمشق، واستمر التعاون والتنسيق مع إدارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمتخصصين في البرمجة الحاسوبية واللغة العربية والبرمجة التربوية.

ونشرت البرامج في أقراص ليزيرية مدمجة (متراصة) في نهاية التجارب في أواسط التسعينيات من القرن العشرين وعرضت في عدد من الورشات والندوات التربوية، وكانت هذه البرامج متنوعة التقنيات أي (كتابية وسمعية وبصرية وحركية)، ويمكن تحسين هذه البرامج بتنويع الإجابات الصحيحة التي تعطى للمتعلّم بعد قيامه بالإجابة، وإضافة ألعاب تعليمية تجعل تعلم قواعد اللغة العربية أكثر تشويقاً، وخاصة للصغار، ويمكن أن يستفيد منه الطلاب العرب في التعليم النظامي والتعليم غير النظامي والتعلم العرضي، وخاصة الطلاب العرب في المهجر، وكل شخص يرغب في تعلم اللغة العربية حسب مستواه التعليمي السابق، بطرائق التعلم الذاتي في مراحل التعليم والتدريب والتقويم.

وقد درست موضوع تدريس (الحال)، في القرص الحاسوبي وفي الدليل المكتوب، ومن ملاحظاتي على هذا البرنامج أنه يستند إلى شواهد وأمثلة من القرآن والأحاديث وأبيات الشعر والأقوال المأثورة، وتحتاج هذه الأمثلة إلى تجريب وتقويم، لمعرفة مدى صعوبة هذه الأمثلة على المتدربين والمبتدئين، أو إلى تأجيل الأمثلة الصعبة إلى ما بعد إتقان التعلم لموضوعات (الحال) المبرمجة بالحاسوب، وتحتاج طريقة (إعراب) الحال في الجملة إلى إعادة نظر في التدقيق في الإعراب الصحيح وفق الأجوبة الصحيحة بالمعنى. واستخدم البرنامج تقنيات متعددة منها

السمعية والبصرية بالفديو، وعرض، في مكتبة البرنامج، أمهات المراجع والكتب المتصلة بالدرس. وهذه تحتاج إلى تدقيق تفصيلي في التوثيق حتى يعود لها الباحث بسرعة.

وإجمالاً كان التنويع في التقنيات واضحاً في عرض المعلومات والتغذية الراجعة، إلا أن من الضروري التنويع بإجابة الطالب، إذ يجب ألا يقتصر على ركن مفاتيح الحاسوب، أو مفتاح الفأرة الأيمن أو الأيسر، لأن هذه العملية قلما تعلم، ولابد من تدريب المتعلم على ركن الإجابة الصحيحة كاملة بمفاتيح الحاسوب، مما يدربه على إجابة أدق، وأصح في الإملاء والكتابة والمضمون.

أما عملية التقويم والاختبار، فتجري بعد عرض التدريبات الثلاثة الموجودة بالملاحق. وفيها ميزات بالتخفيض من تقدير التقويم إذا تأخر المتعلم في الاستجابات، وهذا يدرّب على الإتقان والسرعة معاً، وهذه المهارة ضرورية في مراحل العرض والإجابة، والإجابة الصحيحة معاً. فالسرعة مهمة لدى الأنكباء لأنهم لا يطيقون الانتظار.

5.2 تقويم تجربة "لسان العرب" في القاهرة

وقام متخصصون في اللغة العربية والبرمجة الحاسوبية والتعليمية في مصر بإصدار سلسلة (لسان العرب) على أقراص حاسوبية مدمجة عرضت في مؤتمر بالقاهرة عام 1998، وهي متنوعة الموضوعات، وتناسب المرحلة الإعدادية في مناهج التعليم في جمهورية مصر العربية. وقسمت الإطارات إلى تعليمية وتدريبية، ويعاب على الإطارات التعليمية عدم وضع الإجابات الصحيحة، مما يجعلها مشابهة للكتاب المدرسي التقليدي، أما الإطارات التدريبية فيلحق بها مباشرة الإجابة الصحيحة، مما يقوي التعلم ويمكن المتعلم من المهارات اللغوية المتعلمة. وكان التعزيز بالإجابات الصحيحة محدداً، بمحاولة الإجابة للمرة الواحدة بكلمة ممتاز، والمرة الثانية (جيد). وعندما تكون الإجابة مغلوبة يدعوه البرنامج إلى التجربة مرة أخرى. ويسجل البرنامج في نهايته المجموع التراكمي للإجابات الصحيحة، والإجابات المغلوبة، حتى يستطيع المتعلم أن يقوم ذاته بصورة إجمالية، وفي ضوء هذا التقويم التراكمي يسير المتعلم بالسلسلة. وينقص هذه السلسلة

عنصر التشويق لعدم توفر الألعاب التعليمية، وهذا يعرقل تعميم تداولها. ثم إن ملء الفراغات بحرف واحد للوصول إلى الإجابة الصحيحة، لا يفيد التعلم حسب المعنى، ويركز على السهولة والشكل، وتصبح الإطارات المكتوبة شبه نسخية لا تبيّن التقدم في التعليم والتعلم من هذه السلسلة.

6.2 تقويم سلسلة "الدوالج" الرياض

وقد أصدرها متخصصون في اللغة العربية والبرمجة الحاسوبية والبرمجة التربوية في ثلاثة أقراص تناسب المتعلمين الصغار في المرحلة الابتدائية (الصف الثاني والثالث) من مناهج المملكة العربية السعودية.

وتتميز هذه السلسلة عن السلسلة السابقة بالتنوع بالتقنيات من صوت وصورة، وكتابة، وحركة وتلوين في العرض وكذلك التنوع في الإجابات، والإجابات الصحيحة التعزيزية، ومن ثم التشويق، وتتميز التغذية الراجعة الصحيحة بتنوع عرض طفل يضحك أو يرقص أو ينزل بمظلة أو يصعد إلى الفضاء. أما الإجابة المغلوطة فتعرضه يبكي ويصرخ، ويقول (آخ) أو يقول خطأ، وتسهيلاً للتصحيح وُضعت الإجابة ضمن أسئلة موضوعية من نوع الاختيار من متعدد أي من (ثلاثة أبدال أو أربعة أبدال) واحد منها الصحيح والأخرى موهة، وصممت هذه الاختبارات الموضوعية لتصحح بالحاسوب، مما يقلل من أخطاء المعلم الإنسان الذي يقوم بالاختبارات المقالية عمل المتعلم.

التقويم الإجمالي لهذه النماذج والتجارب

إن البرامج التعليمية المستخدمة لتعليم اللغة العربية وخاصة قواعدها هي برامج رائدة في أسبقيتها، ويكلف إعدادها كثيراً من المال والجهد والوقت، ولذلك فإن الرواد الذين قاموا بها يستحقون كل تقدير، إلا أنني أرى أن التقويم لابد أن يراعي:

1. فاعلية هذه البرامج في تمكين المتعلمين من إتقان اللغة العربية، التي تمثل هويتنا الثقافية.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

2. حساب تكلفة إعداد هذه البرامج على المدى القصير والطويل، فالتكلفة غالباً ما تكون عائقاً دون إتقان البرامج.
3. ضرورة تجربتها ميدانياً لبيان حجم أثرها، والتحقق من الفروق بين التعلم التقليدي للغة العربية وتعليمها المبرمج ، سواء بالكتاب أو الحاسوب أو الشبكات، وهذه تتطلب بحثاً ما زالت نادرة في ثقافتنا.
4. ضرورة تعاون مُعدّي البرنامج المتخصصين في اللغة العربية والبرمجة الحاسوبية، والمراجعين اللغويين والمبرمجين التربويين، وقد يفيد كل فريق في تحسين تعلم النحو والصرف باللغة العربية، وإجراء مزيد من التجريب والبحث العلمي لزيادة فاعلية البرنامج والإقلال من تكلفته، وزيادة تشويقه بالألعاب التربوية، وعندئذ يمكن أن يستخدم في التعلم الذاتي عن بعد أو التعليم الافتراضي بالإنترنت، وفق حاجات المستفيدين. وبدأت مثل هذه البرامج والأنظمة تنتشر في القرن الحادي والعشرين.

3. المقترحات:

1. مواصلة تصميم برامج تعليمية باللغة العربية قادرة على المنافسة العالمية، حتى تقوم (العربية) بالإسهام بعولمة المعلومات والتعليم، وتحسين جودة النظام التعليمي.
2. مواصلة إجراء التجارب والبحوث على البرامج المتوفرة التي أعدت سابقاً وتطويرها لتناسب التطورات الحديثة في تقنيات المعلومات والحاسوب، وتمكين المتعلمين من التعلم الذاتي المتمكن والمنقن، لأن معظمها أعد بجهد كبير من المبرمجين المتخصصين بالحاسوب والتربية.
3. قيام المؤسسات البحثية والتعليمية بإنشاء أفرقة عمل تخصص لتصميم الدروس العربية بالحاسوب والشبكات لسد الفجوة الرقمية في التعلم.
4. البدء بإنتاج كتب إلكترونية مبسطة ومشوقة باللغة العربية يستفيد منها الأطفال العرب قبل دخول التعليم الأساسي، وهذا البدء مبكراً ضروري في عصر الكتاب الإلكتروني، كما أن

- السرعة ضرورية لتضييق الفجوة الرقمية بيننا وبين المتخصصين العالميين.
5. الابتعاد قدر الإمكان، عن مهارة الحفظ، وخزن المعلومات في دماغ الطفل، وتحويله إلى التفكير المبدع الذي يمكنه من المرونة والنجاح في مواجهة التطورات السريعة في المعلومات والتقنيات، لأن الحفظ صار ميسراً بالآلات مثل المسجلة، والفيديو، والهاتف الخليوي والحاسوب، وما شابه من أنظمة إلكترونية، وضرورة التركيز على مهارة الإبداع والإنتاج بالحاسوب.
6. ضرورة مواصلة البحث في جعل اللغة العربية الفصيحة المبسطة المستعملة بالإعلام والمعلومات سائدة في معظم مجالات التعليم النظامي وغير النظامي حتى تخفف من سيطرة اللغة الإنكليزية، في شبكات الإنترنت، وحتى ينتج المبرمجون العرب، برامج ذات فاعلية عليا، وتكلفة مناسبة.
7. إجراء بحوث تجريبية وميدانية للبرامج التعليمية المناسبة لمناهجنا، وقياس فاعليتها وتكلفتها، وحجم أثرها حتى تصبح مقبولة وفق المؤشرات العلمية العالمية.

المراجع

- أونغ ولتر آذار (1994)
 الشفاهية والكتابية (تقننة الكلمة) ترجمة حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، 182، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
 – Stinner, B. F. (1986)
Programmed Instruction Revisited, Phi Delta Kappan, Oct. (p107 – 110)
 – القلا، فخر الدين (1968-1965)
 برامج في تعليم النحو نشرت في المعلم العربي، في الأعداد والصفحات التالية

موضوع البرنامج	السنة	العدد	الصفحات
الضمائر المنفصلة	1964	6/5	112
كان وأخواتها	1966	3	93 – 86
الصحيح والمعتل	1966	4	44 – 32
	1967	10	
إن وأخواتها	1968	8	28 – 22
الأسماء الخمسة	1968	9	46–40

- القلا، فخر الدين، والأحمد، أمل، وأبو عمشة، عدنان (2005).
 تقنيات التعليم الذاتي والتعليم عن بُعد، منشورات جامعة دمشق كلية التربية، ص (268 – 306).
 – القلا، فخر الدين، وناصر، يونس (1996) (2000).
 اصول التدريس لطلاب دبلوم التأهيل التربوي، منشورات جامعة دمشق، كلية التربية (ص 272-258)
 – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1996).
 طيان، محمد حسان وبواب، مروان، أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية (الكلمة – الجملة) في استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، (ص 63-25) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
 – طيان، محمد حسان وبواب، مروان وآخرون.
 تعليم قواعد اللغة العربية (في خمسة أقراص حاسوبية) المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

- علي، نبيل، حجازي، نادية، أغسطس 2005
الفجوة الرقمية، رؤية عربية لعالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- كنعان، أحمد (1986)
برنامج علاجي لتذليل الصعوبات الإملائية في المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير في التربية غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق.

التحريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

من أنشطة المركز

خلال النصف الأول من عام 2006

تميّز النصف الأول من عام 2006 بالعديد من الأنشطة:

فعلى مستوى تنفيذ البرامج والمشروعات:

1- جرت مراسلة اللجان الوطنية بشأن تصنيف ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي واجتماعات المجلس العلمي للمركز.

وتلقى المركز دعوة كريمة من اللجنة الوطنية العُمانية لتصنيف الندوة واجتماعات المجلس العلمي في رحاب جامعة السلطان قابوس في المدة من 4 - 2006/11/7.

وتم اختيار المحاور ومراسلة الخبراء في الدول العربية لإعداد الدراسات اللازمة.

2- تأليف وترجمة الكتب والمراجع الهامة في مجال التعليم العالي.

تمت ترجمة ومراجعة وتدقيق الكتب الآتية ودفعت للطباعة وستصدر في بداية النصف الثاني

من عام 2006

أ. أن تغدو مدرساً في التعليم العالي

ب. علم الأدوية السريري

ج. التصميم الرقمي

ويجري حالياً مراجعة وتدقيق الكتابين المرجعيين اللذين أتى ترشيح ترجمتهما من الهيئة العليا

للتعريب في السودان:

أ. طب النساء، النسائيات

ب. طب التوليد

3- دعم الجامعات والهيئات التي تعمل في مجال التعريب

في هذا الاطار تم دعم الجامعات والهيئات الآتية:

- المعهد التجاري بدمشق - وزارة التعليم العالي - سورية

- وزارة الثقافة - سورية

- الجامعة العربية الأوربية بدمشق

- جامعة أم درمان الإسلامية - السودان

- وزارة التعليم العالي - سورية

4- مجلة المركز :

يجري حالياً تسلم الدراسات الخاصة بالعدد 31 الذي يُتوقع صدوره في ديسمبر/كانون الأول/ 2006

5- المشاركة في الأنشطة العربية والدولية:

أ- مشاركة مدير المركز في اجتماعات مديري المراكز الخارجية التابعة للمنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة في المدة من 2 إلى 6 يناير 2006

ب- مشاركة مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في أعمال المجلس

التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في دورته الثالثة والثمانين التي عقدت في

تونس خلال المدة بين 6 إلى 9 مايو 2006.

ج- مشاركة المركز في أشغال هيئة الرقابة المالية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

التي عقدت في دمشق خلال شهر مارس 2006. واحتضن المركز أعمال هذه الهيئة

وشارك في تهيئة كافة الوثائق اللازمة لإنجاح عملها.

د- مشاركة مدير المركز في اجتماعات اللجنة التنفيذية للجمعية العلمية لكليات الصيدلة في

الوطن العربي في رحاب جامعة الكويت في المدة من 15-17/5/2006 وقد جرى خلال

هذه الاجتماعات وضع مسودة اتفاق علمي جديد حول ترجمة كتاب "مراجعة الصيدلة

الشاملة" بين المركز واللجنة التنفيذية للجمعية.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

أنشطة المركز خارج البرامج خلال النصف الأول من عام 2006

- 1- المشاركة في ورشة عمل نُظِمَت الجودة في مراكز التعليم العالي حول تجربة الجامعة اللبنانية في التعليم الذاتي ، التي عقدت في جامعة دمشق خلال المدة من 16 إلى 2006/1/17.
- 2- تمثيل معالي المدير العام في اجتماع الجمعية العمومية للمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، والذي عقد في دمشق خلال المدة من 1 إلى 2006/4/3.
- 3- المشاركة في المؤتمر الوطني للبحث العلمي والتطور التقني الذي أقامه المجلس الأعلى للعلوم في رحاب جامعة دمشق في المدة من 24 إلى 2006/5/26.
- 4- يجري الإعداد حالياً للمشاركة في معرض مكتبة الأسد بدمشق، الذي سيفتح في شهر أغسطس / آب 2006. وقد تم اختيار بعض العناوين من المراجع التي أصدرها المركز للمشاركة في معرض الكويت للكتاب لعام 2006.
- 5- متابعة الاتصال مع الأمناء العامين للجمعيات العلمية المتمثلة في اتحاد الجامعات العربية لإجراء اتفاقيات علمية مشتركة في الترجمة والتعريب. وقد وُقِّعت اتفاقية تعاون علمي مشترك مع الأستاذ الدكتور سام عمار الأمين العام للجمعية العلمية لكليات التربية في الوطن العربي، لترجمة كتب تربوية مرجعية.

التحريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

- 1 - ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
- 2 - أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
- 3 - ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستخدام برنامج مايكروسوفت word بمسافات مزدوجة بين الأسطر، وترسل نسخة إلكترونية (قرص مرن أو قرص مكتنز CD) أو بواسطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المركز acatap@net.sy، ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها 20/ صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
- 4 - تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.
- 5 - ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة من سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

6 - تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور ورقم الصفحة.

7 - تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص.

8 - تُعرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرَّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 - تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

- أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.
- أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
- ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
- أن يصحَّب العرض معلوماتٌ ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسليم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على

النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.

11 - تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

12 - يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14 - تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزيع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15 - لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

التعريب العدد الثلاثون - حزيران / يونيو 2006

16 - إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 - تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 - ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور عادل نوفل مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق . ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11. 963+)

فاكس: 3330998 (11 . 963+)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap@net.sy

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org



إصدارات المركز من الكتب

1 . هندسة الفيزياء النووية

1 - Nuclear Physics Engineering

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 232 - السعر 12 دولاراً

2 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الأول

2 - Nuclear Reactors Engineering - Part 1

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 208 - السعر 12 دولاراً

3 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الثاني

3 - Nuclear Reactors Engineering - Part 2

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 186 - السعر 12 دولاراً

4 . الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث

4 - Nuclear Radiation and Protection

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 448 - السعر 20 دولاراً

5 . دليل التنمية المائية في الوطن العربي

5 - Water Development guide in Arab World

تأليف: د. محمد شفيق الصفدي - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 78 - السعر 3 دولارات

6 . الاتصالات بالألياف البصرية

6 - Fiber Optic Communications

تأليف: جوزيف باليه - ترجمة: أ.د. جورج صنيح - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 608 - السعر 18 دولاراً

7 . معالجة الصور الرقمية

7 - Digital Image Processing

تأليف: ر. غونزاليز & ب. وينتزر - ترجمة: د. معن عمار - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 728 - السعر 20 دولاراً

8 . الجيوفيزياء التطبيقية

8 - Applied Geophysics

تأليف: فريق من المختصين الألمان - ترجمة: أ.د. فارس شقير - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 384 - السعر 21 دولاراً

9 . عروبة البربر

9 - The Berbers are Arab in Origin (the Ignored Fact)

تأليف: أ. محمد علي مادون - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

10 . الأسس الفيزيائية لليزر التكنولوجية

10 - Physical Fundamentals of Technological Lasers

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 224 - السعر 12 دولاراً

11 . الأسس الهندسية لإنشاء الليزر التكنولوجية

11 - Engineering Fundamentals of Technological Lasers Buildup

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

12 . طرائق المعالجة السطحية بالليزر

12 - Methods of Surfaces Treatment by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 264 - السعر 12 دولاراً

13 . معالجة المواد غير المعدنية بالليزر

13 - Treatment of Non-metallic Materials by Lasers

تأليف: آ. غريغورياننيس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 256 - السعر 12 دولاراً

14 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الأول

14 - Methods of Social Sciences-Book 1

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 454 - السعر 14 دولاراً

15 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الثاني

15 - Methods of Social Sciences-Book 2

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 200 - السعر 10 دولارات

16 . نظم التصوير الطبي

16 - Medical Imaging Systems

تأليف: ألبيرت ماكوفسكي - ترجمة: د. محمد موسى - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 336 - السعر 18 دولاراً

17 . المدخل إلى ميكانيك الكم

17 - Introduction to Quantum Mechanics

تأليف: ر.ديكه & ج. ويتكه - ترجمة: د. آخو يوسف - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 474 - السعر 15 دولاراً

18 . الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم

18 - Mobile Communications Design Fundamentals

تأليف: وليم لي - ترجمة: د. زياد سيد سليمان - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 480 - السعر 20 دولاراً

19 . أنظمة الاتصالات الالكترونية المتقدمة – نَفِد –

19 - Advanced Electronic Communications Systems

تأليف: وين توماسي - ترجمة: د. عمر شابسيغ - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 448 - السعر 15 دولاراً

20 . كهربة الريف

20 - Electrification of Rural Areas

تأليف: كشيشتوف مايكا - ترجمة: أ.د. عبد الله سعيد - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 576 - السعر 15 دولاراً

21 . الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات

21 - Remote Sensing and Image Interpretation

تأليف: ت. ليليساند & ر. كيپر - ترجمة: أ.د. حسن حلمي خاروف - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 984 - السعر 30 دولاراً

22 . طب الأمراض المُعدية والتغذوية – نَفِد –

22 - Tropical and Geographical Medicine

تأليف: وارن & محمود - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 1200 - السعر 32 دولاراً

23 . المعالجات الراهنة في الممارسة السنية

23 - Current Treatment in Dental Practice

تأليف: نورمان ليفين - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 624 - السعر 25 دولاراً

24 . الآلات الكهربائية والميكروية – نَفِد –

24 - Electric Machines and Micromachines

تأليف: د. بروسكين - ترجمة: د. عبد المطلب أبو سيف - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 480 - السعر 18 دولاراً

25 . التجاوب المغنطيسي النووي

25 - Magneto - nuclear Resonance

تأليف: د. سهام طرابيشي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 232 - السعر 8 دولارات

26 . حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد - نَفِد -

26 - Meat Conservation

تأليف: د. عبد العزيز عروانة - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 128 - السعر 4 دولارات

27 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الأول - نَفِد -

27 - Differential Equations - Part I

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 288 - السعر 12 دولاراً

28 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الثاني - نَفِد -

28 - Differential Equations - Part II

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 176 - السعر 8 دولارات

29 . الكيمياء التحليلية - نَفِد -

29 - Analytical Chemistry

تأليف: ج.د. كريستيان - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 760 - السعر 30 دولاراً

30 . الكيمياء الفيزيائية - نَفِد -

30 - Physical Chemistry

تأليف: ألبيرتي & سيلبي - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 1136 - السعر 36 دولاراً

31 . الكيمياء الحيوية المصورة

31 - Biochemistry Illustrated

تأليف: كاميل & سميث - ترجمة: أ.د. أبو سمرة & د. حمود - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 304 - السعر 15 دولاراً

32 . علم البيولوجيا . الجزء الأول - نُفِد -

32 - Biological Science - Part I

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 620 - السعر 25 دولاراً

33 . علم البيولوجيا . الجزء الثاني - نُفِد -

33 - Biological Science - Part II

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 704 - السعر 25 دولاراً

34 . الفيزياء المتقدمة - نُفِد -

34 - Advanced Physics

تأليف: ك. جيبس - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 616 - السعر 20 دولاراً

35 . بحوث العمليات

35 - Operations Research

تأليف: رافيندران وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي الهندسة والاقتصاد بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 640 - السعر 25 دولاراً

36 . كيمياء تحليل الأغذية

36 - Analytical Chemistry of Food

تأليف: سيروين س. جيمس - ترجمة: أ.د. العودة & أ.د. سمينة - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 208 - السعر 8 دولارات

37 . الكيمياويات الزراعية والبيئة

37 - Agricultural Chemicals and the Environment

تأليف: هيستر & هاريسون - ترجمة: د. عبيدو & د. حجار - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 184 - السعر 7 دولارات

38 . معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق

38 - Management of Temporomandibular Disorders and Occlusion

تأليف: جيفري ب. أوكسون - ترجمة: لفيف من أستاذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1999
- عدد الصفحات: 616 - السعر 25 دولاراً

39 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الأول

39 - Advanced Chemistry – Volume 1

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: د. توفيق ياسين . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 952 - السعر: 35 دولاراً

40 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الثاني

40 - Advanced Chemistry – Volume 2

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: أ.د. هيام بيرقدار . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 700 - السعر: 28 دولاراً

41 . توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي

41 – Magnetohydrodynamic Electrical Power Generation

تأليف: هوغو ميسيرل - ترجمة: أ.د. محمد هاشم أبو الخير & د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 268 - السعر 10 دولارات

42 . الكيمياء العضوية

42 - Organic Chemistry

تأليف: موريسون & بويد - ترجمة: لفيف من كبار أساتذة كليات العلوم في الجامعات السورية - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 1416 - السعر 50 دولاراً

43 . الكيمياء العامة في سؤال وجواب

43 – General Chemistry – Questions and Answers

تأليف: أ.د. عبد الحليم منصور - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 452 - السعر 12 دولاراً

44 . الطاقة وسلامة البيئة

44 – Umweltschonende Energietechnik

تأليف: نيكولاي خارتشينكو – ترجمة: د. بسام حمود . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 476 – السعر: 18 دولاراً

45 . التطبيقات العملية في معالجة اللثة

45 – Periodontal Instrumentation

تأليف: باتيسون & باتيسون – ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

46 . المدخل إلى الإحصاء الطبي

46 – An Introduction to Medical Statistics

تأليف: مارتن بلاند – ترجمة: أ.د. أحمد ديب دشاش & أ. شفيق ياسين & د. وائل الإمام – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

47 – حقن البنزين وتقانة الحفازات

47 – Benzineinspritzung und Katalysatortechnik

تأليف: يورجن كازيدورف – ترجمة: د. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 392 – السعر: 12 دولاراً

48 – الأتمتة الصناعية والمؤتمتات القابلة للبرمجة PLC

48 – Industrial Automation and PLCs

تأليف: د. نور الدين شيخ عبيد – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 224 – السعر: 6 دولارات

49 – الوجيز في الصرف الصحي في المدن

49 - Taschenbuch der Stadtentwässerung

تأليف: كارل وكلاوس إمهوف – ترجمة: د. غسان دره الحداد ود. جورج زهر – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 456 – السعر: 15 دولاراً

50 - الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء الدواء

50 - Pharmaceutical Dosage Forms and Drug Delivery Systems

تأليف: هاوارد آنسل وآخرون - ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 896 - السعر 25 دولاراً

51 - التركيب - دليل تدبير المريض

51 - SEDATION - A Guide to Patient Management

تأليف: ستانلي مالاويد - ترجمة: د. محمد كامل التيناوي - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 920 - السعر 27 دولاراً

52 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الأول

52 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part I

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 364 - السعر 10 دولارات

53 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الثاني

53 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part II

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 424 - السعر 12 دولاراً

54 - منشآت تجميع مياه الأمطار - إرشادات تنفيذية

54 - Regenwasser Sammelanlage

تأليف: فولفجانج بريدوف - ترجمة: أ. نزيه يانس - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 160 - السعر 5 دولارات

55 - الهندسة

55 - Geometry

تأليف: ديفيد برانان وآخرون - ترجمة: د. مها النبهان و د. محمود باكير - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 628 - السعر 20 دولاراً

56 - الأمراض حيوانية المصدر - الأمراض الخمجية التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان

56 - Zoonosen Von Tier zu Mensch übertragbare Infektionskrankheiten

تأليف: ه. كراوس وآخرون - ترجمة: د. مروان الوزه و د. رضوان حاغور - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 688 - السعر 15 دولاراً

57 – مواد البناء واختباراتها – شروح ومسائل وتمارين

57 – Building Materials Testing

تأليف: د. أسامة صالح ميرو – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 272 – السعر 6 دولارات

58 – أساسيات ضبط الجودة الإحصائي

58 - Fundamentals of Statistical Quality Control

تأليف: روبرت بوند – ترجمة: د. حسن السيد و أ. شفيق ياسين – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 432 – السعر 14 دولاراً

59 – جيوتقنية مكبات النفايات ومطامرها

59 – GDA-Empfehlungen Geotechnik der Deponien und Altablaster

تأليف: مجموعة من الخبراء الألمان التابعين للمؤسسة الجيوتقنية الألمانية – ترجمة: د. منذر عمران و د. سعيد العاقل – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 864 – السعر 25 دولاراً

60 – التنمية الزراعية المستدامة

60 – Agricultural Sustainable Development

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 264 – السعر 7 دولارات

61 – تنظيم الحاسوب وبنائه

61 – Computer Organization and Architecture: Designing for Performance

تأليف: ويليام ستولنغر – ترجمة: د. محمد نوار العوا ود. جورج صنيح ود. فيصل العباس – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 748 – السعر 21 دولاراً

62 – أسس الاتصالات اللاسلكية لـ لي

62 – Lee's Essentials of Wireless Communications

تأليف: ويليام لي – ترجمة: م. محمد موفق العوا – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 344 – السعر 12 دولاراً

63 – التطبيب والرعاية الصحية عن بُعد

63 – Telemedicine and Telehealth

تأليف: داركنز وكيري – ترجمة: د. محمد فراس الحناوي ود. مروان الوزه – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 424 – السعر 14 دولاراً

64 – طب العيون العام

64 – General Ophthalmology

تأليف: فاوغهان وآسبوري وريوردان – ترجمة: لفيف من أطباء العيون السوريين – تاريخ الإصدار: 2002 –
عدد الصفحات: 696 – السعر 18 دولاراً

65 – اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء

65 – Economics of Environment, Agriculture and Food

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 640 – السعر 14 دولاراً

66 – مبادئ تحلية المياه المالحة

66 – Principles of Salt Water Desalination

تأليف: أ.د. معن العظمة – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 232 – السعر 5 دولارات

67 – التقانات العالية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض

67 – High Technology and Low-Income Communities

تأليف: دونالد سشون وآخرون – ترجمة: د. راكان رزوق – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 428 –
السعر 9 دولارات

68 – علم العقاقير لـ تريز وإيفانز

68 - Trease and Evans Pharmacognosy

تأليف: و.س. إيفانز – ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية – تاريخ الإصدار: 2003 –
عدد الصفحات: 1044 – السعر 28 دولاراً

69 – محاضرات في الطب الجزيئي

69 – Lecture Notes on Molecular Medicine

تأليف: جون برادلي وآخرون – ترجمة: أ.د. وفيقة زرزور – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 244 –
السعر 6 دولارات

70 – نظم الطاقات المتجددة – التكنولوجيا – الحسابات

70 – Regenerative Energiesystem

تأليف: فولكار كاشنينغ – ترجمة: د.م. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2004 – عدد الصفحات: 414 – السعر
7 دولارات

71 – الاقتصاد الهندسي

71 – Engineering Economy

تأليف: وليام ج. سوليفان & جيمس ت. لوكسوج ويكس - ترجمة: د. محمد نايفة ود. محمد جلالى و د. لبانة مشوح و د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 744 - السعر 19 دولاراً

72 – التقانات الحيوية من الألف إلى الياء

72 – Biotechnology from A to Z

تأليف: وليامز بنز - ترجمة: أ.د. عبد العزيز محمد البوني - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 544 - السعر 13 دولاراً

73 – تكنولوجيا تنفيذ وتنظيم الأعمال الترابية في المشاريع الهندسية

تأليف: د.م. محمد بشار الحفار و د.م. نبيل غازي الهزيم - مراجعة: د.م. رياض الحسين - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 267 - السعر 6 دولارات

74 – الأساليب المتغيرة لدراسة تعليم الكبار

74 - Changing Approaches to Studying Adult Education

تأليف: هوي ب. لونغ وآخرون - ترجمة: الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبلى - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 170 - السعر 5 دولارات.

75 – طب الأسنان الوقائي الأولي

75 – Primary Preventive Dentistry

تأليف: نورمان هاريس وآخرون - ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 653 - السعر 19 دولاراً.

76 – الوجيز في الفيضانات . التأثيرات والحماية

76 - Hochwasser-Handbuch: Auswirkungen und Schutz

تأليف: هاينز بات - ترجمة: أ.د. عز الدين درويش حسن - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 723 - السعر 23 دولاراً.

77 – علم الجنين الطبي لِ لانغمان

77 – Langman's Medical Embryology

تأليف: ت. و. سادلر – ترجمة: أ.د. الطاهر عثمان علي & أ.د. ضياء الدين الجمّاس & د. محمد فريد السباعي
- تاريخ الاصدار: 2005 - عدد الصفحات: 606 - السعر 17 دولاراً.

78 – التصميم الرقمي

79 – Digital Design

تأليف: م. موريس مانو – ترجمة: أ.د. جبر راجح الرمحين - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 872
- السعر 16 دولاراً.

79 – أن تغدو مدرساً في التعليم العالي

80 – Devenir Enseignant du Supérieur

تأليف: آلان كولون وآخرون – ترجمة: أ.د. سام عمار - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 190 .

80 – علم الأدوية السريري

78 – Clinical Pharmacology

تأليف: بينيت براون - ترجمة: أ.د. الأمين ابراهيم النعمة، د. عبد الناصر عمري، د. خالد حسن
- تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 862.

الكتب قيد الإصدار

1 – طب النساء، النسائيات Gynaecology by 10 Teachers

2 – طب التوليد Obstetrics by 10 Teachers

3 – المعلومات الطبية من الإنترنت Medical Information on the Internet

الكتب التربوية

T1 - تكوين معلمين مهنيين . الاستراتيجيات والكفايات

T1 - Former Des Enseignants Professionnels: Quelles stratégies? Quelles Compétences?

تأليف: ليوبولد باكي وآخرون - ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 276 - السعر 10 دولارات

T2 - تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة

T2 - Mental Health Interventions with Preschool Children

تأليف: ليمان & كيجن - ترجمة: أ.د. سليمان ربحاني وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 340 - السعر 12 دولاراً

T3 - إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين

T3 - Preparing Students for the 21st Century

تأليف: دونا أوتشيدا وآخرون - ترجمة: أ.د. محمد نبيل نوفل - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 112 - السعر 4 دولارات

T4 - تطوير نظم الجودة في التربية

T4 - Developing Quality Systems in Education

تأليف: جيفري دوهيرتي - ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 388 - السعر 12 دولاراً

T5 - صعوبات القراءة . منظور لغوي تطوري

T5 - Reading Disabilities: A Developmental Language Perspective

تأليف: كامحي & كاتس - ترجمة: أ.د. حمدان علي نصر وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 408 - السعر 13 دولاراً

T6 – تعليم العلوم لجميع الأطفال

T6 - Teaching Science for all Children

تأليف: مارتن وآخرون - ترجمة: أ.د. هاشم إبراهيم وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 608 - السعر 20 دولاراً

T7 – التصميم المنظم للتعليم

T7 - The Systematic Design of Instruction

تأليف: ديك & كيري - ترجمة: أ.د. محمد ذيبان غزاوي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 392 - السعر 15 دولاراً

T8 – التربية الأساسية النخبة . تطوير الكفاءات

T8 - Quality Basic Education: The Development of Competence

تأليف: جوان فريمان - ترجمة: أ.د. صالحة سنقر - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 288 - السعر 9 دولارات

T9 – إدارة نظم التعلم عن بعد

T9 - The Management of Distance Learning Systems

تأليف: غريفييل رامبل - ترجمة: أ.د. فاطمة الجبوشي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 100 - السعر 3 دولارات

T10 – المرجع في جهود محو الأمية

T10 - A Source Book for Literacy Work

تأليف: ه. س. بولا - ترجمة: أ.د. صالح عزب - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 220 - السعر 8 دولارات

T11 – الانترنت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

T11 – The Internet for Teachers and School Library media Specialists

تأليف: إدوارد فاللاوسكاس & مونیکا إرثل - ترجمة: د. عبد الرزاق يونس - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 280 - السعر 8 دولارات

T12 – تشكيل المستقبلات . التعلم من أجل الكفاية والمواطنة

T12 – Shaping Futures: Learning for Competence and Citizenship

تأليف: كارين إيفانس - ترجمة: أ.د. خميس بنحميده - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 208 - السعر 6 دولارات

T13 – سيكولوجيا التربية والتكوين

T13 – Manuel de Psychologie de L'Éducation et de la Formation

تأليف: ألان ليوري وزملاؤه - ترجمة: أ.د. وجيه أسعد - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 484 - السعر 14 دولاراً

T14 – الدافعية والنجاح المدرسي

T14 – Motivation et Réussite Scolaire

تأليف: ألان ليوري & فابيان فونوييه - ترجمة: أ.د. محمد الطيب سعداني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 132 - السعر 5 دولارات

T15 – تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

T15 – Developing Logical Thinkers

تأليف: داريل فيلبس & ديل فيلبس - ترجمة: د. إبراهيم المومني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 540 - السعر 15 دولاراً

T16 – تعليم الموهوبين والمتفوقين

T16 - Education of the Gifted and Talented

تأليف: كيري ديفيز وسيلفيا ريم - ترجمة: د. عطوف ياسين - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 704 - السعر 15 دولاراً

T17 – التقويم الصفّي والتعلم

T17 – Classroom Assessment and Learning

تأليف: مارغريت غريدلر - ترجمة: أ.د. كمال رفيق الجراح - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 340 - السعر 8 دولارات

T18 – من أجل نظرية في البيداغوجيا

T18 – Pour une theorie de la Pedagogie: Recherches Contemporaines sur le savoir des enseignants

تأليف: كليروا غوتيه وآخرون – ترجمة: أ. وجيه أسعد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 380 – السعر 8 دولارات

T19 – تكوين المعلمين المستمر وجدواه

T19 – La formation continue des enseignants est elle utile?

تأليف: ماري – ميشيل كوترمان وآخرون – ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 240 – السعر 6 دولارات

T20 – المتعلم الكبير – الأثر الكلاسيكي المتميز في تعليم الكبار وتطوير الموارد البشرية

T20 - The Adult Learner: The Definitive Classic in Adult Education and Human Resource Development

تأليف: مالكوم نوليس وآخرون – ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 336 – السعر 8 دولارات

T21 – نحو فهم لقيادة المناهج الديمقراطية

T21 – Understanding Democratic Curriculum Leadership

تأليف: هندرسن وكيسون – ترجمة: أ.د. خميس بنحميده – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 192 – السعر 5 دولارات

T22 – التعليم التحويلي – رؤية تربوية للقرن الحادي والعشرين

T22 – Transformative Learning - Educational Vision for the 21st Century

تأليف: ادموند او سيلفان – ترجمة: أ.د. عبد الله العابد أبو جعفر – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 400 – السعر 9 دولارات

T23 – تكيف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة

T23 – Adapting Early Childhood Curricula for Children in Inclusive Settings

تأليف: كوك وآخرون – ترجمة: د. مطانيوس مخائيل ود. علي سعود حسن – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 720 – السعر 18 دولاراً